الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

ثلاثون

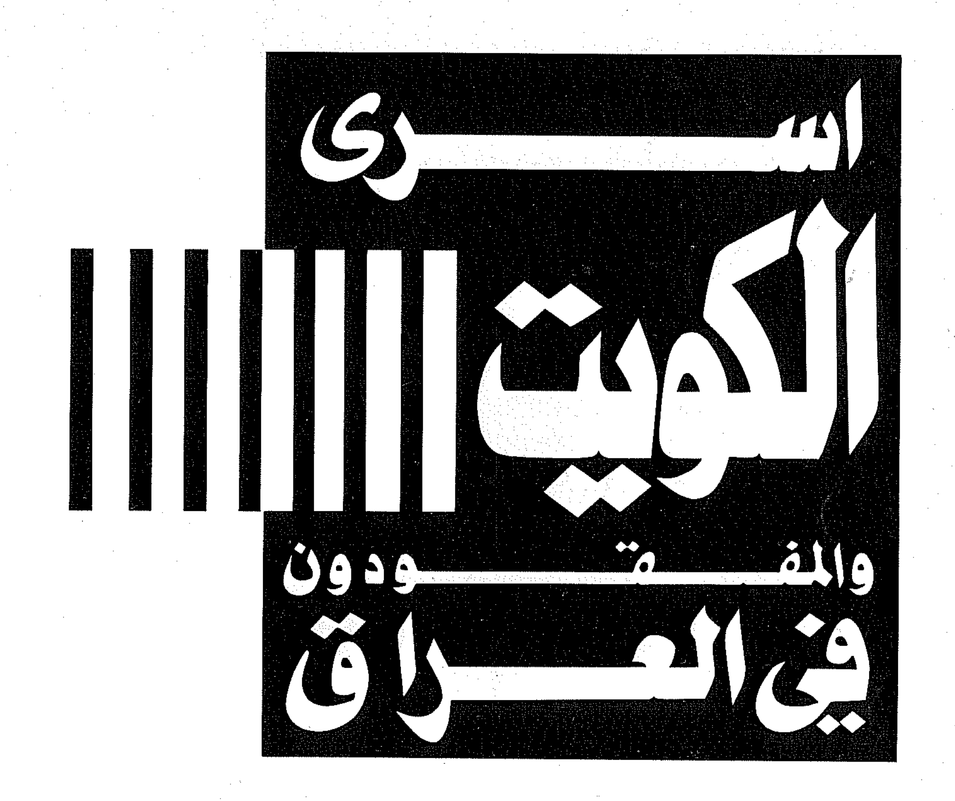
الثقافة الجمالية في الحياة الاسلامية

التلفاز والعنف في الغرب

معاً في وجه الاستفزاز



عديدون هم أسرى الحرب والمفقودون من الكويت في سجون العراق



ألم يحن الوقت لإطلاق سراحهم؟

اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين

الوعي الإسلامي

AL-WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٤٦ - السنة الحادية والثلاثون - جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ نوفمبر (ت٢) ١٩٩٤م

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي (١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

الاستفزاز وليد الإفلاس

اعتدى العراق على الكويت منذ أربع سنوات بدون وجه حق، وحاول اعلام النظام العراقي طمس حقائق وتشويه أخرى، وأفلح في تضليل البعض، كما أفلح في شراء ذمم آخرين، وقام النظام الجائر نفسه بحركة استفزازية مؤخراً، استهدفت الحدود الكويتية، هددت أمن المنطقة، وأقلقت الأوساط الدولية، وجاء الرد العالمي والاسلامي والعربي حاسماً إلى جانب الحق الكويتي، وصفاً واحداً في وجه الاستفزاز..

وتبياناً لوجه الحق فيما وقع وتصحيحاً لأي تفسير خاطيء أو وقوع في حبائل إعلام النظام العراقي المغرض، أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت بياناً وزعته على الهيئات الدعوية والجمعيات الإسلامية في جميع أنحاء العالم، وعددها ينوف على ١٦٠٠ هيئة وجمعية، وتعميماً للفائدة، وتفنيداً لادعاءات النظام العراقي تنشر (الوعي الإسلامي) نصه في الافتتاحية بالإضافة إلى ملف يحوي رسائل الاستنكار على الحركة العدوانية الأخيرة وإيضاح حقائق تتعلق بالموضوع□

المراسلات :
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

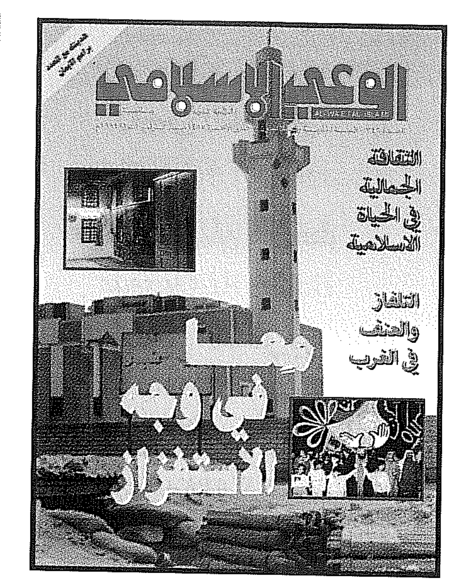
داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)
ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

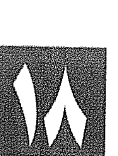
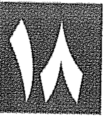
أقرأ في العدد



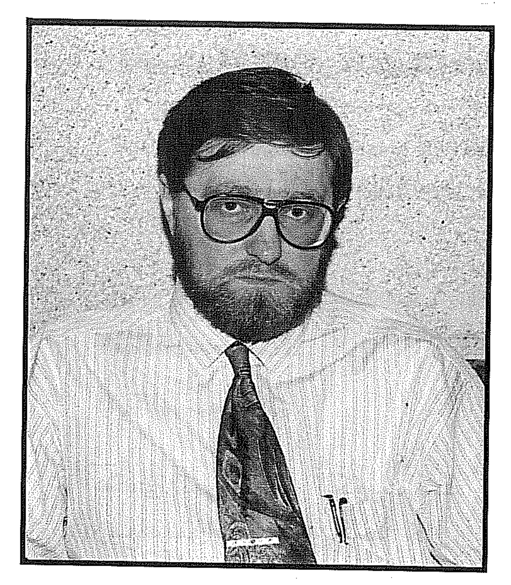
حرصت الكويت منذ اللحظة الأولى للأزمة التي افتعلها النظام العراقي على حل المشكلة بالطرق الودية، وحصرها داخل الوطن العربي، ورحبت بكل جهود عربية وإسلامية تسعى إلى علاج أسباب الأزمة وإزالة عوائق اشتعالها، لكن النظام العراقي استغل تلك الوساطات للتمويه عن مقاصده الحقيقية وأطماعه العدوانية، وقد أدى تعنّته إلى وضع الجميع أمام طريق مسدود، مما دفع بالقضية إلى التدويل..

الاستنهاض

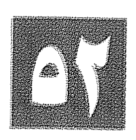
(مساحة رأي) باب جديد على صفحات (الوعي الإسلامي) يهدف طرح مواضيع ومفاهيم تمسّ الساحة الإسلامية بشكل خاص، نسعى من خلاله إلى حوار هادىء ونقاش مثمر إن شاء الله، و(الاستنهاض) على رأس الأمور المطلوب دراستها وتناولها بعيداً عن الأفكار الجاهزة.



١٨

حوار عن آخر مستجدات البوسنة



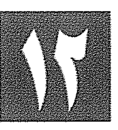
بإيمان لا يتزعزع ويقين بالنصر المرتقب وسط ليل ادلج يخيم بظلامه على ارض البوسنة الجريحة جاءت كلمات الاستاذ حسين عمر سباهيتش (الممثل الشخصي لرئيس جمهورية البوسنة علي عزت بيغوفيتش في المملكة العربية السعودية) لتحيي الأمل في النفوس وتنير الدرب للسائرين في طريق الجهاد العظيم.. حول آخر المستجدات على الساحة البوسنية وكان هذا اللقاء الذي أجراه صلاح الدين الايوبي.


٥٢

اقرأ في الأعداد القادمة

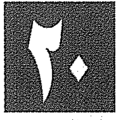
دور الكويت التنموي

عملت الكويت منذ أن امتن الله عليها بالثروة البترولية على المساهمة الفعّالة في برامج التنمية في العالمين العربي والإسلامي، بالإضافة إلى دول محتاجة وجدت في الصندوق الكويتي حلاً لمشاكل مزمنة عالقة. وفي الدراسة التالية إيضاح لبعض مساهمات الكويت التنموية.



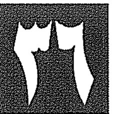
التلفاز والعنف في الغرب

د. قاسم القادري، ومن موقعه الميداني في قلب الغرب (باريس) وموقعه التربوي (معلّما وأباً) يطرح قضية (العنف) ودور التلفاز الغربي في تنميته لدى الطفل، وانعكاس ذلك على الأجيال الصاعدة، ويستقي إحاءاته من المصادر الغربية نفسها.



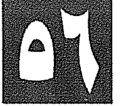
اليقظة الامنية في السلم والحرب

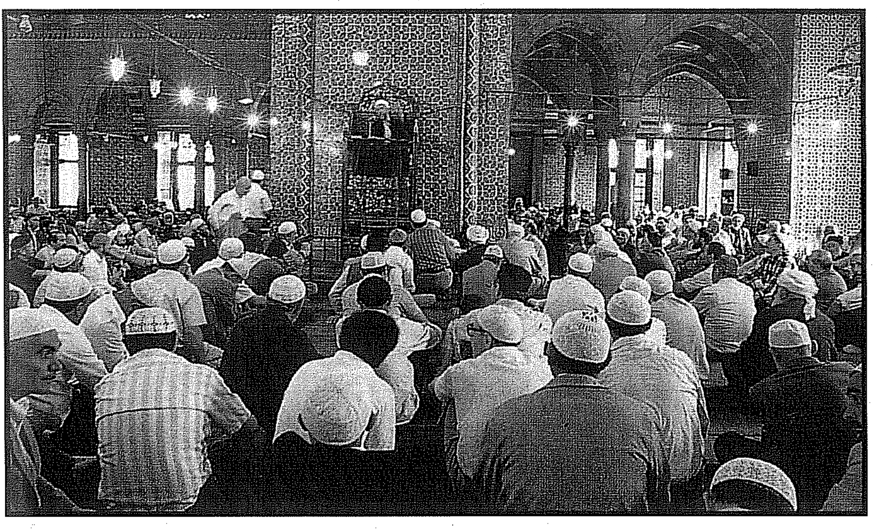
لم يعد (الأمن) قاصراً على فريق عمل ولا على مؤسسة بعينها، وقد بات أمراً مطلوباً في مختلف الميادين والظروف ومن مطلق الأفراد، وكلما ازداد المجتمع البشري تعقيداً كلما ازداد الموضوع الأمني إلحاحاً وحضوراً، وعبد الغني أحمد ناجي يتطرق في دراسته الأمنية إلى كون الأمن مطلباً إسلامياً على كل حال، في السلم والحرب على حد سواء.



الثقافة الجمالية في الحياة الاسلامية

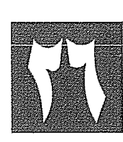
لم يكن اهتمام المسلمين بالجماليات أمراً طارئاً، ولا تأثراً بثقافات دخيلة، ولكنه كان أمراً عميقاً في صلب الثقافة الاسلامية، ومحمود محمد الناكوع في موضوعه يتوجّه إلى منبع الثقافة الجمالية الصافي، يتوجه نحو القرآن ذاته ليسمعنا قيم الجمال فيه.





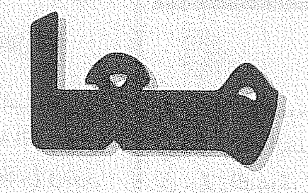
وسائل الدعوة الإسلامية الإعلامية

سعيد الأصبحي يكتب عن موضوع ذي صبغة دعوية وأخرى إعلامية، يهدف إلقاء الضوء على الوسائل الاعلامية العصرية المتاحة وكيفية توظيفها في حقل الدعوة، لاسيما والإعلام من صلب أعمال التبليغ.



الفهرس

الافتتاحية





هاهو النظام العراقي يحاول أن يعيد عجلة التاريخ إلى الوراء، ويجهد نفسه وأمته في تكرار مأساة صنعها بيديه واكتوى بنارها الشعبان الكويتي والعراقي، واستطال شررها ليصل إلى العالمين العربي والإسلامي..

فقد قام النظام الحاكم في بغداد وبأوامر شخصية من رئيسه (صدام حسين) بمهاجمة الكويت بشكل مباغت وغادر صبيحة يوم٢/٨/٩٠م، ورفع المعتدي يومها شعارات براقة استهوت البعض، وضللت البعض الآخر، معلّقاً كل مشاكله على شمّاعة الكويت، مدّعيا أنها السبب الرئيسي فيما وصلت إليه حالة العراق الاقتصادية (؟!) مستبيحاً أراضيها وشعبها وممتلكاتها، فارضاً من نفسه وصياً على مقدراتها، ضارباً عرض الحائط بكل حقوق الجوار والإسلام، متنكّراً للمواقف الأخوية الشريفة التي وقفتها الكويت حكومة وشعباً ومؤسسات إلى جانب الشعب العراقي في محنه، متحمّلة دون ذنب جريرة القرارات الفردية التي يتخذها الحاكم العراقي دون العودة إلى أحد..

ولقد حرصت الكويت منذ اللحظة الأولى للأزمة التي افتعلها النظام العراقي على حل المشكلة بالطرق الودية، وحصرها داخل الوطن العربي، ورحبت بكل جهود عربية وإسلامية تسعى إلى علاج أسباب الأزمة وإزالة عوائق اشتعالها، لكن النظام العراقي استغل تلك الوساطات للتمويه عن مقاصده الحقيقية وأطماعه العدوانية، وقد أدى تعنّته إلى وضع الجميع أمام طريق مسدود، فلا جامعة الدول العربية ولا رابطة العالم الإسلامي ولا المؤتمر الإسلامي ولا المؤسسات الإقليمية الأخرى نجحت في احتواء الأزمة، كما أنها لا تملك آلية ردع المعتدي العراقي عن غيه وإيقافه عند حدود مغامرته الفاشلة، مما دفع بالقضية إلى التدويل..

فلو كان النظام العراقي قد ثاب إلى رشده ورجع عن عدوانه، أو وجدت قوة عربية أو إسلامية تردعه عن غيه، لكانت القضية قد ظلت محصورة في النطاق العربي الإسلامي، لكن تعنّت ذلك النظام وصلفه وتمسكه بالباطل الذي يدافع عنه، وعزوفه عن الحق الذي داسه تحت أقدام جحافل جيوشه الغازية، وانخداع البعض بزيف شعاراته ومناصرتهم له على غيه وأطماعه، ومجاملة البعض الآخر لمواقفه الطائشة غير المسؤولة ومناصرتهم له أو سكوتهم عنه، قد أدّى كل ذلك إلى فتح أبواب تدويل المشكلة وتدخل القوى الدولية ذودا عن مصالحها في المنطقة، مما أدخل المنطقة كلها في دوامة كانت في غنى عنها، أدّت إلى نتائج ما زالت الأمة لعرية والاسلامية تعاني من آثارها..

لقد تبنت الكويت طوال تاريخها الحديث سياسة خارجية مستقلة لا تسمح بالارتباط بأي قوى خارجية أو دولية أو الدخول في تحالفات، وذلك اكتفاء بمعاهدة الدفاع العربي المشترك، والمساهمة النشطة في المظمات العربية والاسلامية، ولم تسمح لأي قوى أجنبية بالتدخل في شؤون المنطقة حتى كان العدوان العراقي الغادر الذي استهدف احتلال الكويت ومصادرة إرادة أهلها وطمس هويتها مع افتقاد آلة عربية وإسلامية لردع المعتدى وإنقاذ الضحيةوتصاعد الموقف، مما رأت معه قوي دولية كثيرة أن ذلك العدوان يضر بالسلام الدولي وبأمن المنطقة مما أدّى إلى تدويل القضية لتصبح في قبضة الأمم المتحدة، وصارت القرارات التي تتعلق بها مرتبطة بالموقف الدولي لا بالموقف الخليجي أو العربي أو الإسلامي، وبذلك أخرجت الممارسات العراقية والتعسف العراقي الأمورَ من دائرة البيت الواحد لتصير إلى ما صارت إليه لاحقاً..

لقد حمل البعض على تدخّل القوّات الأجنبية في المنطقة – والتي جاءت كنتيجة للعدوان العراقي – ولم يشيروا إلى السبب الرئيسي الذي أدّى إلى ذلك، كما نسي البعض في حمأة الشعارات الحارّة البرّاقة اليد الملوثة بدماء العلماء والأبرياء، اليد التي امتدت إلى الشعب العراقي لتسومه أصناف الإيذاء في الدين والمال والنفس قبل أن تصيب غيره، نسي البعض في خضمّ العواطف الجارفة الأسباب الموضوعية والموازين الشرعية التي ينبغي مراعاتها والنزول عند الحكم الصريح الواضح في النظام الحاكم لبغداد، وانجرفوا في خط الاحتجاج على التدخل الدولي متناسين تعنّت النظام العراقي الذي جرّ المنطقة كلها إلى هذا التدخل وإلى الوجود العسكري فيها..

وكان الأمل يحدو الجميع في ان تلملم الامة العربية والامة الاسلامية شتات ما تفرق من صفوفهما، وما تبدد من طاقاتهما على أثر الاحتلال العراقي الغادر، وان تعيدا توحيد الصفوف بعد تنقية القلوب وإزالة ما لحق نفوس البعض من زيغ، لاسيما وأن حاكم بغداد أعلن قبوله للقرارات الدولية ومن بينها القرارات التي تتعلق بسيادة الكويت وحدودها الرسمية المبنية على الاتفاقات الثنائية (منها اتفاق تم سنة ١٩٣٢، واتفاقية سنة ١٩٦٣ الذي وقعها نظام كان حاكم العراق الحالي يحتل مركز الصدارة فيه) لكن تلك الآمال تبددت امام التعنت العراقي ورفضه – بالتدريج – كل ما أعلن استعداده لقبوله والالتزام به..

فالاتفاقيات الدولية لترسيم الحدود بين العراق والكويت الذي يطلب المجتمع الدولي اعتراف العراق بها كانت وليدة ارادة الطرفين، ولم تفرض على أحد..

والحصار الذي فرضته القرارات الدولية على العراق يتعلّق بقدرات العراق العدوانية، ولا يتعرّض لمقوّمات الشعب العراقي، فقد أجاز القرار الدولي للعراق أن يبيع حصة من النفط تحت إشراف الأمم المتحدة لتأمين احتياجات العراق من الأغذية والأدوية، ولم يمنع القرار الدولي قط ما يتعلّق بالغذاء والدواء كما يدّعي النظام العراقي..

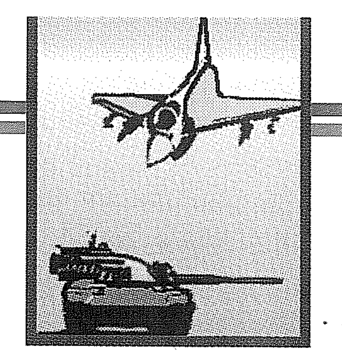
وبقاء الحصار مرهون ببقاء أسبابه ودواعيه، وهو رفض النظام العراقي تنفيذ القرارات الدولية الذي سبق له الموافقة عليها، وبالتالي فإن ذلك النظام هو سبب بقاء الحصار واستمراره، إذ لم يرَ الرئيس العراقي في قرارات الأمم المتحدة ما يحقق طموحه الشخصي، ولم ينجح في إقناع الدول برفع هذا الحصار بالطريقة التي تحقق له حرية الحركة العسكرية مرة أخرى، فلجأ إلى التصعيد الأخير، وحشد آلافاً من وحداته العسكرية على الحدود الكويتية بهدف الضغط، ولقد جاء الردّ العربي والدولي سريعاً وحاسماً، مؤكداً على استمرار القرار الدولي بمنعه من أية مغامرة جديدة، وأن المجتمع الدولي ممثلاً بالمؤسسات الدولية (مجلس الأمن) على أهبة الاستعداد، مصراً على عدم تكرار مأساة ٢/٨/٩٠م، وأن أي خطوة عبثية من النظام العراقي لن تمر دون ثمن رادع..

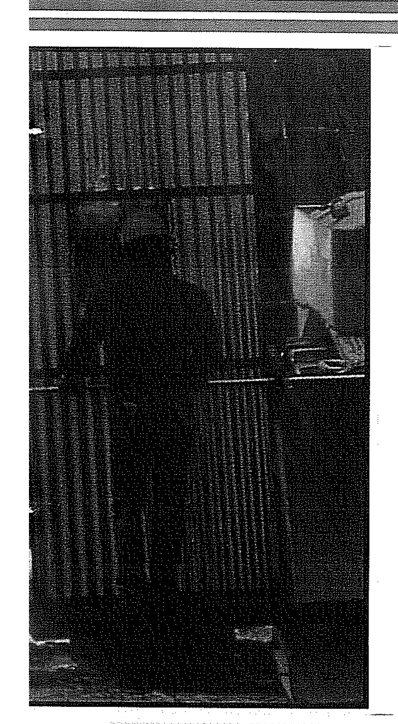
إن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ومن منطلق مسؤوليتها الشرعية ومعايشتها للساحة الإسلامية، وصدوعاً منها بكلمة الحق الواجبة الاتّباع ترى أن سبب الأزمة – الماضية والحاضرة – ابتداء وانتهاء يتعلّق بتصرفات الحاكم الفرد، فتعنُّته وتصرفه البعيد عن الشرع والعرف والقانون، وعدم استماعه إلى صوت الدين والعقل والضمير، وإهماله لمصالح شعبه والأمة، أدّى به في السابق إلى دفع القضية كلها باتجاه التدويل، وأدى إلى الوجود العسكري الدولي، وسيؤدي تصرفه الأرعن الحالي إلى مزيد من تعقيد الأمور..

إننا نهيب بكل الدعاة والمؤسسات والهيئات العربية والإسلامية إلى العمل الجاد على ردع هذا الرجل والإمساك على يده، وقد رأى الجميع بأم العين ما جرّه على الأمة العربية وعلى منطقة الخليج وعلى العراق وعلى الكويت من ويلات ودمار كنّا بمنأى عنه ونحن أمام نقلة حضارية تحتاج إلى كل جهد وطاقة لبناء مستقبل أجيالنا ومجتمعاتنا لتكون على مستوى الرسالة الحضارية الإسلامية في عالم يتعطّش إلى معانيها السامية..

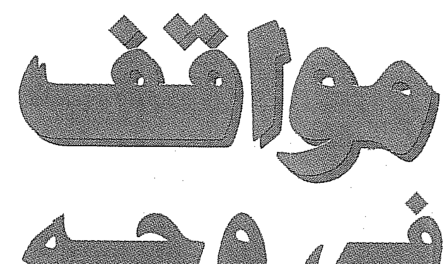
قد يرى البعض أن التحرك العراقي الأخير ما هو إلا تهرّبا من الأزمات الداخلية المتلاحقة، وحركة إلهاء للقوات العسكرية والقوى الشعبية العراقية المستضعفة، وهي ترى بأم العين وتلمس باليد نتائج مغامرات الحاكم (الفرد)، وقد يرى البعض أن الهدف من التحرّك هو الضغط على المجتمع الخليجي والدولي لتقديم تنازلات تؤدي إلى استعادة النظام العراقي لجزء مما يصبو إليه من الآلة العسكرية المدمّرة، وقد يكون كل ذلك صحيحاً، ولكننا ومن نفس المنطلق الشرعي الذي ذكرناه، نؤكد أن أمام النظام العراقي طريقاً واحداً لتقف الأمور عند حد المعقول والمقبول، هو طريق الاستجابة للقرارات القانونية الدولية من الاعتراف بسيادة الكويت، وحدودها الآمنة، وفك أسراها ومرتهنيها، وإنهاء حالة التهديد العسكري الذي يشكل حالة قلق في العالم الإسلامي يوهن من قوّته ويذهب من ريحه، ويدمّر من طاقته..

واللهَ ندعو أن يجنب أمتنا العربية والاسلامية آثار تلك الأفعال الطائشة التي ابتليا بها على تلك الأيدي الآثمة التي استباحت شرع الله وأعراض المسلمين وأموالهم ■





أمام حركة الاستفزاز الأخيرة التي قامت بها قوات النظام العراقي العسكرية على حدود الكويت، صرّح عدد من الهيئات والمؤسسات والدعاة مستنكرين الخطوة الاستفزازية العراقية مؤيدين الحق الكويتي، وفيما يلي بعض هذه الصريحات:



مواقف في وجه الاستفزاز

على العراق الالتزام بالقانون الدولي

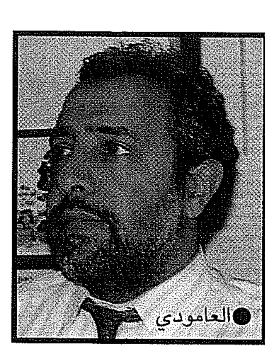

● أربكان

أصدر (حزب الرفاه) التركي البارز بياناً أكد فيه مسؤولية العراق عن تأزيم الأمور منذ ٢/٨/٩٠ وحتى اليوم، وعدم استجابته لكل وساطات الخير مما أدى إلى التدخل الدولي في المنطقة، وطالب القوات العراقية بالانسحاب من قرب الحدود الكويتية وتنفيذ القرارات الدولية المتعلقة بترسيم الحدود وإطلاق الأسرى والمرتهنين، ومما جاء في البيان:

(ونحن في حزب الرفاه نؤكد تأييدنا لحق الكويتي في أن يعيش في بلده آمنا، ونستنكر كل تدخل في شؤونه أو أي تهديد لأمنه، ونطالب القوات العراقية المحتشدة على حدوده بالانسحاب، وترك الفرصة لمجلس الأمن الدولي ليتابع خطواته التي قررها المجتمع الدولي).

الطبيعة الطاغوتية الدموية

وأعرب عبد الرحمن العامودي (المدير التنفيذي للمجلس الإسلامي الأمريكي) عن قلقه وأعضاء المجلس من التحركات العسكرية العراقية، وقال:


● العامودي

(إننا لا نجد تفسيراً لتصرفات النظام العراقي سوى الجنون والتهور والطبيعة الطاغوتية الدموية التي ما زال النظام العراقي يؤكدها ويمارسها على أرضه وجيرانه الآمنين).

كشف زيف الادعاءات العراقية

وباسم مكتب رابطة العالم الاسلامي في كندا، أبرق د. عرفات العشي مؤكدا موقف الجالية المسلمة هناك إلى جانب الحق الكويتي، وما تم القيام به في المساجد وسواها لكشف زيف الادعاءات العراقية.

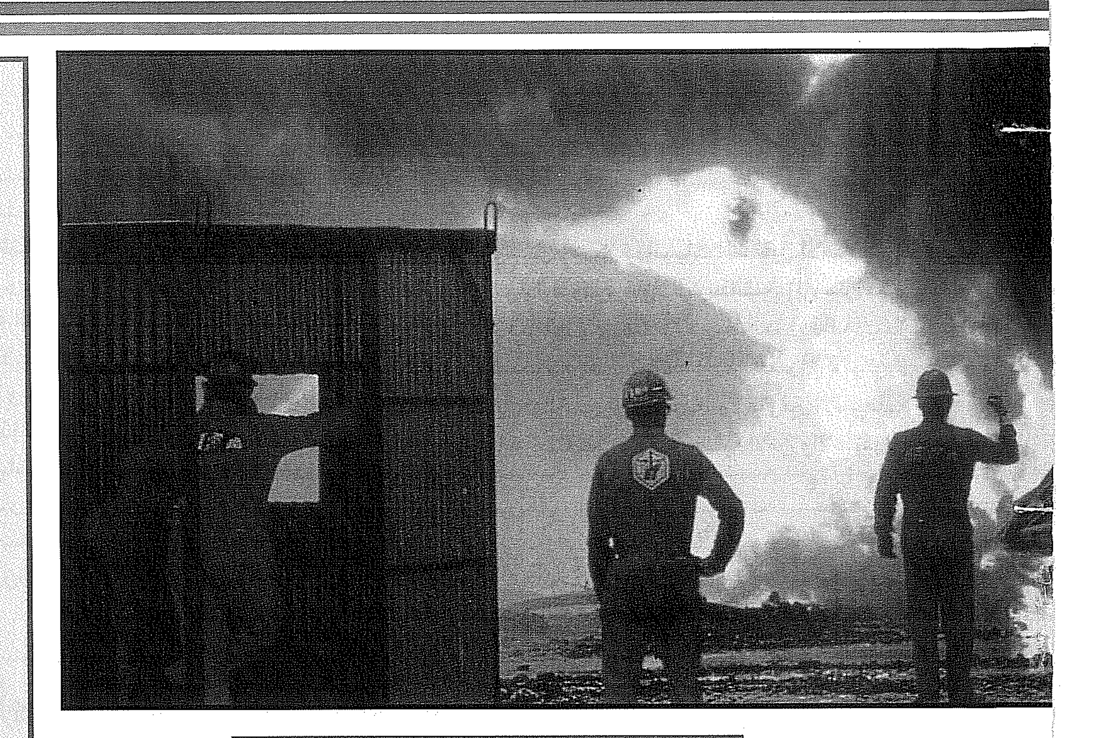
تهديد العمل الخيري

وفي اندونيسيا اصدر د. أنور هايونو (رئيس المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية) بياناً أدان فيه الحشود العراقية على حدود دولة الكويت وقال: (إن هذه الحشود تهدد أمن الكويت وشرعيتها إسلامياً وعربياً ودولياً، مما يهدد كذلك كثيراً من الأعمال الخيرية والدعوية التي تدعمها الكويت ولجانها الخيرية).



نصر المظلوم حق واجب

من قبرص التركية أبرق السيد عبد المنّان عثمان جولجة (مكتب الدعوة الإسلامية) مستنكراً الاستفزاز العراقي مؤيداً الحق الكويتي، ومما جاء في برقيته: (.. والظالمون دائما هم الخاسرون، لأن الله لا يحبهم وليس لهم من نصير ولا حميم ولا شفيع، ونؤمن بأن نصر المظلوم حق واجب حتى يؤخذ حقه من الظالم).

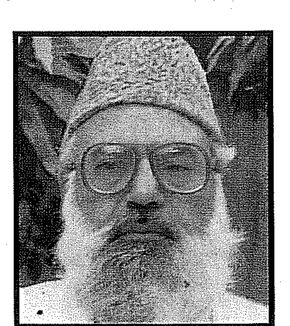


كيدهم ومكرهم في نحورهم

ومن الفلبين أبرق أمير الدين سرانجاني (مستشار مركز الشباب المسلم في الفلبين)، ومما جاء في رسالته: (ونحن إذ نعبر عن بالغ تألمنا واستنكارنا لهذا التصرف الشيطاني اللعين الذي أقدم عليه طاغية العراق.. فإنه ليسعدنا أن ننتهز هذه الفرصة الطيبة لنؤكد باسم اخوانكم المسلمين في الفلبين تضامننا الصادق وتأييدنا الكامل لدولة الكويت أميرا وحكومة وشعبا، رافعين الأكف إلى الله عز وجل بأن يحفظ الكويت من كيد الكائدين ومكر الماكرين، وأن يردّ كيدهم ومكرهم في نحورهم).

وأبرق حول نفس المعاني مختار حسين أمفاسو (عضو مركز الشباب المسلم في الفلبين).

خطوة العراق تخدم إسرائيل



● قاضي حسين احمد

ومن الباكستان أدلى القاضي حسين أحمد أمير (الجماعة الاسلامية) بتصريح أكد فيه وقوف الشعب الباكستاني إلى جانب الكويت وشعبها وحقوقها، مستنكرا الحركة الاستفزازية العراقية، ومما جاء في تصريحه:

(إن العمليات العسكرية التي نفذت عام ١٩٩٠م أضرت بجميع دول المنطقة أضراراً بالغةً، وأصبح المستفيد الوحيد من هذه الأوضاع هو (إسرائيل) التي زادت من قوتها ونفوذها في المنطقة).

(إن ما يزيد من خطورة هذه التحركات العسكرية انها حدثت في وقت تمر فيه منطقة الشرق الاوسط في مرحلة من اخطر مراحلها، لذلك نطالب بالانسحاب الفوري للقوات العراقية من الحدود الكويتية.. كما نطالب جميع الدول العربية والاسلامية ألا تقف وقفة المتفرج بل تتحرك فوراً لإنهاء هذه الأزمة).

الكويت سباق إلى الخير

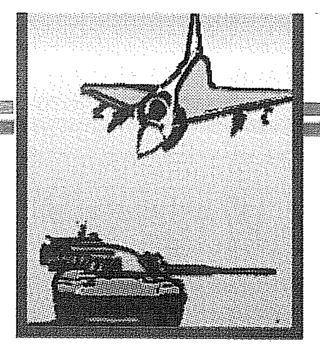
ومن أمريكا اللاتينية أبرق الشيخ احمد علي الصيفي نيابة عن (المؤسسات الإسلامية) المجتمعة بدعوة من (مركز الدعوة الاسلامية لأمريكا اللاتينية) ومركزه البرازيل، مستنكراً الحشود العراقية الاستفزازية.. ومما جاء في برقيته: (وإننا إذ نؤكد شجبنا لما حدث من قِبَل النظام العراقي نستنكر الاستفزازات العسكرية للكويت الحبيب الذي كان ولا يزال سبّاقاً إلى فعل الخيرات ومشاركا في معالجة قضايا المسلمين في العالم، ومساهما في تحمل الكثير من المشاريع الخيرية والانسانية، ورافعاً كلمة الحق).

الخزي والهوان للمعتدي

ومن نيبال أبرق الشيخ عبد الرؤوف الحماني (أمير أهل الحديث) باسم (جامعة سراج العلوم السلفية) وأعضائها وطلابها مستنكراً الحشود العراقية على حدود الكويت، مذكّراً بجريرة العدوان العراقي عام ٩٠م وما جره على الأمة العربية والاسلامية من جراح تحتاج وقتا طويلا لتندمل، وفضل الله على الكويت بالتحرير، وعلى العراق بالخزي والهوان.

حق الكويت الشرعي

ومن خان يونس بفلسطين أبرق الشيخ عبد الله بن سليمان المصري (رئيس جمعية دار الكتاب والسنة) شاجباً ومستنكراً الاستفزازات والاعتداءات العراقية، قائلاً: (كما وأن الجمعية تؤيد الحق الشرعي لحكومة الكويت على كامل ترابه).



تبرير مرفوض

أصـدرت جماعـة (الاخـوان المسلمـون) من القـاهـرة بيـانـاً تستنكـر فيـه الخطوة العـراقيـة، مذكـرة بموقفها من رفض احتلال الكويت يوم ٢/٨/٩٠م، رافضة تبرير الخطـوة العراقيـة الأخيرة، داعية اللـه تعالى أن يحمي الكـويت وشعبه، ومما جاء في البيان: (وفي هذه الأيـام تعود الحشود العسكرية العراقيـة على حدود الكويت بلا سبب وبلا داع لتثير الذعر بـالخطر، وتهدد سلامة الكـويت مرة أخرى، وهذا تصرف من العـراق مرفوض وغير مقبول ولا معقـول، ولا يقبل ما يشـاع من ان المقصود منـه هو الضغط على مجلس الأمن لرفع الحصـار المفروض على العراق لأن من شأن هذا التصرف الأهوج أن يزيـد الضغوط على العراق وشعبه الذي يـلاقي أشـد العنت من الحصـار المفروض عليـه، ومن ظلم حكـامـه الغلاظ الذين يسومونهم أبشع عذاب).

الكويت دار أمن وأمان

وباسم (المجلس الاسـلامي في ألمانيا) أبرق صـلاح الـدين الجعفراوي شاجبـاً (المهزلة التي يحاول النظـام العراقي تكرارهـا ولا ندري من وراء أو مـا وراء تلك المسرحية التي تـؤدي إلى زعـزعة استقـرار وأمن المنطقة) داعيا الله تعـالى (أن يجعل أرضَ الكويت دارَ أمن وأمان، وعز واستقرار، ورمزا للخير والعطاء).

الاستفزاز لا علاقة له بأي مبدأ شريف

ومن لندن أصـدر (مركز دراسـات المستقبل الاسلامي) مستنكراً الحشود العـراقية قائلا في رسالتـه: (إن مثل هذه الأعمال لا عـلاقـة لها بأي مبـدأ شريف بما في ذلك مبـدأ الدفـاع عن الشعب العراقي.. والـدفاع عن العـراق لا يكون بتهـديد الكـويت والتحـرش بأهلهـا، ولا بتوفير الأسبـاب والتبريرات المباشرة لتعطيل مهمـة حماية الأمن والاستقرار في المنطقة).

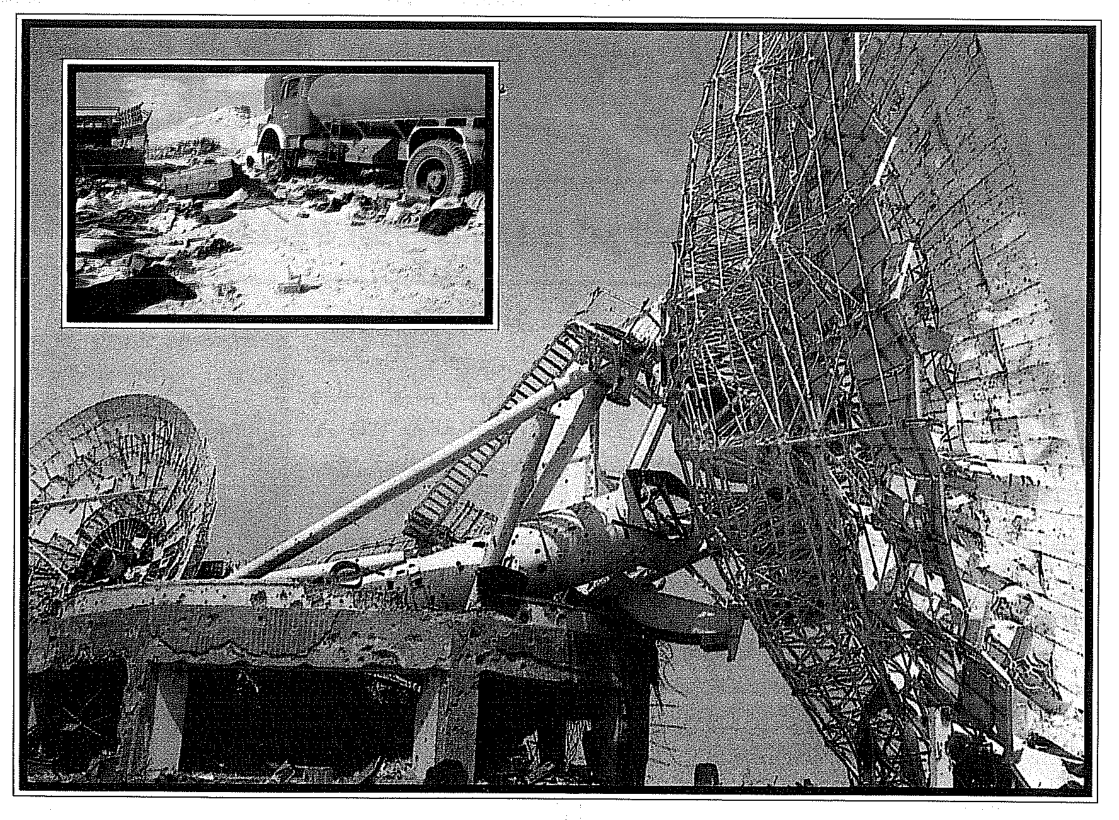
على العراق تنفيذ المواثيق

ومن مكـة المكرمـة أعـربت الأمـانة العـامـة لـرابطة العـالم الإسلامي عن قلقها لخطوة النظـام العراقي وتحركه العسكري، وجاء في تصريح لمتحدث باسمها:

(ان لشعب الكـويت الشقيق كل الحق في ان يعيش حـرا، وان يمارس سيادته على أرض بلاده نظرا لما اكـدته قرارات الجامعة العـربيـة، وقـرارات الامم المتحدة، وان العـراق مطـالب بالتقيـد بالانظمة والمواثيق الخاصة بالجامعة العربية، والتي كان العراق قد وقع عليها منذ ان قامت).

الظلم واحد لا يتجزأ

وجـاء في بيـان أصـدره عبد الـرشيـد الترابي (أمير الجماعـة الإسلاميـة في كشمير) التأكيـد على تضـامن الشعب الكشميري مع الشعب الكويتي تقديرا لمواقفه النبيلـة تجاه القضيـة الكشميريـة. وفيـه: (إن سيـاسـة صـدّام حسن تجاه الكويت لا تختلف عن سياسة القيادة الهندية تجاه كشمير في تجاهلهما لقـرارات الأمم المتحـدة وعـدم احترامهما لسيـادة الشعوب واستقلالها).



التصرف المشؤوم لا يرفع الحصار

وفي صنعاء أدلى محمد عبد الله اليدومي (الأمين العام للتجمع اليمني) بتصريح أعرب فيه عن أسفه البالغ للتطورات الواقعة على الحدود العراقية الكويتية التي أعادت إلى الأذهان ما وقع في ٢/٨/٩٠م (ذلك التصرف المشؤوم الذي لا زالت آثاره قائمة حتى اليوم). وأعرب عن رفضه (اللجوء لأساليب القوة لحل الإشكالات لأن عمليات الاستفزاز والتلويح باستخدام القوة ليست هي السبيل إلى رفع الحصار عن شعب العراق).

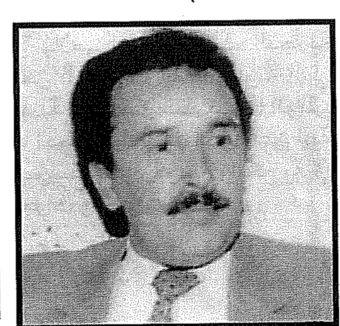
لابد من تقديم ضمانات كافية للكويت

وبمناسبة انعقاد مؤتمر الحوار الإسلامي القومي، وقّع عدد من التنظيمات الإسلامية المشاركة في بيروت على بيان مشترك يستنكر الحشود العراقية على حدود الكويت (في الوقت الذي يتطلع فيه الجميع إلى عودة التضامن العربي وتقديم كافة الضمانات لطمأنة الكويت وإطلاق الأسرى والمرتهنين لدى النظام العراقي). وجاء في البيان الذي وقعه كل من (الجماعة الاسلامية في لبنان) و(حزب النهضة التونسي) و(حركة حماس الفلسطينية) بالاضافة إلى كتاب ومفكرين ودعاة من مصر والجزائر وسوريا: (على العراق أن يسحب حشوده بعيدا عن الحدود الكويتية وان يعمل على حل مشكلة الأسرى والمفقودين الكويتيين، وأن يقدّم كافة الضمانات التي تطمئن الكويت خاصّة ودول الخليج عامّة بما يحفظ أمن المنطقة واستقرارها).

موقف وفاء

وأصدر البرفسور غلام أعظم (أمير الجماعة الإسلامية في بنغلاديش) بياناً ندد فيه بتهديدات العراق، وأكد وقوف قواعد الجماعة إلى جانب الكويت وشعبها وحقوقها ضد أي تهديد خارجي.


● غلام أعظم



دعوة إلى المخدوعين: أن استيقظوا

د. محمد منظور عالم (رئيس معهد الدراسات الموضوعية في الهند)، أبرق مستنكرا الاستفزاز العراقي الأخير، مؤيدا موقف الكويت الساعي إلى حفظ الحقوق، وردع المعتدي، ومما ورد في برقيته: (وهناك من لا يزال منخدعا بوعود النظام العراقي المعسولة، كما انه لا يزال في طيشه وغيه ولم يعد إلى رشده وصوابه، ولكنه تحرك حاليا تحركات عدوانية شكلت خطرا يهدد مرة اخرى أمن المنطقة وسلامتها، ومؤشرا يجر المنطقة إلى نفس الأزمة التي لا تزال شعوب المنطقة تجرع مرارتها وتتعذب بمخلفاتها، مما دفع المخدوعين إلى تغيير وجهات نظرهم، والخروج من حماة أحلامهم الكاذبة، فيقومون إن شاء الله بجانب الكويت وأهلها قومة رجل واحد إن حدثت لها حادثة، لا قدّر الله).

النظام العراقي نكبة للأمة

رئيس جمعية الصداقة الكويتية – الهندية (محمد هوشدار خان) أعلن في بيان صحفي أن الحشود العراقية على الحدود الكويتية دليل صارخ على أن القيادة العراقية ما زالت تعمل بأسلوب عدواني وانها لم تلق درساً من الهزيمة التي منيت بها في معركتها مع دول التحالف. وقال البيان: (إن النظام القائم في العراق لا يشكل خطورة للدول المجاورة فحسب بل إنه سبب معاناة الشعب العراقي كما انه يسبب في نكبة الامة الاسلامية، وذلك بإهدار امكانيات الدول الاسلامية وإشغالها في الحروب).

الإضرار الاستراتيجي

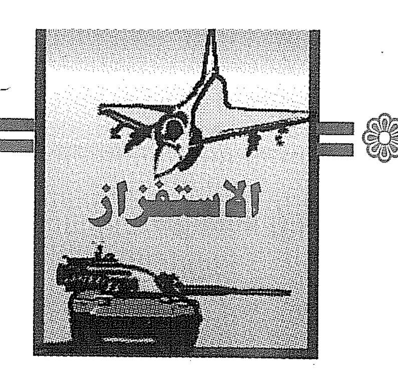
أعلنت (الرابطة الاسلامية الكردية) في بريطانيا استنكارها لتهديدات النظام العراقي، وأكدت في بيانها أن (تهديد النظام العراقي لأمن الخليج لا يراد منه إلا الإضرار بالمصالح الاستراتيجية للأمة الإسلامية وتجفيف منابع الدعوة والخير والإغاثة عن المسلمين).

برنامج توعية

ومن موسكو أبرق الداعية (أبو عصام) مستنكرا باسم مؤسسة (سار)، الاستفزاز العراقي مبيناً مسارعة الخطباء وأئمة المساجد بتخصيص يوم الجمعة (للدعاء للكويت وأهلها، وترجمة نداء وزارة الأوقاف الكويتية إلى الروسية وتوزيعه على الإدارات الدينية والجرائد والمجلات المحلية ليعرفوا الحق ولا ينخدعوا بمقولات النظام العراقي الواهية).

التنكر للجميل

من هولندا، أبرق الكاتب الاسلامي نبيل شبيب مستنكراً كل المحاولات لمعاودة الاعتداء على دولة الكويت وأمنها وشعبها ومقدراتها، ومما قاله: (الكويت التي مدت يد الأخوة والعون لكل شعوب العالم وخاصة لشعب وحكومة العراق ولكنها بدل ان تلاقي الشكر والعرفان لاقت كل انواع الحقد والاجرام والأذى والدمار الذي لا يمكن تخيله). ■



أقام العمل الخيري الكويتي خارج الكويت ٢٤٩٨ مسجدا وذلك لغاية عام ١٩٩٢م

الكويت.. دور رائد في التنمية

عاشت الكويت خلال الشهر الماضي أزمة جديدة سببتها التحركات والتهديدات العراقية اللا مسؤولة ووقفت عناية الله من جديد إلى جانب أهل الكويت ترد عنهم كيد الكائدين وظلم الظالمين وتسابق الأصدقاء والأشقاء لنصرة قضية الكويت العادلة وارتفعت الأكف إلى الله ضارعة أن يزيل الغمة ويكشف السوء عن عباده ويقصم ظهر المجرمين فاستجاب الله الدعاء واندحر المجرمون مرة ثانية يجرون وراءهم أذيال الخيبة والفشل.. ونحن في مقالنا هذا لا نريد أن نتكلم عن الحدث ومستجداته ونتائجه فهذه أمور أشبعتها وسائل الإعلام المختلفة بحثا ونقاشا ولكن نريد أن نتحدث عن الدور الرائد للكويت في دعم عملية التنمية ومساعدة الشعوب الفقيرة وإغاثة المنكوبين ومساعدة الأرامل والأيتام وجبر القلوب المكسورة ومساعدة المحتاجين وتأهيلهم وتدريبهم والمساهمة في بث الوعي الصحي والاجتماعي والتنموي وهذه أمور كانت بلا شك من الأسباب الأولى الرئيسية التي استحق بها أهل الكويت حفظ الله ورعايته ونصره وصدق الله العظيم: ﴿ أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ [النحل/٦٢].. وفي هذه الآية إشارة واضحة إلى أن الله سبحانه وتعالى مع عباده المؤمنين ينقذهم من كل شدة وبلاء كلما جعلوا الأمر إليه وأن رحمته تدرك عباده المضطرين وتكشف السوء عنهم وتأخذ بأيديهم كلما توجهوا بإخلاص إليه..

من المحلية إلى العالمية

إن المتتبع للعمل الخيري الكويتي خلال

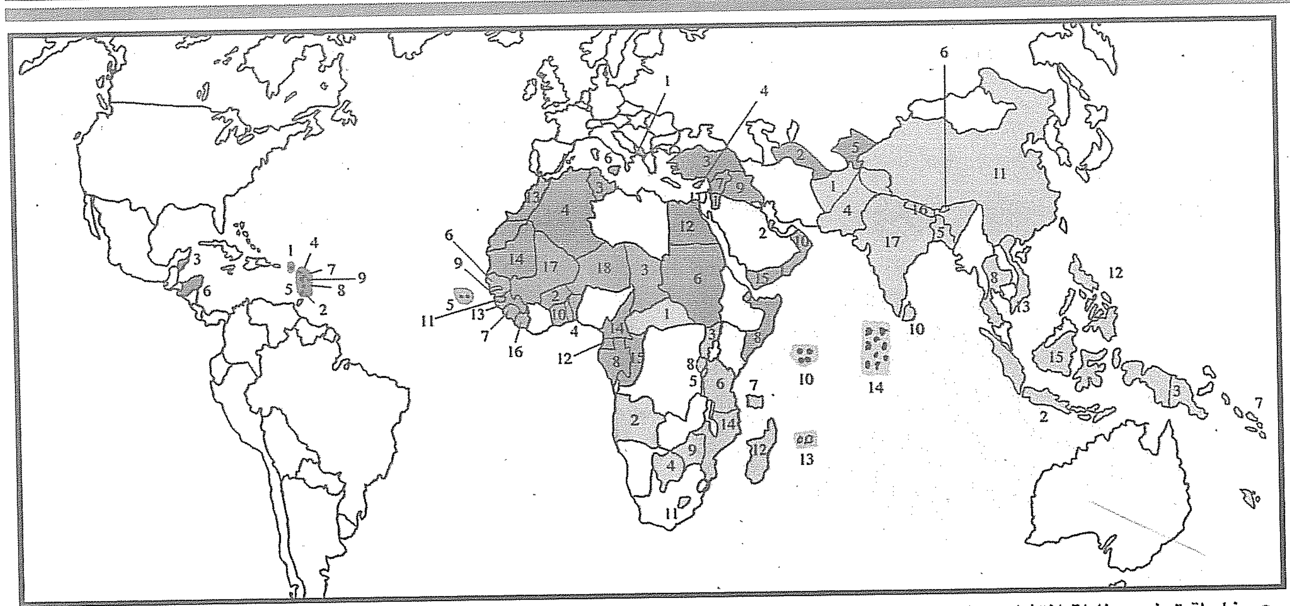
إعداد: التحرير

السنوات الأخيرة لابد له أن يقف وقفة تقدير واحترام للعاملين في هذا الميدان الإنساني النبيل ويقدر جهودهم الخيرة النبيلة على المستويين المحلي والعالمي وبهذا العمل الدؤوب تتجسد معاني التكامل والتراحم والتعاون بين المسلمين ويبرز وجه الكويت المشرق في مجالات الخير والعطاء، لقد استطاع هذا العمل أن يبرهن على تعاطف شعب الكويت من القضايا العادلة والمعاناة الإنسانية في بقاع مختلفة من أنحاء العالم فإنجازاته عمت قارات بأكملها مثل القارة الأفريقية والآسيوية وصارت المساجد والمدارس والمستوصفات والمستشفيات والمشاريع الإنتاجية بأنواعها التي شيدها أبناء الكويت الأبرار في أنحاء المعمورة شاهداً واضحا على العطاء الكويتي الإسلامي والإنساني والمشاركة الوجدانية لآلام الشعوب وتطلعاتها لمستقبل أفضل، وفي كل هذه البقاع عندما تذكر الكويت يذكر عطاء الخير ورسل الخير والسلام الذين طافوا بقاع العالم يواسون الفقير والمحتاج ويكفلون اليتيم، كما اهتمت مؤسسات الخير الكويتية بالجانب الدعوي فشجعت الأعمال الدعوية التي تستهدف التعريف بديننا الإسلامي الحنيف والدعوة إلى التمسك به وذلك عبر مشاريع كفالة الدعاة وإنشاء المساجد ومراكز تحفيظ القرآن الكريم وإصدار المجلات الدورية وبناء المدارس والمعاهد والجامعات التي تعنى بتخريج كوادر إسلامية متخصصة في شتى المجالات لتساهم بنشر أنوار العلم والإيمان في بلادها..هذه التجربةالكويتية الناجحة قدمت أيضا تجارب رائدة للهيئات والمؤسسات الخيرية العاملة في الوطن العربي والإسلامي لدرجة أن هذه التجربة أدخلت ضمن الدورات التدريبية التي ينظمها أحد أكبر مراكز التدريب في الوطن العربي كما قدمت دراسات أخرى عن آلية إنشاء المؤسسات الزكوية والخيرية في بعض المؤتمرات والندوات.

أرقام وحقائق

وإذا أردنا للغة الأرقام والإحصاءات أن تتكلم عن العمل الخيري الكويتي وإنجازاته الخارجية فلنلق نظرة سريعة على هذه الإنجازات كما وردت في كتاب «كويت الخير» الصادر عن بيت الزكاة عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

وبعيداً عن العمل الخيري وإنجازاته التنموية أنشأت الكويت «الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية» عام ١٩٦٢ تأكيدا منها على مواقفها الثابتة في مساعدة الدول النامية وتقديم العون لها رغم ضآلة الموراد المتوفرة لديها بسبب الخسائر الضخمة التي منيت بها نتيجة الاحتلال العراقي الغاشم عام ١٩٩٠م وقد اكتسب الصندوق منذ تأسيسه خبرة عملية واسعة في مجال التعاون من أجل التنمية وعمل على تطوير أساليبه في ضوء التجارب المكتسبة لتمكين الدول المستفيدة من تحقيق أفضل النتائج المكنة والأهداف المرجوة من العمليات الإنمائية.. وقد قدم الصندوق خلال الفترة من ١٩٦٢/١/١-١٩٩٣/٦/٣٠ (٤٢٨)



● خارطة توضح مناطق انتشار مساهمات الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية

قرضا بقيمة إجمالية قدرها ٥ر٢٠٦٨ مليون د.ك، وقد بلغت القيمة المحسوبة من إجمالي القروض لحساب تنفيذ المشروعات حوالي ١٣٩٦ مليون دينار كويتي أما الدول المستفيدة من هذه القروض فقد بلغ عددها ٦٩ دولة بينها (١٥) دولة عربية و(٣٠) دولة أفريقية و(٢٠) دولة آسيوية وأوروبية و(٤) دول في أمريكا اللاتينية وحوض الكاريبي وقد بلغ نصيب الدول العربية من إجمالي القروض ٥٥٪ والدول الأفريقية ٩ر١٦٪ ودول آسيا وأوروبا ٣ر٢٧٪ ودول أمريكا اللاتينية والكاريبي ٨ر٠٪ كما قدم الصندوق منحا ومساعدات فنية بلغت حتى ٣٠ يونيو ١٩٩٣م حوالي ١٦١ مليون د.ك إضافة لمنح ومساعدات فنية مقدمة من الصندوق للمؤسسات العربية والإقليمية والدولية بلغت أكثر من ٥ر١٣ مليون دينار والجدول الآتي يبين مساهمات الصندوق في مؤسسات التنمية العربية والإقليمية والدولية حتى ١٩٩٣/٦/٣٠م.. هذا غيض من فيض من عطاء الكويت لا نذكره في هذه العجالة على سبيل التباهي أو المنة على الآخرين ولكن نذكره لإقامة الحجة على أولئك الذين تنكروا للكويت وقلبوا لها ظهر المجن أثناء المحنة ووقفوا إلى جانب الطاغية يرددون أكاذيبه وأباطيله الملفقة ظنا منهم أن مثل هذا الموقف سيحجب نور الحقيقة عن الآخرين. إن التاريخ سيسجل بأحرف من نور هذه الأعمال الإنسانية الخيرة التي نفذها وينفذها أهل الكويت حكومة وشعبا لا يبغون من ورائها جزاء ولا شكورا اللهم إلا مرضاة الله عز وجل والعمل لخير الإنسان بغض النظر عن انتمائه أو لغته أو مذهبه. يخطون للأجيال قاطبة معالم واضحة في طريق البطولة والتضحية والفداء ■

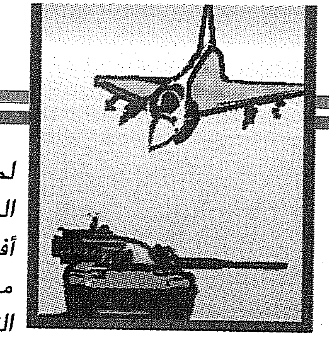
مساهمات الصندوق في مؤسسات التنمية العربية والإقليمية والدولية حتى ١٩٩٣/٦/٣٠م

البيان	الملتزم به	المدفوع
١) الصندوق العربي لاقتصادي والاجتماعي	١٦٩,٧٠٠	١٦٩,٧٠٠
٢) المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا	١٤,٦١٦	١٤,٦١٦
٣) الصندوق الأفريقي للتنمية.	٤٦,١٢٤	٣٣,٦٤٩
٤) المؤسسة العربية لضمان الاستثمار.	٢,٠٠٠	٢,٠٠٠
٥) البنك الأفريقي للتنمية	٢١,٢٢٨	٢,٥٤٤
٦) مؤسسة التنمية الدولية	٢١,٨٩٠	٥,٦٢٦
٧) الصندوق الدولي للتنمية الزراعية	٣٨,١٠٠	٣٠.٣٨٩
٨) برنامج الصندوق الزراعي الخاص بالدول الأفريقية جنوب الصحراء.	٤,٣٢٢	—
المجموع	٣١٨,٠٨٠	٢٥٨,٥٢٤

الإحصائية الرئيسية للنشاط الخارجي *

نوع النشاط	العدد	المبلغ
بناء مساجد	٢٤٩٨	٥٦٣٢٩٨٤
بناء مدارس ومعاهد وكليات	٧٤٩	٢٤٦٣٥٧١
مراكز إسلامية	٦٧٥	٣٨٩٥٣٤٧
دور أيتام	١٢٦	٨٤٧٥٧٦
مستوصفات ومستشفيات ومراكز صحية	٢٣٥	١١٨١٧٨٨
حفر آبار	٣٨٦٢	١٠٧٠٥٨٥
مساكن	٣٢٥٢	٩٨٣٠٣٤
مشاريع إنتاجية	٤٦٤٢	٤٩٣٩٦٠
دعم الزكاة	٦٧	٢٨٧٩٩٥
نشر قرآن وحديث	٩٥٨٨٥٦٨	٥٦٣٠٦٥٩
كفالة أيتام	٩١٠٠٠	٧٣٣٧٦٤٩
كفالة طلبة علم	٢٠٠٨	٩٥٥٥٩٥
كفالة داعية	٨٨٤	١٩٥٦٠٣

* الصندوق الكويت للتنمية الاقتصادية العربية



مسلسل الدواهي

لم تر الأمة في العصر الحديث أفدح ولا أقسى من هذه الأيام التي تمر عليها عجافا تجر الدواهي، غلاظا تقذف الصواعق، تفتت الأكباد قبل الديار، وتمزق القلوب قبل الأوطان، وتحرق الأحشاء قبل الثروات، كأنها والنحس على ميعاد، والخراب على قدر، تسعى إليها البلاد تحمل المنايا وتهرول إليها الخطايا تحمل الرزايا، ليلها فقد المصباح، ونهارها فقد الشموس، ودربها فقد الهداة، وفكرها فقد العقول، وقلبها فقد البصيرة، وجسدها فقد الإحساس، ومجتمعها فقد الرائد، ودستورها فقد العدالة، ولسانها فقد الحرية، وأصبحت الأمة خشبا مسندة ونصبا قليلة، ينعق فيها غربان الخراب، ويمرح في جنباتها بوم النحس، ويمسك بتلابيبها مغامروا الضياع، يأكلون لحوم الناس ويمتصون دماءهم وأموالهم، ويخربون ديارهم.

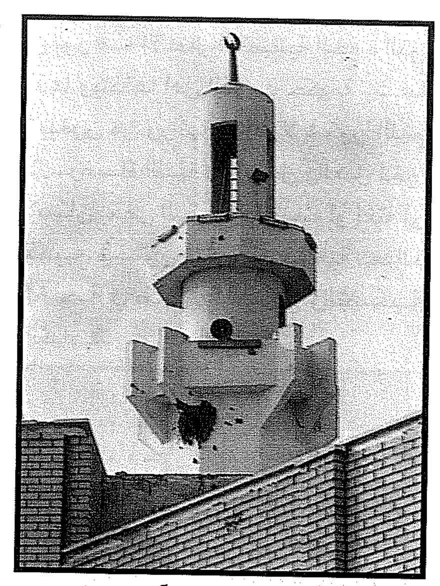
بقلم: د. توفيق الواعي *

الدكتاتوريون الذئاب

أصيبت بنوع من البشر تولوا سدتها وهمشوا هويتها وقادوها لرغباتهم وأهوائهم بالحديد والنار، وقد أطلق العصر الحديث على هؤلاء أسماء معينة، منها الحكام العسكر، ومنها الطاغية السفاح، ومنها الدكتاتور الذئب، ويسمى في الاصطلاح القرآني (فرعون)، وقد عرف الاصطلاح الأوروبي والفكر السياسي الغربي الطاغية بتعريفات متقاربة، ويقول (جون لوك) معرّفاً الطاغية بتعريف يكاد يكون هو نفسه تعريف (أرسطو) فيقول: (إذا كان الاغتصاب هو ممارسة إنسان ما لسلطة ليست من حقه، فإن الطغيان هو ممارسة سلطة لا تستند إلى أي حق، ويستحيل أن تكون حقا لإنسان ما)..

ويقول أرسطو: (إن الطاغية هو الذي يستخدم السلطة التي انفرد بها لصالحه الخاص).

ويقول الملك جيمس في خطابه أمام البرلمان الإنجليزي سنة ١٩٣٠م: (إن الفرق بين الملك والطاغية، هو أن الأول يجعل من القوانين حدا تنتهي عنده سلطته، كما أنه يجعل من خير المجموع الغرض الأساسي لحكمه، أما الطاغية فلا حد لسلطته، كما أنه يسخر كل شيء لإرادته ورغباته)، وإن كان من الممكن الجمع بين الخاصيتين في خاصية واحدة، هي: (عدم المساءلة) فهو كما قال القرآن الكريم: ﴿ لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ﴾ [الأنبياء:٢٣]..



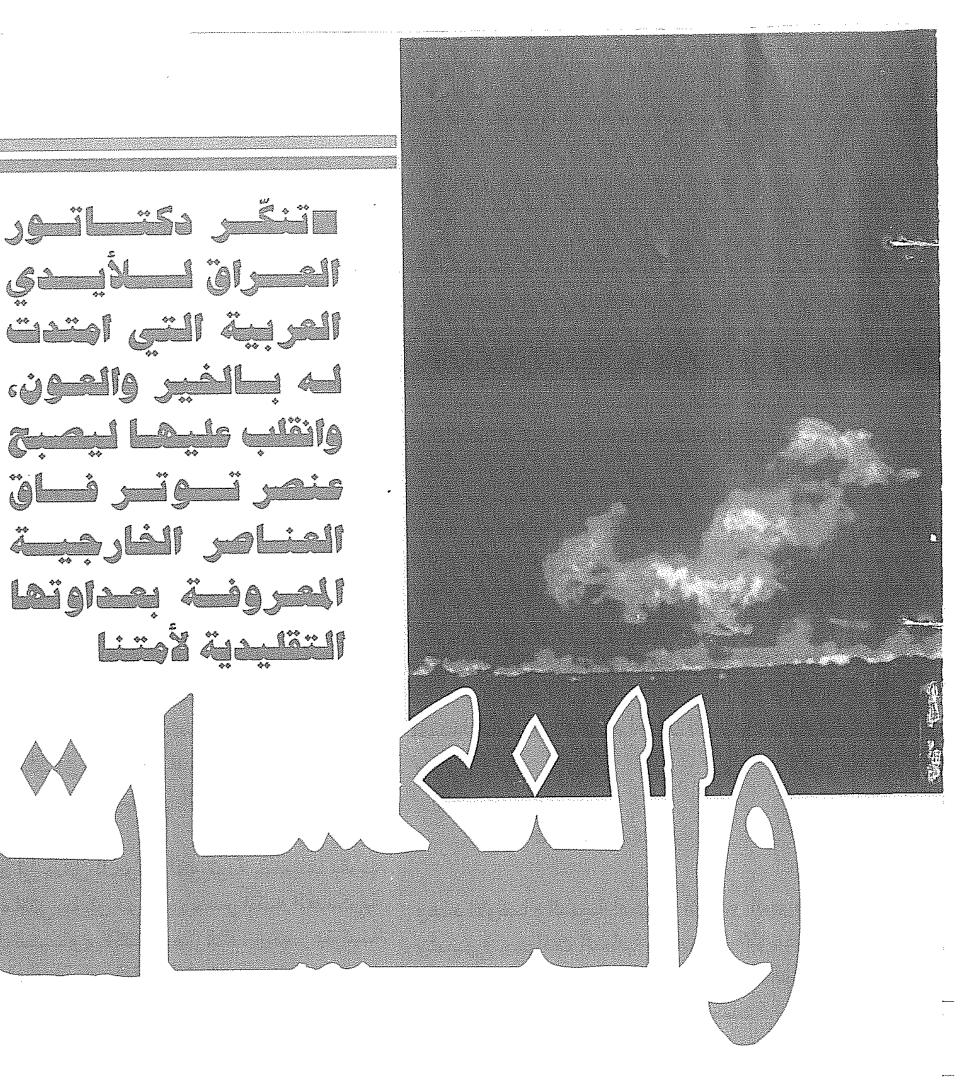
● من هنا مرّ الغزو، وبقيت مآذننا شامخة

وشهوات طغاة اليوم أصبحت أوسع من ذي قبل وأكثر إلحاحا وأشد تدميرا، لأنها تختلط بأحلام اليقظة، وأمجاد الجنون، وتكنولوجيا الدمار، وتتميز بإشاعة الفوضى، وإثارة الاضطراب، وزرع البلبلة، وخلق العداوات، وبذر الفتن وضرب الناس بعضهم ببعض، وتحريض الناس إلى عدو مصطنع، وخطر متوهم، حتى تشعر الجماهير بحاجتها إليه وحمايتها من الأخطار المحدقة والكوارث المتوقعة، ثم يقصد الدكتاتور بعد ذلك إلى تحطيم القوى الفاعلة في الأزمة حتى لا تعلو عليه أو تسبب له حرجا معيبا ولهذا يفترق الطاغية عن الحاكم العادل بأمور منها:

١) يهتم الحاكم العادل بحماية الشعب ومنع الظلم والإهانة عنه ويحفظ له كرامته وينمي فيه الخير والمعروف، أما الطاغية فهو عكس ذلك، يفسح المجال لأنظمة القمع والإرهاب..

٢) يهتم الطاغية بمنافعه الشخصية والمتعة الذاتية على حساب آلام الناس ومعاناتهم

* أستاذ بكلية الشريعة/ الكويت



■ تنكّر دكتاتور العراق للأيدي العربية التي امتدت له بالخير والعون، وانقلب عليها ليصبح عنصر توتر فاق العناصر الخارجية المعروفة بعداوتها التقليدية لأمتنا

والنكسات لحساب من ولماذا ؟!

ويطمع في المال والثروة، ولهذا فكل طاغية يبدأ صفر اليدين ولا يلبث قليلا حتى يكون من أصحاب البلايين من دماء الشعوب الفقيرة وعرقهم..

٣) يعتمد الطاغية في حراسته على المرتزقة سواء كانوا من الأجانب أم من منافقي الأمة والمرتشين الذين يغدق عليهم بغير حساب ويقلدهم المناصب وي١١ م الرتب والنياشين بغير حق ولا جدارة إرضاءا واستعبادا لظهورهم وأفكارهم..

٤) يتصف الطاغية بعدم الثقة في الشعب والأمة ولهذا يفزع من حمل الناس للسلاح أو تدريبهم عليه مخافة على نفسه، ولهذا تراه محروسا بكثير من الجند تتخذ له الاحتياطات والاستحكامات ورغم ذلك ترتعد فرائصه..

٥) يقف الطاغية من المشاهير والعباقرة والأعلام موقف العداء، فالقادة العظام والساسة والمثقفون وأصحاب القدرات تزعجه فيضع الخطط العلنية والسرية للقضاء عليهم، ولهذا تجد الأمة بعد فترة قفرا من هؤلاء، إما تواريا عن الأنظار لإظهار غيرهم من العجزة والمحاسيب والمنافقين، أو خوفا من الظهور البروز الذي تعرف عواقبه..

٦) تدمير روح المواطنين وزرع الشك وانعدام الثقة بينهم، وتشجيع أعمال الخسة والضعة فيما بينهم مثل تجسس الأخ على أخيه أو أبيه أو أسرته أو زملائه، وتهوين العيش بلا كرامة، واستئصال أصحاب الشرف والفضيلة وكل من يرفع رأسه..

٧) الخوف من العمل الجماعي والأحزاب والتجمعات الوطنية حتى لا يجتمع رأي الناس على شيء أو تكون هناك قوة غير قوة الحاكم ورأيه المؤثر في الأمة، أو تكون هناك إرادة أو أداة توجيه تجمع الناس حول رأي مخالف..

٨) امتلاك وسائل الإعلام والصحافة وأدوات التأثير في الأمة، حتى يسهل بها عمل غسيل مخ للأمة كل حين، وحتى لا يتسرب إليها شيء من التجاوزات أو المخالفات التي لا يرغب في نشرها، والتي تفضح تصرفات معينة، وحتى يسمع الناس كل شيء من جانب واحد، ويتم تنفيذ القولة المشهورة: ﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ [غافر:٣٨]..

٩) محاولة كشف أسرار الناس والتجسس عليهم ولهذا تكون أجهزة المخابرات عند الدكتاتور هي أكفأ شيء في نظامه، حيث تستعمل أجهزة التصنت والتجسس بكثافة وتجند الأعداد الكثيرة من الرجال والنساء لهذا الغرض، ولهذا يكتم الناس أخبارهم بداخلهم لأنهم يهابون العيون، وتتعود الناس على الجبن والنفاق، وتؤخذ الناس بالظنّة وتكثر الفرص لاصطياد الناس، واتهامهم وتصفية الحسابات مع المخالفين أو الخصوم..

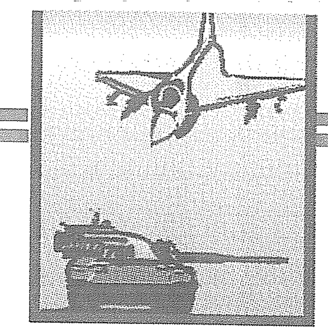
١٠) لا يهتم الطاغية بأحوال الأمة الاجتماعية لأسباب كثيرة، لأنه ليس من أصحاب الاختصاص أو العقول، ولأن ذلك ليس في أولوياته، ولأن أجهزته غير مؤهلة لذلك، ولأن إفقار الرعية قد يشغلهم، ويلهيهم بلقمة العيش والبحث عن القوت حتى لا يفكروا في التآمر أو التمرد، وإن فكروا فلا يجدوا الوقت الكافي أو المال اللازم لذلك..

١١) الإكثار من أعمال السخرة لعامة الناس والفقراء، والاعمال اللاإرادية، ولهذا نرى في أزمنة الفراعنة استغلال الناس في بناء الأهرمات والمعابد الهائلة، وحفر القنوات كقناة السويس التي مات فيها من السخرة الآلاف إرهاقا وجوعا ومرضا. والإرهاق بفرض الضرائب وجمع الإتاوات والرشاوى في هذه الأجواء..

١٢) اختيار المفسدين والمطيعين والملوثين والانتهازيين للقيادات، والاعتماد على الغوغاء في تأييد الحكم والتصفيق له، لأنهم يسهل خداعهم والتأثير فيهم وبث الأماني الكاذبة في روعهم.

الدكتاتور وجنون العظمة

رغم أن الدكتاتور غالبا ما يكون نصف متعلم



أو جاهلا جهلا مطبقا، إلا أنه يدعي العبقرية، ويتقمص الإلهام ويلبس عباءة المبدعين ويتقلد خوذة الأبطال ويرتدي صولجان الفاتحين، ومع أن الطاغية يكون حتما بلطجيا أو همجيا، إلا أنه يعلن أنه رائد الإصلاح ومنقذ الأمة ومبعوث العناية الإلهية، وقد قرأت لكاتب مصري يصور طاغية الخليج تصويرا نفسيا فيتوغرافيا في كلمة له بعنوان (الزملطجي) فيقول: (هذا الرجل زلنطحي، والزلنطحي هو مزيج من البلطجي، والأونطجي، والزنديق واللص، وإن كان الزلنطحي يزيد عليهم جميعا في أشياء ولا يقل عنهم في شيء..

وفي كل من الزلنطحي جزء من البلطجة... وشيء من الأونطة، وكثير من الزندقة واللصوصية ويحتاج الزلنطحي ألى صوت جهوري جبار، وموهبة تمثيلية، وهو يبدأ تمثيليته عادة بزعقة هائلة يلم بها الناس ويسترعي انتباههم، ليضحك على الناس، ثم يخدعهم ويرمي بلاءه على أحدهم وينقض عليه كالذئب الجائع)..

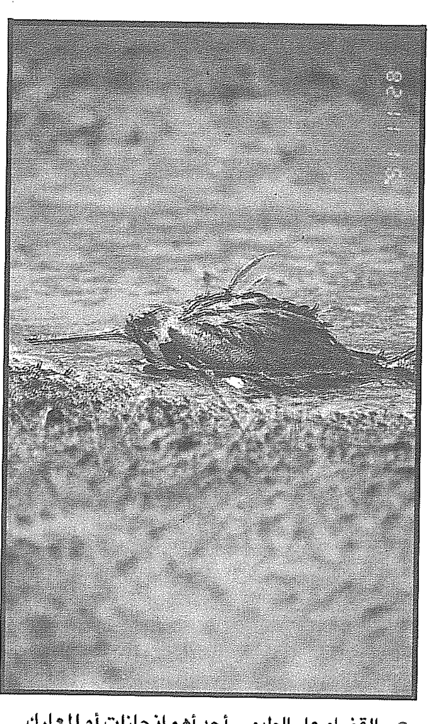
ورغم هذا التصوير الناصع إلا أن الطاغية يريد أن يكون له دور في المنطقة، أي دور تظن أو يظنه معك عاقل مجرد عاقل يدرك الأشياء، أهو دور الفلاح أو العامل أو الموظف في بلدية، لا، وإنما ويالهول هذا الدور، إنه دور الرائد في المنطقة والمصلح في الأمة والمهيمن على الشعوب وباعث نهضتها، وقائد مسيرتها!! ولكني أتساءل وتتساءل معي كل الأمة:

ما هو الدور الذي كان لصدام في العراق، ذلك البلد البترولي صاحب الانتاج الغزير، والاحتياطي الهائل، والزراعي صاحب الأرض الخصبة المترامية الأطراف والمياه العذبة الغزيرة، والأيدي العاملة الرخيصة والشعب محدود العدد والمطالب؟ أين ذهبت هذه الثروات وكيف استغلت، وما هي آثار هذه الموارد في هذا الشعب الذي نكب نكبة يصعب تصورها، وتدور الرأس من هولها والتفكير فيها؟ ولنتعرض لبعض منها حتى نكون على ذكر، وحتى يظهر مقدار الدور الذي يريده الطغاة!

الحالة الاقتصادية

رغم أن العراق بلد بترولي وزراعي ذو ثروات وإمكانات، وكان يعيش حتى قبل النفط في مستوى متوسط لا بأس به إلا أنه وبعد أن حكم بالعسكر وتولته الدكتاتورية وكان ذلك في مرحلة تدفق الثروات وازدياد تصدير النفط الذي در على العراق وغيره دخولا هائلة، وكان ينتظره ثراء لا يقل عن إخوانه في الخليج إلا أنه، ظل ينحدر ويتدهور ويسوء حاله إلى أن صار يتكفف الناس، وذلك بأسبابه ومسبباته وسياسته التي ما فتئت تضحك التكلى، ولك أن تتصور بلدا تدخل حربا لا ناقة لها فيها ولا جمل قرابة العشر سنوات تهلك من مالها وسلاحها ورجالها وطاقاتها وتوقف تنميتها وتحطم بنيتها كيف تكون وإلى أي وضع تصير وعلى أي حال توجد؟ ولك أن تتصور تقرير المعهد الاستراتيجي الدولي للدراسات الاستراتيجية حين يذكر أن العراق البلد البترولي الزراعي يخرج من حرب إيران مدينا بمائة مليار دولار، وذلك قبل غزو الكويت، أليس هذا شيء يدير الرأس والعراق بلد صغير؟!

وبعد أن دخل الحرب الكويتية خسر ما يقرب من مائتي مليار دولار، وخسر آلته العسكرية التي تساوي أكثر من ذلك، وخسر بنيته الصناعية ومرافقه التحتية، وخسر القسم الأكبر من رجاله وخسر شعبه وروحه المعنوية وخسر سمعته وهيبته واحترام الجميع، وتدنى كل شيء، وانهار اجتماعيا ونفسيا وماليا ومعيشيا، فلك أن تتصور تقدير ذلك في النقد بالأرقام، فمثلا قبل الحرب كان سعر الدينار يعادل ثلاث دولارات، ومنذ عام وصل سعر الدولار (٧٠) دينارا، وفي يناير الماضي وصل (١١٠) دنانير، وفي نصف أغسطس بلغ سعر الدولار (٦٥٠) دينارا ولا يعلم إلا الله كم ستصير الأمور، ولك أن تتصور الحالة الاجتماعية في هذا الغلاء فمع هذا قد تضاعفت الأسعار بنسبة تتراوح بين ١٥٠٪ و ٢٠٠٪ في المائة في حين ظلت المرتبات على ما هي عليه، ولا يتجاوز دخل الموظف ٥٠٠ دينار، أي أقل من دولار واحد شهريا، ثمن بيضة أو خمسة كيلو جرامات من الذرة، وقد أوضح محمد مهدي صالح وزير التجارة أن الدولة تضمن لكل مواطن بين ٥٠ أو ٦٠٪ من احتياجاته الأساسية ورغم ذلك فإن سياسة الدعم أدت إلى زيادة نسبة التضخم لتصل إلى ألف في المائة سنويا.



القضاء على الطيور، أحد أهم إنجازات أم المعارك

انتشار الجريمة

وهذه الأوضاع السيئة أدت إلى انتشار الجريمة وشيوع حوادث السلب والنهب في الأوساط الشعبية بل في المجتمع كله بشكل لم تعهده العراق في أزمانها المختلفة، وقد حصلت - كونا - وكالة الأنباء الكويتية ، على تقرير أعدته السلطات العراقية عن أسباب تفشي الجريمة في البلاد بشكل لم يسبق له مثيل، جاء فيه:

إن ارتفاع الأسعار بشكل خيالي لمختلف المواد الغذائية والمعيشية والكمالية والمواد الإنشائية والصناعية. دفع الفقراء وذوي الدخل المحدود إلى امتهان السرقة لعدم تمكنهم من إطعام الأفواه الجائعة، واعترف التقرير بضعف السيطرة المركزية للحكومة على المناطق الشمالية والجنوبية، واستغلال ذلك من قبل بعض رجال الدولة والمحسوبين عليها في تشكيل عصابات لسرقة السيارات الحكومية والأهلية وبيعها في هذه المناطق.

هذا؛ وقد أكد تجار عراقيون إن عمليات السطو المسلح أصبحت ظاهرة مخيفة، ورجح بعضهم أن يكون لهذه العصابات سند قوي من بعض الرموز في السلطة. كما أشاروا إلى أن بعض المؤسسات الحكومية، والأهلية بدأت هي الأخرى في السطو على الممتلكات، مؤكدين، أن قوة مسلحة تابعة للجنة الأولمبية العراقية داهمت السوق العربي، وسط المنطقة التجارية في بغداد وسيطرت على جميع المحلات التجارية وأبلغت أصحابها بمصادرتها وتحويل السوق من ممتلكات خاصة إلى ممتلكات عامة. كما تقرر وضع اليد على مجمع تجاري في منطقة

شارع الخيام في الباب الشرقي حيث يوجد مسرح ودور للسينما ومحال تجارية، وباشرت اللجنة الأولمبية تصفية مواردها لإدارتها بنفسها. هذا؛ وقد انتشرت المصادرات للأموال الخاصة بأوهى الأسباب لتوضع تحت تصرف رجال السلطة فتذوب كما يذوب الجليد.

النار في مجتمع الضحايا

ومما هو معروف للعامة والخاصة أن الحرب العراقية الإيرانية قد كلفت العراق الكثير من الخسائر المادية والبشرية التي انهكت العراق وسحقت جنده وآلته العسكرية وثرواته، ولسنا في مجال حصر الخسائر الكبيرة جدا في هذه الحرب ، ثم لم يكد العراق يفرغ من تلك الحرب حتى اشتاق حكامه بقيادة دكتاتوره إلى الدخول في حرب أخرى بغزو الكويت، فقام بمغامرته التي أثارت عليه وعلى المنطقة وعلى الأمة من البلاء ما فاق التصور ، حيث جر القوى العالمية إلى المنطقة، ودمر ما دمر، ولكن كان تدميره لنفسه أشد وانكى إيقاعه بجنده افتك وأقوى.. ويسعنا في هذا المقام ان نذكر تقرير شبكة إن .بي. سي التلفزيونية التي أذاعته في ٣/٣/١٩٩١م عن حجم الخسائر البشرية الناجمة عن حرب الكويت، حيث ذكرت أن ١٥٠٫٠٠٠ (مائة وخمسين ألف) جندي عراقي قتلوا خلال المعركة في تحرير الكويت، وقالت الشبكة إنها حصلت على هذا الرقم من مسؤولي المخابرات في الولايات المتحدة ودول التحالف، في حين ذكرت صحيفة (وول ستريت جورنال) في ٢٣/٣/١٩٩١م إن حرب تحرير الكويت كلفت العراق ما لا يقل عن ١٠٠٫٠٠٠ مائة ألف قتيل طبقا لما ذكره مسؤولون أمريكيون عن تقديرات غير رسمية أرسلها نوارزكوف منهم ٦٠-٧٠ ألف قتلوا أثناء الحملة الجوية، و١٥-٢٠ أثناء الهجوم البري.. وأعلنت مجموعة تحقيق فرنسية في ٢٧/٥/١٩٩١ أمضت ستة أيام في العراق أن ١١٠٫٠٠٠ إلى ١٥٠٫٠٠٠ عراقي قتلوا في الحرب بينهم ٣٥٠٠٠ مدني، أما منظمة السلام الأمريكية فأشارت إلى مقتل أكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ عراقي نصفهم من المدنيين، هذه هي أرقام التقديرات التي ذكرها المختصون، وأشارت إليها ملفات الحرب في الدول التي اشتركت في الحملة، وهي تقديرات تدل على أن حجم الخسائر كان كبيرا على دولة صغيرة مثل العراق وعلى دولة خرجت من حرب إيران قريبا ومازال دماء جنودها لم يجف في ساحة المعارك.. ورغم ذلك فإن إرهاب النظام ومعاركه مع الشعب يخلف كوارث أخرى ويوقع بضحايا جدد تماثل ضحايا المعارك، ويقول أدور جرجيان مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط في شهادة له، أن لدى الولايات المتحدة معلومات من مصادرها أن هناك محاولة انقلاب وقعت أخيرا في العراق للإطاحة بصدام حسين، أعدم النظام فيها حوالي ١٢٠٠ جندي وضابط نتيجة المحاولة، وإن الإعدامات بالعشرات تتم كل يوم لأوهى الأسباب حيث يعامل الناس بالظنة..

كما لايتورع النظام بضرب الناس بالغازات السامة، تقول مصادر المجلس الأعلى للمقاومة العراقية، إن النظام العراقي ضرب ثلاث قرى في الأهوار بالغازات السامة بتاريخ ٢٩/٩/١٩٩٣م، وذكر في لندن نقلا عن شهود عيان أن غيمة بيضاء من الغاز غمرت عددا من القرى وسببت موتا وقروحا لدى السكان ونزيفا وضيقا بالتنفس، وقال متحدث باسم المقاومة أن العدوان أسفر عن وقوع حوالي ٢٠٠ شخص من المدنيين في وجبة واحدة، وذكرت إذاعة بي. بي. سي، أن الأطباء الذين تمكنوا من الفرار كانوا قد أخبروهم بأن العدوان كان رهيبا، كما أكدوا أن القوات العراقية قد استعملت في يوليو عام ٨٨ الأسلحة الكيماوية ضد الأكراد في حلبجة وقتل آنذاك ٥٠٠ شخص وجرح نحو ٣٠٫٠٠٠ وفر فيما بعد نحو ١٠٠ ألف إلى الحدود مع تركيا وإيران.

هل نجا الذين ساعدوه

إن طبيعة الدكتاتورية في أي زمان طبيعة متقلبة وعدوانية ومدمرة والدكتاتوريات العربية من أسوأ الدكتاتوريات على الإطلاق، ويجب أن يلتفت كل مخلص إلى ذلك فيعرف أن مساعدة دكتاتور هلاك للأمة وهلاك للناس وهلاك للثروات، ولقد وقفت الكويت والسعودية إلى جانب الشعب العراقي في محنه وشدائده، فماذا كانت النتيجة؟ كان أن انقلب دكتاتور بغداد على من ساعدوه واحتل الكويت وجلب الكوارث على المنطقة بأسرها وبدد ثرواتها.. ويكفي أن نعلم أن حرب الكويت فقط دفعت فاتورتها حوالي ٧١ مليار دولار، هذا عدا الخسائر البشرية والمادية الهائلة. وكانت هذه الفاتورة وحدها تكفي لتصنيع الدول العربية واستثمار مواردها وإعطائها دفعة حضارية تستطيع بها أن تنهض من تأخرها، هذا عدا ما أدخله على الأمة من تمزق وبلاء وعداوات تظل تعاني منها مئات السنين، وأخيرا فقد استطاع الغزو العراقي للكويت أن يحقق كثيرا من الكوارث هذا بعض منها مما قرره المحللون في هذا الشأن:

أولا: صرف الغزو العراقي أنظار العالم عن مشاكل المسلمين الحقيقية، وعن قضاياهم الجوهرية التي يجب أن يتحدوا أمامها.

ثانيا: صرف الغزو أنظار العالم عن عمليات الإبادة في فلسطين وغيرها من بقاع العالم وركز على ما يفعله المسلمون بعضهم مع بعض.

ثالثا: أثبت الغزو أن العالم العربي، بكل اتفاقاته ومجالسة الرباعية والثلاثية والخماسية، أثبت أن هذا كله حبر على ورق.

رابعا: أتاح الغزو للعالم الخارجي أن يتدخل في المنطقة العربية بشكل أشد وضوحا وإسفارا من تدخله سابقا.

خامسا: أثبت الغزو أن المشكلة الفلسطينية ليس هي القضية الرئيسية في المنطقة. وأن الحروب العربية الإسرائيلية ليست السبب الوحيد في التوتر بل أصبح السبب الأكثر أهمية هي الحروب العربية – العربية.

سادسا: أثبت الغزو أن العالم العربي لا يعرف حقائق العصر ولا وعي لديه بالتغيرات التي وقعت، وأنه إن ظل كذلك فسيكون مصيره كمصير الهنود الحمر.

سابعا: حطم الغزو المنطقة نفسيا وحربيا وأضاع ثرواتها وأفقد الشعوب ثقتها بأنفسها وببني جلدتها. هذا وما زالت بركات هذا الجنون تتوالى، ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بما تفكر فيه الأنظمة الدكتاتورية غير المستقرة، والتي تلغي دور الشعوب ومصالحها وتكمم أفواهها وتوردها الحتوف، وتجبرها على السير إلى توابيتها وقبورها المحفورة إذا لم تتداركها عناية الله، ويقوم المخلصون في الأمة، بحلف (كحلف الفضول) أو تقوم نهضة عاقلة في الأمة تعرف كيف نسير الأمور ونحيي دور الشعوب، ونستطيع ردع كل مغامر يعطل سير الأمة إلى قبل ذلك. فإنها وبدستورها الرباني وعقيدتها الكريمة تمثل أمة الريادة وأمة المجد وأمة الخلود، والأمة الموعودة بالخلافة في الأرض والسيادة فيها وصدق الله القائل: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ [النور:٥٥]..

فهل نكون عند وعد الله وهل نستحقه، نسأل الله العافية ■

الاستنهاض بين النظرية والتطبيق

بقلم: د. صلاح الدين أرقه دان

تكثر على الساحة الإسلامية المعاصرة النظريات والمخططات والمنظمات الداعية إلى التغيير وإخراج الأمة من مرحلة المراوحة والتبعية وردة الفعل إلى مرحلة الانطلاق والاستقلال والتخطيط.. وتكثر مع هذه النظريات والتخطيطات والتنظيمات حركة الجدل الفكري عن أنجع الوسائل وأفضل السبل لتحقيق الغاية المرجوّة.. ولئن كانت التعددية إيجابيةً في وجه من أوجهها، ودليلَ حيوية وانطلاق وتوالد غير محصور في الفكر والوسائل، إلا أن غياب منهجية واضحة مُتّفق عليها يؤدي إلى كثير مما لا تحمد عقباه، والبعض لا يلتزم بفقه الاختلاف ولا فقه الاجتهاد ويكتفي من السلامة بإلقاء اللوم جزافاً على الآخرين، ولو أدى طرحه إلى شق الصف الواحد، أو إحداث زلزال في الأمة تدفع ثمنه حاضراً ومستقبلاً.. وليس منّا من ينكر أن الواقع الإسلامي يحتاج إلى أكثر من حركة استنهاض واستصلاح، ذلك أن العلل والأمراض التي تعتريه لا تنطلق من منطلق واحد، وليست محصورة في زاوية واحدة من زوايا الابتلاء، فهي تتعلق بأسباب داخلية وخارجية، ومنها أمور تتعلق بالعقيدة والفكر والثقافة والاقتصاد، وبالولاء والبراء، والسياسة والأمن والصحة، كما أنها لا تبتعد عن الفساد الذي تعرفه الشعوب المتخلفة في حالات التراجع الحضاري من فساد الخُلُق وشراء الذمم وغيرها.. وتعدادنا للأمراض لا يعني اليأس من معالجتها، وإنما تحديد الداء من أهم وسائل العلاج، والتغافل عن موطن العلة وحده كفيل باستشرائها وتمكنها من الجسد إلى أن تقضي عليه، ومواجهة العلل يحتاج إلى شجاعة لا تقل عن الشجاعة المطلوبة في ساحة المعركة أمام عدو شرس، وما كان ضعف المجتمع المكي إلا أمام الاقرار والاعتراف بالواقع الفاسد الذي دعا النبي ﷺ إلى معالجته بما أنزل الله تعالى..

والقرشيون بالرغم من إقرارهم بصدق ما جاء به النبي الأمين ﷺ في أنفسهم إلا أنهم فقدوا شجاعة المواجهة مع النفس وفضلوا خراب البيوت وقتل الأنفس وسبي النساء وضياع الذرية، على الإقرار بالحق الذي لم يألفوه، وترك الباطل الذي نشأوا عليه، ﴿ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ [البقرة:١٧٠] وفي ذلك من الصغار والابتعاد عن مواطن الحكمة ما لا يخفى على عاقل ولا متدبّر..

وتعدادنا لأمراض الأمة الراهنة لن يكون متابعة لمخطط الإحباط الذي يريده أعداء الأمة، أو المرجفون في صفوفها، وإنما ينطلق من منطلق تلمّس الثغرة لمعالجتها والقضاء على أسباب الوهن فيها..

ومن الآفات التي يعيشها العالم الإسلامي بأفراده ومجموعاته آفة التعارض والتضارب ما بين النظرية والتطبيق، أو ما بين القول والفعل ﴿ كبُر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف:٣] وهي ظاهرة قديمة في المجتمعات إلا أن النسبة التي تفشو بها الآن تجاوزت ما عرفته العصور السابقة، وكان الذي لا يتطابق قوله بفعله يعرف بالنفاق، ويعامل على هذا الأساس إلى أن أصبح اختلاف القول عن الفعل من مظاهر هذا العصر يكاد لا تخلو منه ساحة ولا ميدان..

ومن المسلم به أن مجتمعات اليوم تعيش حالات متفاوتة من التباعد بين النظرية والتطبيق، والإحساس بهذا الشعور يتماوج في ضمائر المفكرين والمنظرين، فتراه يطفو أحيانا على السطح حتى تكاد تلامسه يداك، ويختفي استحياءاً أو كبتاً في غياهب النفوس حتى يكاد لا يبين، والأمة المسلمة ليست بدعاً بين الأمم، وهي تمر في حالة تشبه حالة الغيبوبة، التي تحتاج عناية فائقة وأجهزة معقّدة تشعرك باستمرار الحياة في الجسد الذابل المريض، وهي بالتالي تعيش واقعا متخبطاً نتيجة تراكمات تاريخية ومادية ونفسية وتجارب إنسانية وضربات متلاحقة يضيق المجال عن تعدادها.. ولعل أبرز أسباب هذه الغيبوبة:

غياب منهجية علمية شرعية في التلقي والاستنباط، فالعلوم الآلية تكاد تختفي بين

أفراد المثقفين، وتحل العاطفة الجياشة المندفعة بشعاراتها الجاهزة السهلة البرّاقة، محل العلم والفهم والالتزام، فكم من رافعي الشعار الإسلامي من لا يحسن التلاوة بقواعدها، ولا القراءة السليمة الخالية من الأخطاء الفاحشة، ولا معرفة بعض الفروع التي لا يستغني عنها المكلّف في أدائه العبادات أو إقامته للشعائر اليومية.. أضف إلى ذلك غياب القدرة على الاجتهاد والاستنباط من خلال القواعد الأصولية لدى الجمهور الأعظم من خريجي الكليات الشرعية في مشارق الأرض ومغاربها، حتى بات العالِم محصوراً في نصوص وكتب لا يتجاوزها إلى غيرها..

ومن الأسباب الرئيسة كذلك غياب الشعور بالمسؤولية في حمل الرسالة إلى الآخرين، الأمر الذي من أجله يتميز الإنسان المسلم عن غيره، فالخيرية وإرث النبوّة ليس رتبة تشريفية، وأن تكون مسلماً يعني أن تكون صاحب رسالة تلتزم بها شخصياً فتكون بالتزامك قرآنا متحركاً يمشي على الأرض، تحمل النموذج في ميدان المعاملات: «الدين المعاملة»، وميدان الخُلُق: «وخالق الناس بخلق حسن»، وميدان المعرفة: «ليس مني إلا عالم أو متعلم»، وميدان البذل والعطاء: «أحبهم عند الله أنفعهم لعباده»، والإيثار ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [الحشر:٩]، والانتصار للضعيف: ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولْدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القريةِ الظالمُ أهلُها واجعلْ لنا من لدنك وليا واجعلْ لنا من لدنك نصيراً ﴾ [النساء:٧٥]، تتوج ذلك كله بالإخبات لله وإظهار الخشية منه وتنفيذ ما أمر والامتناع عما نهى عنه وزجر..

إن غياب المعنى (الرسالي) في الفرد المسلم، والمجتمع المسلم يحوّل كل الشعارات الراقية البراقة المرفوعة إلى قشور لا تغني ولا تسمن من جوع، وتؤدي إلى نتائج عكسية تضر ولا تنفع، لأن من أشد الأمور في نفوس الناشئة والمدعوين الجدد أن يسمعوا شيئا ويروا شيئا آخر لا علاقة له بما يسمعون.. وغياب هذا المعنى يؤدي إلى غياب النموذج القدوة الذي يُحتذى بفعله وقوله، ولئن كان الأنبياء والمرسلون معصومين عن الزيادة والنقصان في الدين إلا أن اجتهادهم على العبادة وحرصهم على أداء الشعائر والتزامهم بما يأمرون الناس – في جانبه البشري المعرّض للضعف والوهن كسائر البشر – يبقى حجة في الاقتداء والتأسّي، ولقد ذكرت عائشة رضي الله أنها رأت رسول الله ﷺ يقوم حتى تشقّق قدماه فسألته أن يهوّن عن نفسه وقد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فأجابها: «أفلا أكون عبدا شكوراً»؟

إن مشكلة غياب القدوة من المشاكل التي لا يجوز الاستهانة بها والتعامل معها تعاملا سطحيا بعيدا عن دراسة أعراضها ومعالجة أسبابها، والعلماء ما كان لهم أن يكونوا ورثة الأنبياء بالعلم المجرّد وحده، وإنما هو العلم المرتبط والمتداخل مع التطبيق والممارسة، أو لم يقل تعالى في وصف حملة العلم دون العمل: ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [الجمعة:٥]؟

والجهاد في أبعاده لا يقتصر على حمل السلاح، بل قد يأتي وقت وظرف يكون حمل السلاح فيه أهون الجهادين، لأن جهاد النفس وترويضها وحملها علي ما تكره من الأعباء والالتزامات أمر ذو شأن يترتب عليه من الفوائد ما لا يخفى على كل ذي بصيرة..

والاستبداد بالرأي مهلكة للفرد وللجماعة، والشورى ليست قراراً أو قانوناً مسنوناً، إنما الشورى صفة متأصلة في المجتمع المسلم تسم أفراده ومؤسساته ابتداء من الحياة الأسرية وانتهاء بأداة الحكم، ولا يكفي أن نرفع شعار الشورى وواحدنا يضيق ذرعاً بالنصيحة والنقد والرأي الآخر، ولا يتحمل الكلمة الصادقة إذا لم تنزل من نفسه منزلة القبول، ولا يمكن أن يكون الفرد ولا المجتمع شوريا إذا كان الرأي يقدّم أو يؤخّر بناء على مكانة قائله الاجتماعية أو المالية، ولا ننسى أن النبي ﷺ قدّم رأيَ أم المؤمنين (أم سلمة) يوم الحديبية وفي صحابته كبار الشخصيات ورؤساء القوم، وقدّم رأي الحباب بن المنذر في ماء بدر، وأخذ برأي سلمان الفارسي في الخندق وهو غريب الوجه واليد واللسان، وأمثلة ذلك تكثر وتطول..

وغياب الشورى يؤدي إلى إضاعة الوقت والجهد وعدم الاستفادة من الطاقات الكامنة في الأمة، ويؤدي إلى استرخاء الشعور العام وغياب المشاركة وانعدام الاندفاع وموت المبادرات وضعف الطاقات، فالفرد لا يقدم على عمل مهدور لا قيمة له، وقديماً قيل (لا رأي لمن لا يطاع)، والشعور بالعبثية من أخطر الآفات الاجتماعية والنفسية على حد سواء..

وغياب الشورى يؤدي بالضرورة إلى غياب المشروع الأقرب إلى الصواب الأبعد عن الخطأ، وحضورها يؤدي إلى حلقات مترابطة من الرقابة الذاتية والجماعية مما يحسّن أداء الفرد ويذهب بالمظاهر السلبية في مجتمعات المسلمين، وكم هي حاجتنا ملحة إلى يقظة ضمير صارخ متمرد على كل آليات التدجين، يصدع بالحق فلا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المعروف حركة تمايز ومؤسسات محصورة في اطار بمقدار ما يكون سمة بارزة من سمات المجتمع المسلم تؤدى بيسر وصدق دون تكلّف أو تصنّع..

إن غياب مشروع اسلامي متكامل، يحافظ على الأحكام الشرعية، ويراعي المرحلة واحتياجاتها، وينظر إلى مصلحة الأمة العليا فيقدمها على المشاريع الفردية والهامشية، هو أحد أبرز أسباب الضياع العام الذي تتخبط فيه الجماعات والمجتمعات، ويخطيء من يظن أن صاحب الرسالة ﷺ انطلق بعفوية بحتة بعيدة عن التدبر والتخطيط، ويتجنب الحقيقة من يظن أن الإنجازات التي حققها المجتمع المسلم الأول كانت نتيجة البساطة و(الدروشة)..

على العالم الإسلامي أن يسترد هويته، ليس في ميدان العبادات والالتزام بأحكام وسنن اللباس والطعام فحسب، وإنما في ميدان صناعة الإنسان وصياغته الصياغة الربانية السليمة، فالنقد والشورى والإيثار وتهذيب رغبات النفس واحترام الرأي الآخر واتخاذ الأسباب، كل ذلك من أسس بناء الشخصية المسلمة، وما تبقى ما هو إلا تفاصيل تسهل حيازتها بالجد والمثابرة، وفي الرعيل الأول قدوة أية قدوة ■



العنف والتلفاز في الغرب

بقلم: د. قاسم القادري

العنف ظاهرة إنسانية عامة، ظهر في الماضي، ويبرز في الحاضر، وسيستمر وجوده في المستقبل، تتنوع دوافعه ووسائله واشكاله مع تمايز الأفراد والجماعات، وتختلف حدته باختلاف المفاهيم التربوية والخلقية ودرجات التعبئة النفسية وتتصاعد وتيرته مع تأزم الأوضاع وتوتر العلاقات واختلال التوازن..

كاتب لبناني مقيم في فرنسا

والعنف قوة مدمرة يلجأ إليها فرد أو جماعة مستخدما كل الوسائل المتوفرة لديه بقصد إخضاع أو استعباد أو إبادة فرد آخر أو جماعة أخرى أو بقصد قهر الذات وتعذيبها وقتلها. العنف ليس غاية بحد ذاته، لكنه وسيلة لغاية وطريق لهدف. وكما تتعدد الغايات والأهداف تتعدد الوسائل والطرق..

هناك عنف القوي الذي يملك الإمكانات والوسائل المتطورة وغايته الإخضاع والتوسع والسيطرة والإلحاق، وهذا النوع من العنف غالبا ما يكون منظما ومبرمجا يحمل طابع الهجوم والعدوانية، ينفذ أحيانا بوسائل مكشوفة وأحيانا أخرى بدبلوماسية مستترة ونعومة خفية، مقنّعة بأغطية الشرعية والحق والقانون. وهناك عنف الضعيف الذي يتميز بشكله العفوي ومظهره الفوضوي والذي ينفذ بوسائل بسيطة وبطرق بدائية مفتقرا للكثير من أشكال التغطية الحقوقية والإعلامية. وهذا النوع من العنف يأتي كرد فعل على السيطرة والإلحاق وغايته الدفاع عن النفس وحفظ الذات وهدفه التحرر والاستقلال..

أهداف دراسة ظاهرة العنف

وإذا كان العنف بشكل عام لا يشكل ظاهرة خاصة بالمجتمعات الغربية دون غيرها، فإن دراسة العنف في تلك المجتمعات غايتها إلقاء الضوء على شكل العنف وبواعثه واكتشاف خصوصيته من خلال ربطه بحضارة تلك المجتمعات وقيمها ونمط عيشها..

دراسة العنف في بعض جوانبه عند المجتمعات الغربية عرضة قياس الإدعاء السياسي والعقائدي بميزان الحقائق والوقائع وإزالة الوهم الذي يقدم لنا المجتمعات الغربية كمجتمعات نموذجية متحضرة صالحة للنسخ، مجتمعات مدنية يسودها السلم الأهلي ينبغي الاقتداء بها وتقليدها، وأخيرا الكشف عن الأباطيل التي تروج بأن الإسلام يولد العنف ويقضي على التسامح، وبأن المجتمعات الإسلامية مجتمعات بربرية استبدادية لا مجال فيها للحوار ولا سبيل معها لتعايش قائم على الحرية واحترام التمايز والاختلاف..

دراسة العنف في الغرب من خلال وقائع الأحداث الجارية ودلالاتها وافق تطورها ومحاكمتها على ضوء ما تعلنه وترردده في الكتب والإذاعات والصحف والمؤتمرات والندوات عن العدالة والحرية والإخاء وحقوق الإنسان إنما تهدف في نهاية المطاف إلى طرح جملة من الأسئلة: هل حققت هذه المجتمعات فعلا الأمن والسعادة لأفرادها وللإنسان بشكل عام؟ هل قلصت العنف وخففت من حدة الطرح الاجتماعي؟ هل أصبح الإنسان الذي يعيش في باريس ولندن ونيويورك وروما ومدريد أكثر اطمئنانا وحرية من مثيله الذي يعيش في أية عاصمة من عواصم العالم؟ أسئلة تخطر في البال وتطرق أبواب الذهن، تترك للحقائق الصارخة والأحداث الناطقة المساهمة في الإجابة عليها وإجلاء العديد من جوانب الوهم والالتباس.

وقائع وأرقام

في شباط ١٩٩٣م وفي مدينة «ليفربول» في بريطانيا أقدم طفلان عمر أحدهما ١٠ سنوات والآخر ١١ سنة على خطف طفل عمره سنتان وتعذيبه ومن ثم قتله (١) في ٨ آذار (مارس) ١٩٩٤م وفي مدينة «غلوسيستر» في بريطانيا تم اكتشاف الجثة السابعة في الطابق الأرضي من منزل البريطاني «فريدريك ويست» ويرجح البوليس أن يرتفع العدد إلى ١٢ ضحية والقاتل متزوج مرتين وعنده ١٠ أولاد ومن بين الضحايا امرأته وابنته (٢).

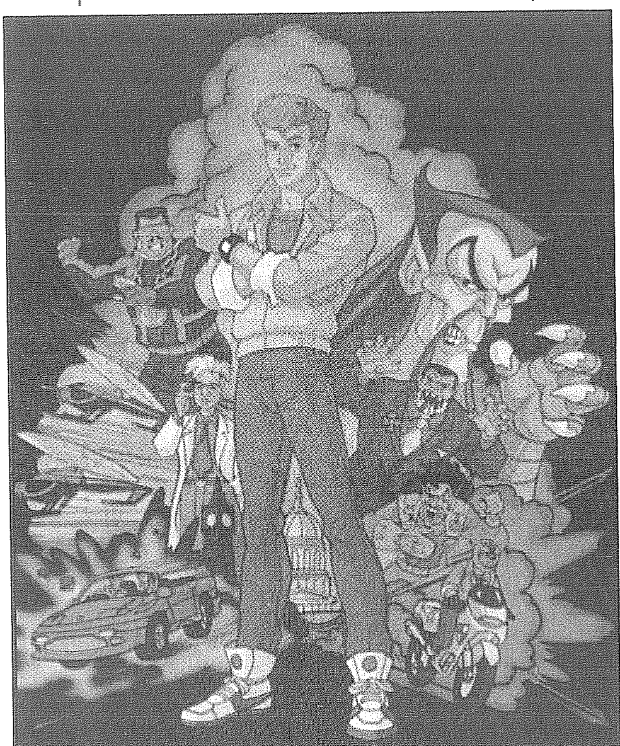
وفي تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٣م في مدينة «لإيتري» الفرنسية أقدم طفلان أعمارهما ٩ و ١٠ سنوات على قتل رجل مشرد بعد دفعه وإسقاطه داخل بئر عميقة.. وفي فرنسا؛ كذلك؛ أقدم شاب من أصل ياباني على قتل صديقته وتقطيعها ووضعها في البراد والأكل من لحمها لمدة ثلاثة أيام متتالية، ثم أفرج عنه لقاء مبلغ من المال. وفي إحدى ضواحي باريس أقدم شاب على اغتصاب فتاة داخل قطار أمام ثلاثين راكبا دون أن يتحرك أحد من أجل نجدتها وتخليصها..

في ألمانيا وفي مدينة «سيربروك» وفي ملعب مدرسة تكميلية كاد أحد التلامذة أن يموت قتلا على يد ثلاثة من رفاقه..

وفي واشنطن بالولايات المتحدة، أقدم شاب وللمرة الثالثة على خطف فتاة في الثانية عشرة من عمرها واغتصابها ثم قتلها..

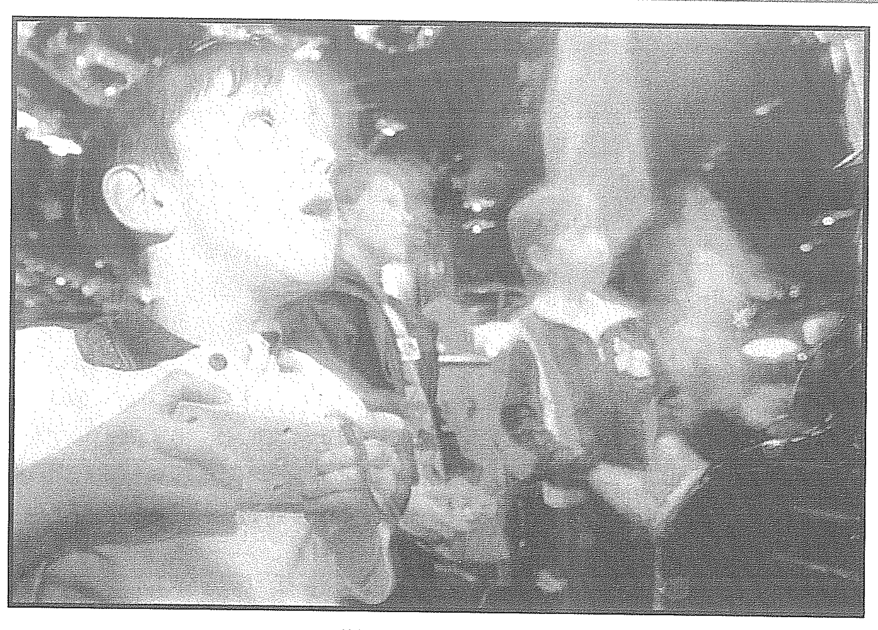
هذه الأحداث الصارخة يصعب حصرها، ففي كل يوم تطالعنا وسائل الإعلام المختلفة بأنباء الجرائم الغريبة والبشعة من خطف وقتل واغتصاب، وما يعلن عنه يشكل جزءا بسيطا من الحوادث التي تبقى طي الكتمان فمسلسل الجريمة طويل ولا نهاية له..

وإذا كنا قد أوردنا نماذج من العنف في بعض المجتمعات الغربية التي لها سمعة طيبة وشهرة عالية في الرقي والتمدن فإننا نترك للقارىء تخيل حالة مجتمعات أخرى كإيطاليا حيث تمارس المافيات عنفها المتطور، أو كـ «تكساس، ولوس أنجلس، و«ديترويت» في الولايات المتحدة حيث يعتبر الخروج ليلا في شوارع المدن عملا من أعمال المجازفة والمغامرة..



● تقليد الشخصيات الاسطورية يؤثر سلباً على الطفل

التلفاز والعنف في الغرب



● ألعاب الأتاري تشد الطفل وتلهيه عن طعامه وشرابه احيانا

والإحصائيات التي أوردتها وزارة العدل الأمريكية تشير إلى ارتفاع معدل الجرائم وازدياد العنف، ففي عام ١٩٨٥م مثلا بلغ عدد ضحايا العنف قرابة ٦ملايين ضحية ما بين قتل واغتصاب وسرقة منهم ٢١٥٠٠ حادثة قتل و ١٣٥٤١٠ حادثة اغتصاب. وتدل احصاءات ١٩٨٩ على تصاعد في ميدان الجرائم: ٣٢٪ زيادة في جرائم القتل، و١٦٪ في السرقات و ٧٪ زيادة في جرائم الاغتصاب..

وفي فرنسا تدل احصائية حديثة صادرة ١٩٩٣م على أن عدد الأطفال الذين تعرضوا للتعذيب والاغتصاب قد بلغ (١٥) ألفا في حين تشير بعض التقديرات إلى أن عددهم الفعلي قد بلغ ٤٥ ألفا.. كما أن معدل الجرائم ارتفع من ٣٠,٠٠٠ سنة ١٩٧٥ إلى ٧٥,٢٠٠ سنة ١٩٩٣م (٣)..

ولا يتسع المجال لسرد المزيد من الحوادث ولإيراد العديد من الأرقام والإحصاءات حول ارتفاع معدل الجرائم في كافة المجتمعات الغربية لأن العبرة أخيرا في المعاني التي تنطق بها وفي الدلالات والمؤشرات التي تحملها..

العنف في الغرب له تاريخه الخاص، وله وجوهه المتعددة وأشكاله المختلفة ولا يتسع المجال للإحاطة به إحاطة شاملة.. وما يعنينا في هذا البحث ليس تاريخ العنف ودوره في إقامة تلك المجتمعات ولا العنف السياسي الخارجي والداخلي الذي يمارسه بحق المستضعفين، ما سنكتفي به هو إلقاء الضوء على تطور العنف وازدياده وأخيرا الكشف عن بواعثه وأسبابه داخل منظومة القيم والعلاقات السائدة..

وإذا كان العنف قد وجد له جذورا في البيت والمدرسة والمحيط والثقافة فإننا سنقتصر على تركيز المحللين في الغرب على إبراز دور التلفاز في تغذية تلك الظاهرة وتوسيع انتشارها.

محاولات رسمية للحد من العنف

يجمع الغربيون على اتساع نطاق العنف واقتحامه حصن الطفولة البريئة ويأخذون على التلفاز تنميته للنزعة العدوانية عند الأطفال من خلال البرامج التي يبثها والأفلام التي يعرضها. ففي كندا ومنذ أربع سنوات تطرح السلطات الرسمية والقسم التعليمي والهيئات الاجتماعية ووسائل الإعلام، علامات استفهام كبيرة حول دور التلفاز وتأثيراته في سلوك الأفراد بشكل عام والأطفال بشكل خاص، ذلك أن المذبحة التي ذهب ضحيتها ١٤ طالبا وطالبة في مدرسة البوليتكنيك في «مونتريال» قد أثارت انتباه الجهات المختصة وولدت حركة شعبية معادية لبث برامج العنف عبر التلفاز والسينما. وبعد ذلك قادت الفتاة «فرجيني لايفيير» التي صدمها مقتل شقيقها الأصغر، حملة شعبية ضد العنف، وجمعت ١٣٠٠٠٠٠ توقيع على عريضة تطالب بوقف البرامج والأفلام التي تغذيه (٤)..

وفي بريطانيا قامت مجموعة من ٢٥رجلا من مشاهير علماء الاجتماع والأطباء برئاسة الأستاذ «اليزابيث نيسون» برفع تقرير إلى الحكومة الإنكليزية تطلب منها اتخاذ إجراءات سريعة ووضع حد للتزايد المقلق لأفلام العنف. وبعد أن أقدم طفلان على قتل الطفل «جيمس بيلجر» تبين إن أحد الطفلين القاتلين كان قد شاهد فيلما في غاية العنف مما زاد في قناعة الرأي العام الشعبي بأن مشاهد العنف تغذي سلوك العنف وتنميه.

الأمر الذي دفع البرلمان إلى التصويت على قرارات تضع حدا لانتشار أفلام الفيديو المتسمة بالعنف في أوساط الأطفال، ومن أجل تهدئة المشاعر الشعبية أوعزت الحكومة إلى (BBFE) مكتب تصنيف الأفلام لكي يفرز الأفلام التي ينبغي منعها، كما قررت معاقبة كل من يبيع أفلام العنف للقاصرين بالسجن لمدة عامين، وأوجبت على الجهات المختصة ضرورة الحصول على رخصة تخولها بث تلك الأفلام وعرضها (٥)..

وفي فرنسا يشكل التلفاز قضية سياسية. فكل فريق عندما يكون في المعارضة يتهم الحزب الحاكم بسوء إدارته للتلفاز، ومؤيدو التلفاز الرسمي يتهمون التلفاز الخاص بلجوئه إلى البرامج التجارية. وتدل بعض الإحصاءات على أنه خلال أسبوع واحد من شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٨م كان التلفاز قد عرض ٦٧٠ حادثة قتل و ١٥حالة اغتصاب و٨٤٨ معركة و ٤١٩ حالة إطلاق نار وانفجارات و١٤عملية خطف و٣٢ حالة أخذ رهائن و٢٧ مشهد تعذيب. وفي المحصلة النهائية هناك عنف عدواني كل خمس دقائق (٦)..

وفي عام ١٩٩٣م أظهر تحليل استمارة وزعت على ٢٦٠٤ تلاميذ بأن الأولاد يشاهدون التلفاز بمعدل ١٥ساعة أسبوعيا وبالتحديد ١٨ساعة للأولاد بين ١٣-١٤سنة كما أن نسبة المشاهدة تبلغ حدها الأقصى أيام الأعياد والعطل

الأسبوعية (٧)..

معظم أفلام العنف أمريكية

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، يبرز التلفاز أكثر عنفا من أي مكان آخر فهناك تنتج معظم أفلام العنف وتوزع في شتى أقطار العالم، ولذلك تأخذ المشكلة حجما أكبر مما حدا بالكونغرس الأمريكي والرئيس «كلينتون» أن يتدخلا لمعالجة تلك المشكلة.. هناك حوالي ٥٧ مليون أمريكي يستهلكون آلات الفيديو، وقد بلغت المبيعات عند منتجي هذه الألعاب ٥ر٥ مليار دولار لهذا العام. لقد أصبحت ألعاب الفيديو في موضع الاتهام خصوصا بعد ارتفاع معدل الجرائم وتزايد أعمال العنف. فمع التطور التقني لم تعد ألعاب الفيديو صورا متحركة كما كانت منذ سنوات بل أصبحت صورا دقيقة وشبه واقعية، منها على سبيل المثال (Nieht Toap) امرأة شقراء شبه عارية تتعرض لهجوم ثلاثة رجال مقنعين.. و(Moctal Kombat) حرب شوارع يتدخل فيها اللاعب، وإذا كان ماهرا فإنه يستطيع اقتلاع قلب الخاسر أو عموده الفقري. و(Lothal Enforcer) عبارة عن مسدس كبير يستطيع بواسطته التصويب وقتل مايرى أمامه.. وهذه البرامج موجهة إلى الكبار كما يعلن نائب رئيس شركة (SEGA) والذي قال بأن الشركة لجأت إلى تصنيف الألعاب واضعة إشارة (GA) -General Au) dionces) على تلك الموجهة إلى عموم الناس و١٣-Mature Au Dionces MA على تلك المحذرة من هم دون الثالثة عشرة و(MA ١٧) على تلك الألعاب الموجهة لمن تتجاوز اعمارهم السابعة عشرة. أما شركة (Nintendo) فإنها تفاخر بأنها تتبع سياسة مسؤولة وتمتنع عن إنتاج أفلام على درجة عالية من العنف كالتي تنتجها شركة (SEGA) (٨)..

لقد خاطب الرئيس «كلينتون» الأمريكيين بعد عشرة أشهر على توليه الرئاسة وحمل بشدة على العنف داعيا إلى المسؤولية الفردية والجماعية، مذكرا السود بمواقف الزعيم الراحل «مارتن لوثر كينغ» قائلا لهم: «لو عاد إلى الحياة لقال: لم أمت لأخلف صبيانا في الثالثة عشرة يحملون السلاح ليقتلوا أطفالا في التاسعة» (٩)..

منذ سنوات والعنف يقلق المجتمع الأمريكي ولقد حاول المختصون بهذه الظاهرة تحليل أسبابها ودوافعها، ففي عام ١٩٦١م برهن الأستاذ «ألبرت بنديرا» في جامعة كاليفورنيا على تأثير الصورة المشاهدة في سلوك الأطفال وذلك بواسطة عرضه على عدد من الأطفال فيلما يقوم فيه رجل بالاعتداء على لعبة، ثم أعطى الأولاد لعبة مماثلة وشاهد ردة فعلهم عليها فكانت مماثلة تماما لما شاهدوه في الفيلم..

وفي عام ١٩٨١م قام «بركوريتز» أحد علماء النفس في أمريكا بدراسة تأثير أفلام العنف على مجموعة من الشبان الجانحين من أمريكا وبلجيكا حيث عرض على قسم منهم أفلاما عنيفة وعلى القسم الآخر أفلاما محايدة وقد ظهر عند المجموعة الأولى ازدياد في العدوانية والشراسة عما هو الحال عند المجموعة الثانية..

> ■ ليس العنف غاية بحد ذاته، لكنه وسيلة لغاية، وطريق لهدف. وكما تتعدد الغايات والأهداف تتعدد الوسائل

وفي عام ١٩٧٨م أجرى الأستاذ «وليم بلسون» إحصاء لـ ١٥٦٥ مراهقا تبين من خلاله أن مرتكبي الحوادث الخطيرة هم من بين مستهلكي أفلام العنف..

وفي عام ١٩٨٥م برهن «روال هوسمن» أحد علماء النفس في أمريكا، بعد تجربة أجراها على ١٠٠طفل من جنسيات مختلفة، بأن أفلام العنف تزيد في عدوانية الأطفال بغض النظر عن أصلهم العرقي. كذلك أظهرت بعض الاحصاءات أن حوادث القتل في الولايات المتحدة وكندا ازدادت بنسبة ٩٣٪ منذ انتشار التلفاز سنة ١٩٥٠م وحتى الآن (١٠)..

كيف يؤثر التلفاز في سلوك الأطفال؟

لقد احتل التلفاز مكان الكتاب كوسيلة من وسائل الثقافة والترفيه لدى الأطفال والعديد من عامة الناس، وتعلق الأطفال بتلك الشاشة الصغيرة التي تنقل اليهم بالصوت والصورة والألوان ما هو حقيقي وواقعي وما هو وهمي وخيالي، وأضحى النظر إلى الشاشة بمثابة سياحة ممتعة تنقل إلى الإنسان كل أماكن العالم وأحداثه وأسراره ومخلوقاته.. أصبح التلفاز خصوصا في البلاد الصناعية ضرورة من ضرورات العصر، وجزءا هاما من تجهيزات المنزل، إذ يأتي بالمرتبة الثانية بعد البراد. فالعائلة تتناول العشاء وهي تشاهد التلفاز، والأطفال يستيقظون ويلبسون ثيابهم ويتناولون فطورهم وأعينهم مسمّرة إلى الشاشة، ويغادرون المنزل حاملين في مخيلتهم كل ما اختزنوه من مشاهد وصور وأحداث علقت في رؤوسهم..

وفي كل عام يمضي الأطفال، في البلاد الغربية، أمام التلفاز، وقتا يعادل الوقت الذي يمضونه في المدرسة، ومن تلك الشاشة الصغيرة يستقي الأطفال كثيرا من معلوماتهم وثقافتهم، وعبر المشاهد التي تنطبع في أذهانهم يبنون سلوكهم..

الأكل المفضل هو ما عرضته الدعاية، واللبس الأجمل هو ما لبسته الشخصيات المحببة لديهم. لا يترك التلفاز لهؤلاء الأطفال فرصة لالتقاط الأنفاس والتفكير بهدوء، ولا فسحة من الوقت لبناء الذات والاعتناء بالصحة وأحيانا للذهاب إلى المرحاض.. التلفاز يمارس العنف بغض النظر عن برامجه، فهو يقتحم كل بيت دون استئذان ويدخل كل غرفة وسرير مع الحب والترحاب، يسرق من الأطفال والكبار عقولهم وأوقاتهم ويحتل ذاكرتهم مخيلاتهم ويحبط تطورهم الذاتي والمستقل..

تأثيرات التلفاز على الأطفال

ولقد حدد بعض المختصين تأثيرات التلفاز على الأطفال بأربعة عناصر هي:

التلفاز والعنف في الغرب

١) التقليد:

من المعروف أن الطفل يحاول التباهي والتماثل مع الشخصية التي تعجبه وتؤثر فيه، وقد أشار التقرير الذي رفعه عدد من الخبراء الأنكليز، إلى حكومتهم إلى هذه الناحية موضحا بأن الأطفال يقلدون دائما الغالب ولا يقلدون مطلقا المغلوب (١١)، وعملية التقليد تبدأ بالمشاهدة المركزة والملاحظة الدقيقة: الحركات، الأصوات، التعابير.. وهذه هي مرحلة التعبئة والإشباع تليها مرحلة الاستخراج والتقليد، ومرحلة الاختبار والإعادة، يمتحن فيها الطفل قدرته على الاستيعاب والتمثيل وتأدية نفس الدور. تكفي مراقبة الأطفال بعد مشاهدتهم لأحد أفلام الجيدو والكاراتيه، كيف يهبون لحظة انتهاء الفيلم ليطبقوا ما شاهدوه على بعضهم وغالبا ما يختار الأقوى الطرف الأضعف الذي يمكنه من إظهار تفوقه وانتصاره.. ورغم أن الممثل «ماك جيفر» مصنف في صف المعادين للعنف، ورغم أنه بطل مسلسل أمريكي هدفه الدفاع عن الطفولة وحمايتها. إلا أنه في عام ١٩٩٢م لقي مراهقان حتفهما في أثناء محاولتهما تقليده في صنع عبوة متفجرة وقد قدمت والدة أحد الضحيتين دعوة ضده وضد القناة التلفازية الثانية في فرنسا بتهمة التسبب في القتل (١٢)..

كما أن العديد من الأطفال لاقوا حتفهم حينما حاولوا الطيران بواسطة القناع الأحمر تقليدا لشخصية «سوبرمان» الخيالية..

٢) الإشباع:

إن عملية التمثيل والتقليد تتم في جزء كبير منها في اللاوعي وتحدث عن طريق المشاهدة المتكررة والتراكم البطيء الذي يؤدي إلى نوع من الإشباع النفسي والتعبئة القصوى تنعكس في السلوك وتتجلى في الانفعال والتبعية وفقدان زمام المبادرة وعدم القدرة على خلق الأفكار وتقويم السلوك بشكل إرادي وواع والانسياق أخيرا خلف أفكار الآخرين وسلوكهم.

٣) الغموض:

مع تطور التقنية وتطور وسائل التركيب والتصوير ضاقت كثيرا الحدود الفاصلة بين الوهم والحقيقة بين الصورة والواقع، وهذا من شأنه إرباك الطفل واهتزاز شخصيته وابتعاده عن الواقع في ذات الوقت الذي يضطرب فيه تطوره الخيالي ويضمر حسه الإبداعي. ولهذا فإن بعض علماء النفس في أمريكا يعتقدون بأن الأطفال الذين أصبحوا قتلة إنما فقدوا الصلة الحية والطبيعية مع الواقع وانخرطوا انخراطا لا واعيا في عالم من الخيال تسوده مشاهد مضطربة ومخيفة من العنف والقسوة..

٤) الابتذال وضعف الإحساس بالمسؤولية:

عندما يشاهد الطفل مشهدا من مشاهد العنف، يغمره مزيج متناقض من الشعور: شعور بالرعب والخوف يجعله يهرب من أمام الشاشة إلى حضن أمه أو أبيه أو اخيه الأكبر طلبا للأمن والسكينة، وشعور باللذة والإعجاب يرفض معهما التوقف عن مشاهدة الفيلم أو إقفال التلفاز، ويختلط لديه الواقع بالخيال والخوف بالمتعة، ومع المشاهدة المتكررة يتناقص الخوف وتنمو اللذة ويصبح منظر الموت حدثا عابرا وتستحيل الجريمة لقطة بسيطة، ويصبح الموت مبتذلا، يعني للطفل ما يعنيه لجندي في ساحة القتال، يألف منظر القتلى والجرحى، تموت لديه مظاهر الحياة لأنه فقد الإحساس بها ولم يعد يرى شيئا من بهجتها وبهائها..

يصبح القتل لديه سلوكا عاديا يمليه الواقع الذي تعوده والمناظر التي ألفها، والمشاهد التي انطبعت وتراكمت في خياله.. باختصار، يموت لديه الإحساس بالمسؤولية، لا بل يقتنع ولو لفترة قصيرة، بشرعية القتل..

التلفاز في وجه من وجوهه، يحول الأطفال إلى مشاهدين ومتفرجين، ينفعلون بالصور والأحداث والمعلومات، دون أن تكون لديهم القدرة على الفعل والتقرير. إنهم يتلقون ويتلقفون بوعي أو بلا وعي ما يعرض عليهم وما يهيأ لهم دون أن تترك لهم فسحة من التأمل أو فرصة للمناقشة والتفكير..

إنه أشبه بالمنوم الذي يخلق حالة من التبعية والاستسلام، والغرض من ذلك إلغاء التعددية الثقافية والحضارية، وتعميم ثقافة الغالب وتهيئة جيل يتلقى، ينفعل، يقلد وينفذ ما يخطط له، وما يقرر بالنيابة عنه، حتى إذا ما قررت الدولة المسيطرة شن حرب ضد دولة أخرى أو ضد شعب آخر تحقيقا لمطامع وغايات سياسية واقتصادية، تجد جيلا طائعا ومنفذا، الحرب لديه ليست سوى لعبة من الألعاب أو فيلم من الأفلام، والبطل الذي يستحق التقدير والإعجاب هو الطرف الرابح والمنتصر..

مع ألعاب الفيديو، يختلف الوضع عما هو عليه في التلفاز. يكف الأطفال عن كونهم مشاهدين ومنفعلين ليصبحوا فاعلين ومشاركين.. ألعاب الفيديو في غالبيتها المطلقة عبارة عن مباراة وصراع بين اللاعب والآخر، يربح اللاعب ويجد متعة إذا انتصر، إذا قتل الخصم وتغلب عليه، وهذا ينعكس في لا وعي الأطفال وسلوكهم، بحيث يتصرفون مع أهلهم وأصدقائهم ومعلميهم وفق هذه اللعبة، فهم والطرف الآخر الذي يجب الصمود أمامه، ومعاكسته وإفشال خططه. فالطفل يصارع الأهل لكي يستجيبوا لرغبته ويتراجعوا أمامه، ويتمرد على معلميه ليخرج من طاعتهم ويهزم مساعيهم ويجد لذة في الانتصار عليهم..

وألعاب الفيديو أخطر من التلفاز، لأنها تغذي الأطفال بالعنف وتجعلهم طرفا مشاركا فيه، مما يزيد في عدوانيتهم وأنانيتهم.. هناك أطفال يقضون عشر ساعات متواصلة أمام ألعاب الفيديو يتخللها عنف ضد الذات بالامتناع عن الأكل والشرب والغسل والرياضة، وحركات عصبية هيستيرية تتجلى بضرب جهاز الأمر والتحريك اليدوي بالأرض أو بالمشاجرة على الدور والانفراد باللعب؛ الخ..

ومرة أخرى يثبت الواقع العملي فشل النظرية التي تقول بأن الإباحة تقلل من التطلب والتبعية لأن المحجوب مرغوب. وذلك أن مزيدا من الإباحة يخلق لدى الأطفال مزيدا من التعلق والتبعية، فالألعاب ليست ثابتة والتجار يتفننون ويجددون دائما في شكل الصورة ونوع الألعاب وموضوعاتها وأسرارها وفي إمكانية مشاركة فردية أو جماعية أوسع

نطاقا وأشد فاعلية..

التلفاز والانتحار

ليس العنف موجها ضد الغير فقط، وإنما ضد الذات أيضا. فعندما يتعرض شخص ما لآلام تزيد عن طاقة احتماله أو يختل توازنه الطبيعي نتيجة لإحباط نفسي أو عجز عن تحقيق آماله وطموحاته، يصبح ذاته ضحية لعجزه ولفقدانه القدرة على امتلاك زمام نفسه فيكون الانتحار.. ولاشك في أن التلفاز يساهم مساهمة فعالة في تزايد حالات الانتحار نظرا لتنميته النزعة العدوانية ولجعله الموت حدثا بسيطا في فيلم قصير، ونظرا لعرضه أفلاما تعلم الأفراد طرقا وأساليب للتخلص من الحياة لم تكن واردة من قبل في أذهان العديد من الضحايا. ولقد أجرى الأمريكيان «فيليبس» و«كسيتنسن» بحثا على ١٢٥٠٠ حالة انتحار ما بين ١٩٧٣ و ١٩٧٩ تبين من خلاله أن نسبة الانتحار ازدادت بنسبة ٥ر١٣٪ بين المراهقات و ٢ر٥٪بين المراهقين في الأيام التي تعقب مشاهدة أفلام العنف التي تتخللها عمليات الانتحار (١٣).. إذا كان التلفاز وألعاب الفيديو يشكلان عنصرا من عناصر تغذية العنف فإن هناك عناصر أخرى لا تقل عنهما أهمية وفاعلية. وذلك أن دور كل من العائلة والمدرسة والجماعة والوضع الاجتماعي له أهميته أيضا في هذا المجال. فالعائلة المفككة والبطالة وانتشار المخدرات والكحول وتفشي البغاء والأمراض وتراجع القيم. كلها عوامل مواتية لتزايد العنف وارتفاع حدته..

فبعد أن ضربت سلطة الأب «الزوج» أصبحت العائلة مسرحا للعنف بين الزوج والزوجة وبين الأهل والأطفال وتراجعت الكثير من القيم الخلقية والفضائل الاجتماعية أمام قيم الحرية الفردية والتسابق على الربح والثروة، ونتيجة لذلك تدهورت علاقات التضامن والتعاطف والتضحية لتحل محلها علاقات التنافر والتناحر والمصلحة. وكانت الحصيلة الطبيعية لتدهور أوضاع العائلة كعنصر أساسي من عناصر الوحدة وكملجأ طبيعي للحوار والتفاهم إن تعززت العزلة وتعمقت الأنانية وازدادت حدة الصراع والعنف الذي انتقل إلى مؤسسات التعليم فتراجعت سلطة المربين وتصاعدت نسبة الفشل المدرسي مما أدى إلى تفاقم البطالة وزيادة الانحراف بأشكاله المختلفة. في مجتمعات تعاني من تراجع قيم التضامن والتضحية، وتتعزز فيها الفردية والأنانية، وتزدهر فضائل الربح واللهث وراء المادة والشهوات. في مجتمعات يعلن بعض فلاسفتها موت الإله، وسيطرة السوبرمان تمجد القوة وتبرر كل شيء بالمصلحة والمنفعة ليس مستغربا أن يتفاقم فيها العنف، وأن تجد فيها أطفالا قتلة ينحدرون نحو عالم الانحراف والجريمة ■



● شخصيات العنف تحوّلت إلى أبطال حقيقية في عقول الأطفال

الهوامش:

(1) Science et vie. No917 Fevrier 1994 p34.
(2) Le Monde, 9Mars, 1994.
(3) Le Monde, 20 Avrip 1994, revue politiques et socidux No695, 8/1/93.
(4) Le Monde, 1 Janvier 1994.
(5) Le Monde, 14 Avril 1994.
(6) Science et vie No917 Fervrier 1994, p36.
(7) Science et vie No917 Fervrier 1994, p39.
(8) Le Monde, 25 December 1993- Science et vie p.38,1994.
(9) Le Monde, 27 December 1993- Science et vie p.38,1994.
(10) Science et vie. No917 Fevrier 1994 p41.
(11) Le Monde, 14 Avril 1994.
(12) Science et vie. No979, Fevrier 1994 p43.
(13) Science et vie. No979, Fevrier 1994 p49.
- La violencve contemporaine. BT2, No10.
- Adolescence et vioence. BT2, No262, December1993.
- L'enfant devant la Television, Mirief chlvon, Pieree Corset, Michel Souchon. editor casterman, p.119-137-128.
- Des images pour les enfants. Bernard planque. edition casterman1977.



الدعـــوة الإسلاميـــة ووسائلها الاعلامية ١/٢

«إذا كـان الاعـلام الإسـلامـي يتميـز في اتصالـه بـالجماهير بـاعـلامهـا بـالـواقع والأحداث، بصيغ يخاطب فيها وازع الضمير والأخـلاق، ويشـدهـا الى التفكير السليم والنظرة الحانية على العـالم، فهذه هي وظيفة الاعلام الأسـاسية، والتي يفترض بـالاعلام الدولي أن يؤديها» [د. أحمد محمد عبد الملك الأصبحي]. ان الكتـابة في هـذه المادة ليست بـالأمـر السهل كما كنت أتصور والمراجع المكتـوبة والملحقـة بهذا البحث لم أجد فيهـا مـايـرضي مـرادي حيث كنت أطمع أن أجد كتابا كتب فيه عن السيرة النبوية ومن خلال ذلك يستل الاستـدلالات والمواقـف التي تـدل على مدى فاعلية الاعـلام في العهد النبوي بل كل الـذي وجـدتـه كـلام كثير يـدور حـول الاعلام ونظـرياته ووسائلـه الحديثة، يعني كان الكاتب يحرص أن يسوق السيرة النبوية تبعـا للنـاحيـة الاعـلاميـة الحديثـة وليس العكس، أي اننا نحن كـاعـلاميين يجب أن نستفيد من السيرة النبوية حيث أنها تحتوي على كنوز كثيرة قليل منا من حصل على جزء منهـا. على كل أتمنى أن يوجـد الله عـز وجل رجـالا اعلاميين اسـلاميين يستفيـدون من

بقلـم: سعيـــد احمد الأصبحي

السيرة النبوية الشريفة، كما استفاد الآخرون من هـذه السيرة العطرة فـالقادة نهلـوامنها، والآبـاء أخـذوا بحظ وافـر منهـا، والعلماء والدعاة والساسـة وحتى رؤساء الدول كان لهم نصيب من هذه السيرة ليتعلموا منها.

فنحن أولى بـذلك لأن القـائم بالاتصـال - الاسم الحديث - هـو نفسـه الـداعيـة ولكن يختلف الداعية من شخص لاخر وأقصد بهذا الداعية المسلم فقط.

تعريف الدعوة

التعريف اللغوي:
الدعوة لغة من الدعاء الى الشيء بمعنى الحث على قصده، أو المحـاولة العلميـة أو القوليـة، لامالة الناس اليه (١).

التعريف الاصلاحي:

عـرفهـا بعض العلماء بأنها قيـام العلماء والمستنيرين في الـدين بتعليم الجمهـور من العامة مـايبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قـدر الطاقـة (٢). أما الشيخ الخولي فيعـرف الـدعـوة بأنها نقل الأمـة من محيط الى محيط (٣) والشيخ علي محفـوظ،يعـرفهـا بأنها حث النـاس على الخير والهدى والأمر بـالعمـروف والنهي عن المنكر ليفوز بسعادة الدارين (٤).

تعريف جامع الدعوة:

الدعوة جهد فني وعلمي مدروس ومخطط ومستمـر وصادق من قبل قـائم بالاتصـال لـديـه خلفية واسعـة ومتعمقـة في مـوضع الرسـالة التي يتناولها ويستهـدف الاتصال الجمهـور العام وهيئـاته النـوعية وأفـراده بكـافة امكـانيات وسـائل الاعـلام المتاحـة وبطرق الاعلام والاقناع وذلك بغرض تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويتأثر بها في معتقداته وعبادته ومعاملاته (٥).

الداعية

من العوامل الهامـة التي تساعد على نجاح

الداعية وتزيد من فاعليته ومقدرته في التأثير المكونات الأساسية لشخصيته، فشخصية الداعية أو القائم بالتصال تلعب دورا أساسيا في تحديد نتائج عملية الاقناع لايقل أهمية من الرسالة التي يريد ابلاغها الى جمهوره أو الطريقة التي يتصل بها (٦).

وقد أجمعت الكتب سواء الاعلامية أو الاسلامية على أن أهم صفات الداعية هي أن يكون قدورة حسنة لمن يدعوهم فيتأثرون به التأثير المباشر فيقول الأستاذ/ مصطفى مشهور «من أولى هذه الصفات والزمها للداعية، أن يكون قدورة حسنة ونموذجا طيبا للاسلام الذي يدعو اليه مؤديا أركانه متحريا النسة الصحيحة، متورعا عن الشبهات، متجنبا للمحرمات، مراقبا لله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة، ملزما بيته وأهله بتعاليم الاسلام وآدبه».

ثم يضيف: «الداعية المسلم اليوم يجب أن يكون واسع الاطلاع ومتابعا للأحداث والظروف بأسلوب شائق جذاب، يوثر ولاينفر، ولايعقد، يحسن ولايسيء» (٧).

ان القدوة الحسنة في حد ذاتها تعتبر واحدة من أهم الوسائل الاعلامية وتقوم هذه الوسيلة على غريزة التقليد أو المحاكاة في الانسان، وهذه الغريزة تلعب دورا هاما وتغني عن بذل جهود اعلامية كبيرة بهدف غرس فكرة أو الاقتناع برأي أو تعديل سلوك معين لدى الجماهير.

وقد كان الداعي الأول للاسلام محمد بن عبد الله ﷺ مضرب الأمثال في هذا الصدد، وذكذلك أشتهر بين قومه قبل نزول الوحي بأنهالصادق الأمين وهما صفتان يجب توافهما في رجل الاعلام الاسلامي حتى يكون موضع ثقة جماهيره واحترامهم له، ثم الصبر والرحمة والعطف والدعاء لهم، فلم يكن قاسي الفؤاد، فظا، غليظ القلب (٨).

ويكفي ماوصفه به الحق عز وجل بقوله: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [التوبة:١٢٩].

يضيف الدكتور عماره نجيب من صفات الداعية مثل:

١) لايعرف السلبية لأن له مباديء يجب لها أن تسود، ويجب للناس جميعا أن يتمتعوا بفضها.

٢) لايعرف الكسل لأن الاسلام يحرك كل طاقاته النشطة ويدعوه الى الاستفادة منها.

٣) ينقل معلوماته بفاعلية المؤمن بمبادئه، المتيقن من صدقها الشاعر بقيمتها، فيمثل أداة اتصال وسيلة اعلام تحركة، لها قوتها التأثيرية الفعالة والمباشرة.

٤) نجاحة في نقل معلوماته يحكمه فيتامل مع كل من يلتقي به على أساس مايملك من معارف ومايقدر عليه من منطق الحديث فيعطيه المصالح ويخلصه من الفاسد (٩).

هذه صفات الداعية المسلم أو القائم بالاتصال وهي الصفات التي أكسبت هذا الدين القوة والانتشار السريع بفضل الله عزو جل ففي (٢٣) سنة تحول العرب من جاهلية ووثنية وتخلف وظلام إلى علم ووحدانية وتقدم ونور على أرض الجزيرة العربية ثم انطلق الاسلام بعد ذلك الى أرجاء العالم بمشارقها ومغاربها يفتحها المسلمون بصفاتهم وأساليبهم ووسائلهم قبل أن يستعلموا قوتهم وسيوفهم ورماحهم.

وقد عبرت دائرة المعارف البريطانية عن الجهود والمنجزات العملاقة التي حققها الرسول الكريم ﷺ في عشرين عاما من حياته ماعجزت عن انجازه قرون من جهود المصلحين اليهود النصارى رغم السلطة الزمنية التي كانت تساعد جهودهم، وعلى الرغم من أنه كان أمام الرسول ﷺ تراث أجيال من الوثنية والجهل والخرافات واضطهاد الضعفاء وكثرة الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الأخرى (١٠).

أساليب الدعوة

أساليب الدعوة – أو مايسمى حديثا بالوسائل الاعلامية – في الاسلام عديدة ومتنوعة ومتجددة في مضمونها ونحب هنا أن نحدد بعض ماقاله الكتاب في أساليب الدعوة.

يرى الدكتور/ عبد اللطيف حمزة أن الوسائل الاعلامية في الدعوة الاسلامية هي:

أولا: القرآن الكريم.
ثانيا: الحديث الشريف.
ثالثا: الخطابة.
رابعا: الحج والعمرة لله عزو جل.
خامسا: القدوة الحسنة.
سادساك الفتوح (١١).

ويتحدث الأستاذ الدكتور ابراهيم عن الاتصال الجمعي في الاسلام قائلا:

«إنه الدين الذي أدرك قيمة الاعلام الجمعي عن طريق الاتصال بالناس، في الشريعة الاسلامية من العبادات التي تدل دلالة واضحة على هذا المعنى فصلاة الجماعة تقام خمس مرات في اليوم والليلة، وصلاة الجمعة تقام في كل أسبوع مرة وذلك على نطاق واسع وفي تجمعات كبيرة»، ثم هناك صلاة عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى وفيهما تهليل وتكبير وذكر لله، ولعلم قيمة الاتصال الجمعي تتمثل في الحج وهو المؤتمر الأكبر والتجمع الأعظم ففيه يلتقي المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها مستجيبين لنداء الله، ومنافع الحج معنوية لانها رباط روحي مقدس واعلامية كمعرفة أخبار المسلمين في جميع أنحاء العالم ومادية كالتجارة وتبادل السلع.. وفي وقفه عرفات يجتمع المسلمون كذلك من كل أقطار العالم في هذه المكان القريب من مكة في وقت واحد، وفي مؤتمر هائل وتجمع رآئع لتبادل الأفكار والآراء فيما يعود عل الأمة الاسلامية من منافع (١٢).

ويضيف المرحوم عبد الله علوان اسلوب من أساليب الدعوة في «الموعظة والتأثير والاقناع والمحاجة واستحالة العاطفة وشحذ العاطفة الهمة ترسخ الفكرة وهداية الناس الى الخير وتثبيت دعائم الاصلح في المجتع وهو أسلوب توضيح الفكرة بشيء محسوس وتجسيد الموقف كقول الله عز وجل: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ [البقرة:٢٦١]، وقوله: ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أونزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذوره الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾ [الكهف:٤٥].

والنبي ﷺ كان يستعين على توضيح الكفرة للناس بضرب المثل وتجسيد الموعظة، ليكون وقع الموعظة في النفس أعظم، وتثبيت الفكرة في الذهن ارسخ (١٣) فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة (١٤) بين الغنمين تعير الى هذه مرة وهذه مرة» رواه مسلم (١٥).

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي

الدعوة الإسلامية ووسائلها الاعلامية ٢/١

ﷺ قال: «انما مثل جليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير (١٦)، فحامل المسك اما أن يحذيك (١٧) واما أن تبتاع منه (١٧)، واما أن تجد منه رحيا طيبة، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك، واما أن تجد ريحا خبيثة (١٩) [رواه مسلم].

مما سبق ذكره يتبين أساليب الدعوة الاسلامية في نشر التعاليم الاسلامية وفي ترسيخها للمفاهيم الاسلامية وهذا ماكان ينقص الكثير من الأديان الأخرى كذلك يرجع انتشار الدعوة الى طبيعة المرسل أو القائم بالاتصال وهو ماعرف بالسلام بالداعية وسيأتي الحديث عنه ومن صفاته ان شاء الله.

القصة في القرآن والسنة

يعتبر القرآن الكريم الحديث الشريف من وسائل الاعلام الاسلامي ومما تميزا فيه الأسلوب القصصي ونود أن نقدم هنا تعريف بالقصص.

القصص (في اللغة):

القطع والتتبع وايراد الخبر المقصوص ويقال: قصصت الشيء آذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء ومنه قوله تعالى: ﴿ وقالت لأخته قصيه ﴾ [القصص: ١١٠] أي تتبعي أثره.

والقصة سلاح فعال، اذا أحسن الانسان اسعماله استطاع أن يحقق كثيرا من الخير والصلاح.. لأن النفس ترتاح لسماع القصة وتستمتع، وتتأثر بالمغزى الذي تحويه.

والانسان بفطرته ميال الى القصة لما يرى في سماعها من الأنس والمتعة، فاذا استطاع الدعية أن يستخدم هذه الأداة الممتازة كان ضمن دائرة الاسلام ولمصلحة الدين والخق كان القصص محمودا وطيبا (٢٠).

والقصص من أهم العوامل النفسية التي نهضت بهمة الاعلام السالمي في شتى مراحله، وقد كان القصص القرآي هو الوسيلة العظمى والطريقة المثلى للدعوة الاسلامية(٢١)والقصة في القرآن الكريم هي أول قصة في لغتنا العربية عرفت الالتزام وحددت رسالة الاعلام بمعناه الانساني الذي يفهم من الاعلام السلامي على أساس وظيفته الاجتماعية التي تدعو الناس كلهم الى الخير وتبعدهم عما ألفوه من خلق وعادات وآراء زائفة وعقائد وعبادات باطلة (٢٢).

ويعتبر أسلوب القصص من أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى الاسلام ولعله كان أكثرها وقعا في نفوس العرب وغيرهم من الأمم التى أعتنقت الاسلام وقد حفل القرآن بقصص الأنبياء ومالقيه كل نبي منهم من أذى بأعنف الصور الأشكال التي عرفتها البشرية وصبرهم تجاهها مما بث في المسلمين روح التضحية والصبر من أجل الدين (٢٣).

يقول عز وجل: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ﴾

فكان اسلوب القصص مفرجا لكرب المسلمين خصوصا في مكة حديث اشتد العذاب بالمسلمين فعندما يسمعوا قصص من قبلهم ممن عذب هان عليهم العذاب والألم واستمروا في الثبات على الحق.

وجاءت السنة النبوية الشريفة بعد ذلك واستفادت من الأسلوب القصص خصوصا عندما يريد الرسول ﷺ توصيل بعص المعلومات أو الأمور التعبدية أو الأمور العسكرية أو غيرها.

ويستعمل عليه الصلاة والسلام أسلوب القصص بطرق عدة اما مباشرة أو عن طريق الايحاء أو التجسيد والتمثيل حتى يتصور المسلمون مايرده منه نبيهم ﷺ فحادثة الاسراء والمعراج وما رآه الرسول ﷺ من أنواع العذاب في النار أثناء المعراج ثم حدث به صحابته فأخبرهم عن أنواع العذاب ومسببات ذلك بأسلوب جعلهم يحسون وكأنهم رأوا هذه الحوادث بأعينهم فكان لهذا الأسلوب ذلك الأثر الجيد في النفس والفطرة، بحيث يحاول صاحبها أن تبقى نفسه من الآثام والذنوب والمعاصي.

وكانت الأحاديث الشريفة تأتي الفصل ماينزل في القرآن الكريم من آيات فمثلا فرضت الصلاة قوله عز وجل ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ [النساء:١٠٣].

ففصل الرسول ﷺ طريقة الصلاة ومواقيتها وعدد ركعاتها والوضوء لها وكل مايتصل بالصلاة حتى تكون متكاملة مقبولة عند الله عز وجل.

وكان الرسول ﷺ يعلم الناس ويرشدهم الى الطريق الصحيح وجادة الصواب فان أخطأوا صحح لهم ووجههم كذلك نعلم أن كل قول أو فعل أو تقرير أو سكوت عن فعل يعتبر حديثا أي أنه اعلام للناس بحقيقة الأمر الذي يعلمونه.

لذلك لم يترك لهم الرسول ﷺ شيئا اجتماعيا ولاسياسيا ولا اقتصاديا ولاعسكريا ولاغير ذلك إلا وكان له رأي أو قول فيه.

الخطبة

تعتبر الخطبة احدى الوسائل المهمة في الدعوة الاسلامية، احدى الأساليب التي أدت إلى انتشار الدعوة – وأقصد بالخطبة – خطبة الجمعة وخطبة الوقوف بعرفات كذلك بعض الخطب في الفتوحات الاسلامية – وخطبة المعة فن من فنون الاعلام والدعوة يتجدد هذا الألوب بتجدد أسلوب المعيشة والتقدم الحضاري، وكلما واكبت الخطبة الأحداث اليومية خلال أسبوع وأعطت رأي الاسلام في مايحدث كانت في مقربة من الناس ومن مشاكلهم.

وتعتبر الخطبة من أقدم وسائل الاعلام الشهفية وهى مازالت منتشرة في المجتمعات الحالية، عرفتها المجتمعات القديمة، فانتشرت عند العرب والرومان في الحرب والسلم والسياسية والأدب، ولهذا انشأت عند العرب أسواق خطب كسوق عكاظ في مكة المكرمة وسوق المربد في البصرة أو كتلك الزوايا والملاعب الواسعة في روما التي كانت تشهد مباراة في الأدب والفلسفة (٢٤).

وقد قضت الخطابة في الاسلام على كل لون قديم من خطابة الجاهلية لايتفق مع روح الاسلام، ووضع الرسول ﷺ أسس الخطابة وتقليدها في صلاة الجمع والأعياد ومواسم الحج (٢٥).

فقد كان يبتدأ خطبته بحمد الله تعالى وشهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله كذلك كان يقوى خطبته بآيات الله البينات وكان ﷺ لايسجع في خطابته وتعتبر خطبة الجمعة هي التي تميز صلاة

الجمعة عن بقية الصلوات الخمس اليومية على مدار الأسبوع فأصبح لزامنا على كل مسلم أن يشهد هذه الخطبة انطلاقا من قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿ يأيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة في يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ﴾ [الجمعة: ٩]. والنداء هو الآذان الذي يسبق الخطبة كما يسبق الصلاة (٢٦).

ويقول الدكتور؟ عبداللطيف حمزة ان نظرة سريعة في خطب الرسول ﷺ تدلنا على أنها أشتملت على المجالات التالية:

أولا: الكلام في مجال الدين من حيث أركانه وعبادته ومعاملاته وقد استغرق ذلك معظم حياة النبي ﷺ منذ البعثة الى نهايتها.

ثانيا: الكلام في مجال الجهاد.

ثالثا: الكلام في مجال الأخلاق وهو من أطول المجالات التي تكلم فيها الرسول ﷺ ذلك أنه كان مسؤولا عن بناء جديد له مفاهيم جيدة وقيم جديدة، ومن ثم اشتمل هذا المجال على بيان الصفات التي يجسدها الاسلام.

رابعا: الثناء على الخالق سبحانه وتعالى بما هو أهله من الصفات، وتصويره تعالى في أذهان المسلمين بالصورة التي رسمها القرآن.

خامساً: الثناء على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم – وبنوع خاص – ابو بكر وعمر وعثمان وعلي، وحث المسلمين جميعا على اكرامهم والرجوع اليهم في كل المشاكل.

سادسا: أوصاف الجنة النار كما جاءت كذلك في القرآن (٢٧).

والرسول ﷺ كانت له عدة خطب منها عسكرية ومنها في صلاة الجمعة، وأهم هذه الخطب هي خطبة (حجة الوداع) التي أعلن فيها المبادىء العامة للسلام والتي كانت خاتمة وتعتبر دستورللحياة وضع فيها الأسس التي ستقوم عليها الأمة الاسلامية من بعده إلى يوم القيامة ونذكر هنا أنه توفي قبل أن يحل عام على خطبته.

ولايمكننا في هذه العجالة أن نذكر الخطبة كلها ولكن نقتطف منها ولو أن الاقتطاف منها يذهب بقوتها فيقول ﷺ أيها الناس ان دماءكم وأموالكمن حرام الى أن تلقوا ربكم» وان كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون،قضى الله أنه لاربا».

أما بعد أيها الناس، فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، لكنه ان يطع فيما سوي ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذوره على دينكم وقد تركتم فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمر بيننا، كتاب الله وسنة نبيه (٢٨).

■ كانت التربية في صدر الاسلام تبدأ في البيت عن طريق المحاكاة والتلقين

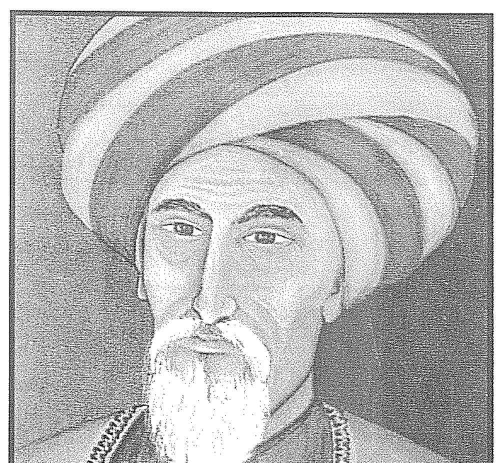
هذه كانت بعض المقتطفات من خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع التي أعلم الناس فيها وبلغهم ملخص المبادىء الأساسية للدين الاسلامي، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

ويعلق الدكتور السباعي على هذه الخطبة بقوله: «ومما يلفت النظر في حجة الوداع هذا الخطاب القوي المحكم الذي خاطب به رسول الله الناس أجمعين، وتلك البادىء التي أعلنها بعد اتمام رسالته ونجاح قيادته، مؤكدة للمبادىء التي أعلنها في أول دعوته يوم كان وحيدا مضطهدا، يوم كان قليلا مستعضفا، مبادىء ثابتة لم تتغير في القلة والكثرة، الحرب والسلم، واعراض الدنيا واقبالها، وقوة الأعداء وضعفهم، بينما عرفنا في زعماء الدنيا تقلبا في العقيدة والمبدأ، وتباينا في الضعف والقوة، وتغيرا في الوسائل والأهداف،يظهرون خلاف مايبطنون خلاف مايبطنون، ويبادرون بغير مايعتقدون، ويلبسون في الضعف لبوس الرهبان، وفي القوة جلود الذئاب، وما ذلك إلا لأن هؤلاء رسل المصلحة، وأولئك رسل الله – شتان بين من يحوم فوق الجيف، ومن يسبح في بحار النور، شتان بين الذين يعلمون لأنفسهم والذين يعملون لانسانيتهم، شتان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن (٢٩) ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور، والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أو لئك أصحاب النار هم فيهاخالدون ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ولانريد أن نتبحراكثر في الخطبة وأسلوبها ومكوناتها وصفات الخطيب وغير ذلك.

هوامش

١) دكتور/ منير حجاب، نظريات الاعلام الاسلامي، ص ١٥.
٢) دكتور/ أحمد غلوش، الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها، ص ١٠.
٣) الشيخ/ البهي الخولي، تذكرة الدعاة، ص ٣٠.
٤) الشيخ/ علي محفوظ، هداية المرشدين الى طريق الوعظ والخطابة، ص ١٧.
٥) دكتور/ منير حجاب، نظريات الاعلام الاسلامي، ص ٢١.
٦) د/ منير حجاب، نظريات الاعلام الاسلامي، ص ١٨١.
٧) طريق الدعوة، مصطفى مشهور، ص ٣٠.
٨) د/ محي الدين عبدالعليم، الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العلمية، ص ١٦٨.
٩) د/ عماره نجيب، الاعلام في ضوء الاسلام، ص ١٢٠.
١٠) طلعت همام، مائة سؤال عن الاعلام، ص ١٠٧.
١١) د/ عبداللطيف حمزه، الاعلام في صدر الاسلام، ص ٢٠٤.
١٢) د/ ابراهيم اما، الاعلام الاسلامي (المرحلة الشفهية) ص ٧٧.
١٣) الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان، حكم الاسلام في وسائل الاعلام، ص ٣٥.
١٤) أي المترددة الحائرة(بين الغنمين) لاتدري لأيهما تتبع (تعير) أي تردد وتذهب.
١٥) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم (١٩٤٢) ص ٥١٦.
١٦) بالكسر كير الحداد وهو المبني من الطين.
١٧) أي يعطيك.
١٨) أي تشترى منه.
١٩) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم (١٧٧٩) ص ٤٧٣.
٢٠) د/ محمد ابن لطفي الصباغ في مقدمته لكتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزي، ص ٤٩.
٢١) د/ ابراهيم، الاعلام الاسلامي(المرحلة الشفهية) ص ١٣١.
٢٢) د/ ابراهيم امام، الاعلام الاسلامي(المرحلة الشفهية)ص ١٣١.
٢٣) د/ عبداللطيف حمزه، الاعلام في صدر الاسلام، ص ٤٣.
٢٤) طلعت همام، مائه سؤال عن الأعلام ،ص ٩.
٢٥) د/ ابراهيم امام، الاعلام الاسلامي(المرحلة الشفهية) ص ١٠٨.
٢٦) د/ محي الدين عبد الحليم، الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية، ص ١٥٨.
٢٧) د/ عبداللطيف حمزه، الاعلام في صدر الاسلام، ص ١٧٧.
٢٨) السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الرابع، ص ٢٥٠.
٢٩) الدكتور/ مصطفى السباعي، السيرة النبوية، دروس عبر، ص ١٦٦.



لماذا تخلف المسلمون عن ركب الحضارة؟

يسألني الناس إنك كنت في الشرق مدة طويلة. فما الذي شهدت يا ترى، وما عسى أن يكون جوابي؟ إنني أقول لهم: إنني رأيت الشرق من أقصاه، فما رأيت إلا قرى مقفرة، وشعوبا لا راعى لها، وجسورا مهدمة، وأنهارا معطلة، وشوارع موحشة، رأيت وجوها هزيلة متجعدة، وظهورا منحنية، ورؤوسا فارغة، وقلوبا جامدة، وعقولا منحرفة.

رأيت الظلم، والعبودية، والبؤس، والشقاء، والرياء، والفواحش المنكرة المكروهة، والأمراض الفاشية الكثيرة والغابات المحرقة، والمواقد المنطفئة الباردة، والحقول السبخة القاحلة، والصور المقززة، والأيادي المعطلة والأرجل المشلولة.. رأيت أئمة لا تابع لها، ورأيت أخا يعادي أخاه، ورأيت نهارا لا غاية له ولا هدف، ورأيت ليالي حالكة طويلة، لا يعقبها صباح مسفر، ونهار مشرق

تحقيق : مصطفى خليفة

.. هكذا صور الشاعر التركي الكبير محمد عاكف العالم الإسلامي.

والصورة كما نرى شديدة الظلمة مفعمة بالتشاؤم والألم ونسأل لماذا أضحى العالم الإسلامي هكذا؟ وبمعنى آخر. لماذا تأخر المسلمون عن ركب الحضارة وتقدم غيرهم.. هذا هو موضوع تحقيقنا.

(القرآن كتاب عمل وحركة)

يجيب الدكتور مصطفى محمود.. لان المسلمين يقرأون كتابهم بعيون الموتى، وهم في حالة قعود دائم وسكون، ولا يبرحون مكانهم، فلا تطلق فيهم الآيات قوة دافعة للحركة والعمل والبحث والاختراع.. مع أن القرآن الكريم كتاب حركة وعمل

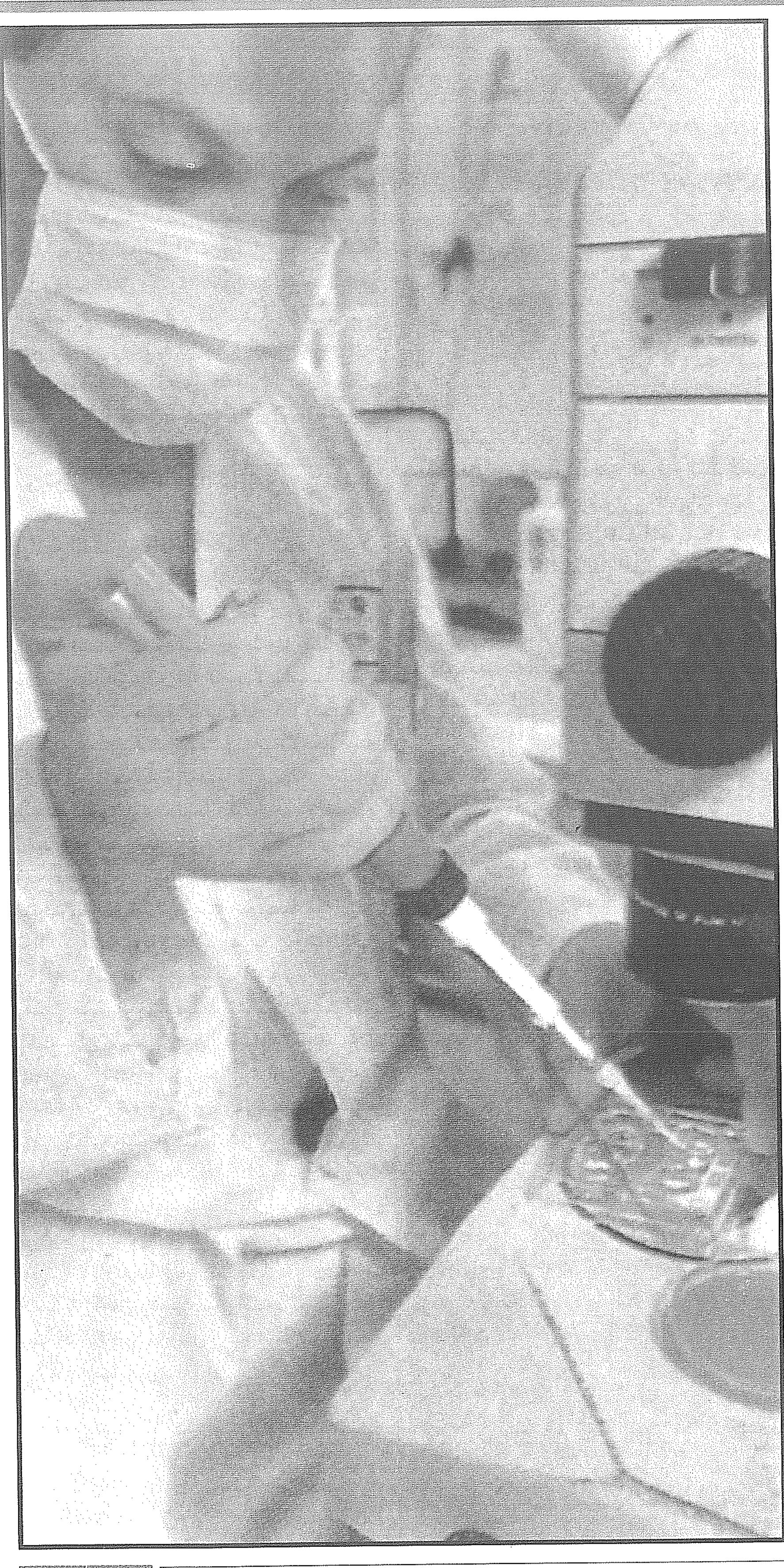
- ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ العنكبوت/٢٠.
- ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ يونس/١٠١.
- ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ التوبة/١٠٥.

وفي كل آية أمر بالسير والنظر والحركة والتفكر والتدبر والتأمل، وفي الإسلام ديناميكية وإيجابية وحض على العمل والسفر والسياحة في الأرض والبحث العقلي.

لقد خرج عقبة بن نافع من قلب الصحراء العربية على فرسه غازيا يدعو إلى الله حتى بلغ الشمال الأفريقي ثم استمر حتى بلغ أقصى الغرب. وعلماء المسلمين الذين صاغوا حضارة الغرب وتزخر كتبهم بأسماء هؤلاء العلماء.. ولكن ماذا حدث، ولماذا هذا السكون والسلبية والرجعية في دين يأمر بالحركة والعمل والانطلاق في أرجاء الأرض؟

مذاهب التظليم

ولماذا يذهب من يدعون بأنهم أصحاب مذاهب التنوير إلى تنوير آخر مريب عن طريق التشكيك والتغريب والعلمانية ينتهي بنا إلى الخروج عن الملة بالكلية؟ لماذا لا ترى عيونهم التنوير الباطن بالفعل في كل آية؟ والقرآن نفسه كتاب تنوير من أول آية.. «اقرأ..» أمر صريح بالقراءة وطلب الاستنارة



والاستدلال. لم يفهموا كل هذا، وتعاموا عنه وطلبوا التنوير من ديكارت وهيوم وأوجست كونت.. وكان تنورهم يبدأ برفض الإسلام نفسه والتشكيك فيه، وفتح الباب لغزو ثقافي غربي يأتي ومعه آلته الاستعمارية. وعلى هذا الدرب سار سلامة موسى وطه حسين وبقية الطائفة أصحاب مذاهب التنوير وهم في الحقيقة أصحاب مذاهب التظليم.

أما بقية المسلمين فقد ركنوا إلى الكسل والتواكل والسلبية والجمود ولم يفهموا من القرآن إلا ما تهوى نفوسهم العاجزة التي لا تريد أن تنهض لأي عمل.. وهكذا ضاعت حقيقة القرآن وجوهره من أيدي أهله ولم يتبق منه إلا حواشيه. فالإسلام الحقيقي مبعد ومعتقل بين دفتي القرآن وليس له وجود في الخارج.

الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي

ويقول الدكتور أحمد عبدالرحيم أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر: إن السبب في تخلف المسلمين عن ركب الحضارة الإنسانية هو الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي الذي أصاب المجتمع الإسلامي. والضعف الفكري: ما أصيبت به أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات إلا كانت الحالة، انحطاطا في التفكير، واهتماما بالخرافات والأساطير والتفكك الاجتماعي نتيجة حتمية للضعف الفكري، لأن الضعف الفكري لا يكشف للإنسان مخاطر الانزلاق في الهاوية، ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية ابتليت بالطوائف المتعددة والمتناحرة، والمذهبية التعصبية.

وانهيار الأمم يبدأ من الداخل، وقد يأتي تدخل خارجي ليعجل بالسقوط. ولكن يظل الانهيار الداخلي هو بداية النهاية وعاملها الأكبر، ويأتي الانهيار الداخلي حين تتكون طبقة مترفة تتحكم في الثروة وفي الجماهير، فتنتشر الظلم والانحلال، وتحيل حياة الأكثرية إلى جحيم تهون فيه الحياة. كما يقول الشيخ الغزالي. وأية أمة تضعف في أفكارها، ولا تعرف إلا القشور من أمرها وتعيش في تناحر وتمزق، لابد وأن تسقط وينال منها من كان يهابها.

إن المجتمعات الإسلامية.. حين أصابها

لماذا تخلف المسلمون عن ركب الحضارة

الضعف الفكـــري والتفكك الاجتماعي، انشغلت بالتـافه من الأمور فقادتها التفـاهة إلى التخلف عن ركـب العلم والتقـــدم والحضارة. ومعنى هـذا أن الأمة الإسـلامية انصرفت عن تعـاليم الإسلام التي تـدعو إلى العلم والمعرفة واستعمال العقل والفكر في كل مـا من شأنه أن يأخـذ بـالناس إلى الطـريق السليم.

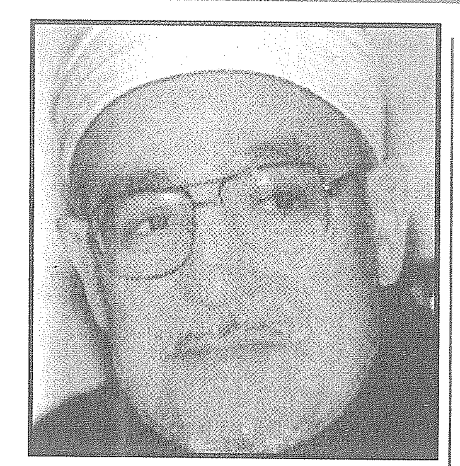
ويقول الدكتور أحمد كمال أبـو المجد - مما لا شك فيـه أن المسلمين تعـرضـوا وتعـرضت حياتهم الفكرية والاجتماعيـة لركـود وجمود حضاري ردهم عن مكان القيادة والتأثير، كما عـرضهم بعـد ذلك خـلال مئات من السنين لعمليـة استـلاب حضـاري طـويل تمثلت في انسـلاخهم عن كثير من القيم الأساسيـة التي تقوم عليها عقيـدتهم الإسلامية، كما تمثلت في قبـولهم للعـديد من المكـونـات الأخـلاقيـة والسلوكية للحضارة الغربية في مرحلة أزمتها.. ولـذلك اجتمعت في حيـاة الكثير منهم معـالم تراجع الحضارة العربيـة والإسلامية، ومعالم أزمة الحضـارة الغربية..وبينما أخذت كثير من الشعـوب التي تعيش أزمـة الحضـارة المادية تتطلع بـالأمل إلى الإسلام وقيمه ونظمـه حتى ولو لم تـذكر باسمه، وتتعـرف على مصادره، ومنهج الأخـذ من تلك المصـادر.. فقـد بقي المسلمـون عاجـزين عن المسـاهمة الفعالـة في تحقيق هذا الأمل بسبب مـا آلت إليه أوضاعهم من تـراجع وتمزق وحيرة وعجز. وعلى امتـداد العـالم كلـه يتـزايـد وينتشر الإحسـاس بأن الثورات الصناعية والعلميـة المتعاقبة قد مكنت الإنسـان من تحقيق المزيـد من السيطـرة على البيئـة، وتسخير الطبيعة، وتـوفير العديد من أسبـاب اليسر المادي.. لكنهـا انتـزعت من الإنسـان الأمن والسكينـة واشتـد الإحسـاس بـالقلق والخوف، وحل النهم في الأخـذ محل الكرم في البذل والعطاء.

الإسلام مصدر القيم الإنسانية

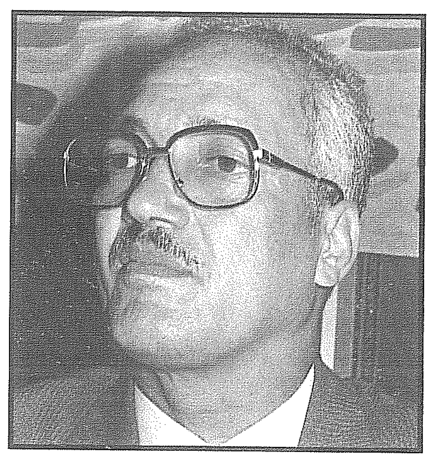
ويضيف الـدكتور كمال أبـوالمجد قـائلا : ولما كان الإسلام - في جوهره - نظاما للقيم، يحفظ التوازن بين الإنسان الفرد والناس من حـولـه..كما يحفـظ التـوازن بين الإنسـان ومطـالبه المادية وأشـواقـه المعنويـة.. فإن الإحساس بأزمة الإنسان المعـاصر بدأ يأخذ صـور التطلع إلى إحياء «القيـم» الأساسيـة التي أوحـت بهـا السماء إلى النـــاس والتي تـنـزلت بها كلمات اللـه على رسله وأنبيـائه.. والتي جعلها الله كالرواسي الثابتة في الأرض، لـولاها لمادت الأرض بمن عليهـا من النـاس والشعوب.

ولـذا فإن الحاجة إلى إحيـاء قيم الإسـلام ونشرها لم تعـد حاجة موضعيـة قاصرة على المسلمين وإنما صارت حاجة عـالمية لافكاك للمسلمين من النهوض لأداء مطـالبها في غير ابطاء ولا تقاعس.

والتيار الإسلامي الذي تشتد الحاجة إليه، هو أسـاسا تيـار في خدمة النـاس، يفهم من معنى قولـه تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للنـاس ﴾ آل عمران / ١١٠ أي أخرجت من أجل الناس ورحمة بهؤلاء الناس.



* الشيخ الغزالي



* د. أحمد السايح



* د. مصطفى محمود

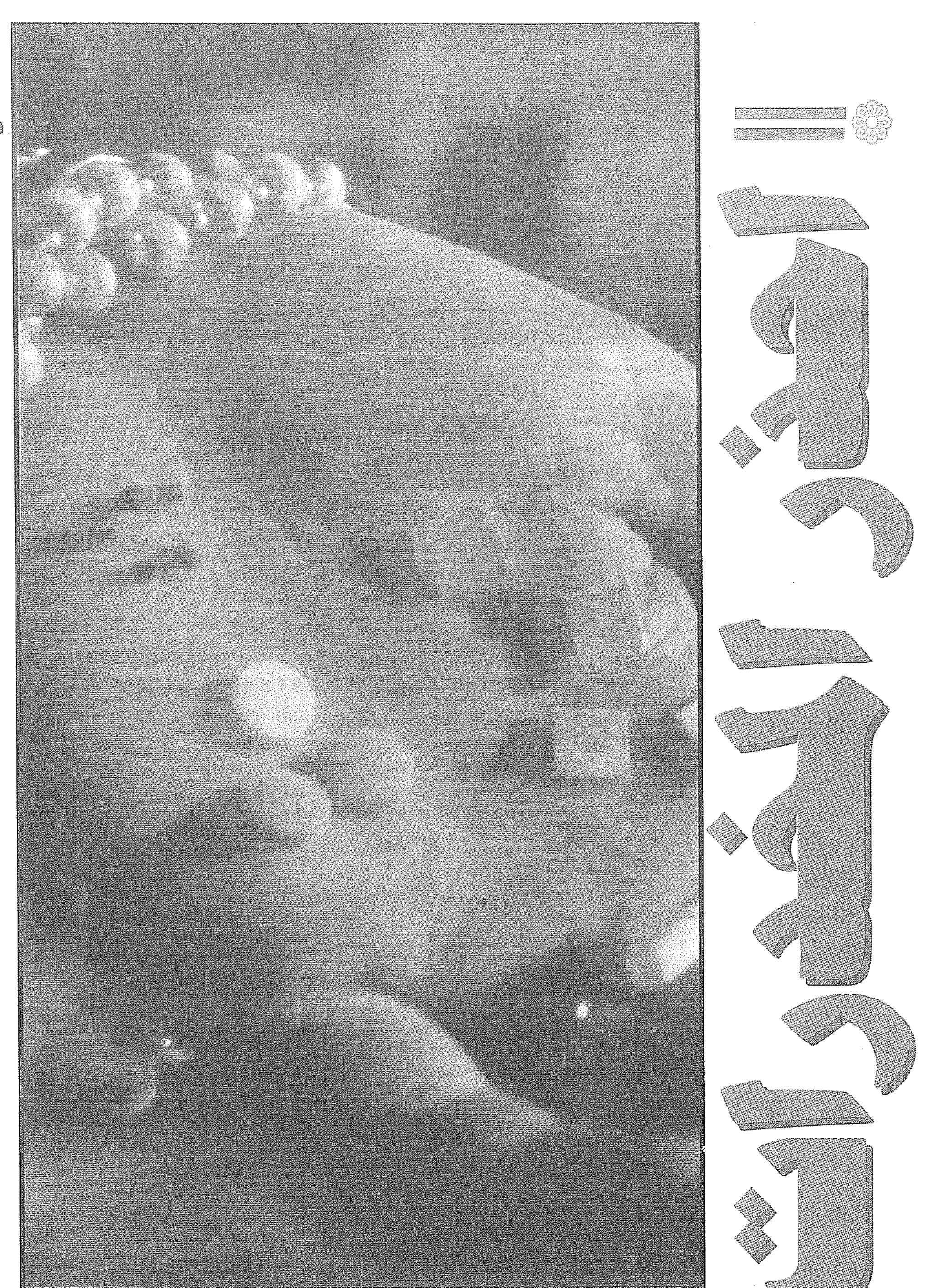
هوان العقيدة في النفوس

ويقـول الشيخ محمـد الغـزالي.. إن الأمـة الإسـلاميـة تعيش في عصرهـا الحاضر فترة كئيبـة من تـاريخها الطـويل وهي تمر بأيـام عجاف، هزمت فيهـا.. وتألب عليها الأعداء فلم تبذل في مقاومتهم جهدا يذكر حتى استطاعت شتى الملل والنحل أن تكيد للإسلام وأهله، وأن تنـزل بهم أفـدح الهزائم، والسبب أن العقيـدة الإسـلاميـة في نفوس أهلهـا هـانت وتأخـرت ورجحت عليها حب الدنيا وحب الشهوات.

إن الإسلام أصبح في أقطار كثيرة من أرض الإسلام إشارة تمرد وتخلـف ومصدر امتهان وإرهاب. بينما الآخرون ينتمـون إلى دياناتهم بـلا وجل ويعملون لها دون أن يعتبرهم أحـد خارجين على القـانون، وكأن الأمة الإسـلامية مفـروض على أبنائهـا أن يتنكروا لـدينهم وأن يجعلوا ولاءهم لقيم مستوردة وأفكار غربية!!

العودة إلى الإسلام

ويضيف الشيخ الغـزالي.. بعـد سـؤالـه عن كيفيـة الخروج من هـذا المأزق. فيقـول: إن الطـريق واضح بين وهـو أن يعـود المسلمـون ليدخلوا في الإسلام، حتى يعود إليهم ما افتقدوه ويثـوبـوا إلى رشـدهم ونحن لا نيأس من هـذه العودة المرتقبـة لأننا نؤمن بقولـه تعالى ﴿ ولا تهنـوا ولا تحـزنوا وأنتم الأعلـون إن كنتم مـؤمنين ﴾ آل عمران/ ١٣٩.على أن العودة إلى الإسلام ليست كلاما يقال أو هتافا يردد ولكنها عودة تعني بناء أخـلاق قويـة راشدة وشبـابا يـرعى العهود والأمـانات وتعني إزالـة الركـود الذي تسلل إلى أوصال الأمة الإسلامية ■



● الحبوب المخدّرة مغرية.. ولكن..

انتشرت في الفترة الأخيرة ظاهرة تعاطي المخدرات بصورة مقلقة بين شبابنا، ونشطت أسواق الخمر، وانتشرت منافذ السموم والعقاقير خصوصا بين الشباب والطلاب، وسرعان ماسقطت الضحايا نتيجة هذه السموم التي خربت العقول ودمرت النفوس وأزهقت الأرواح وسرى ضررها وخطرها في المجتمع سريان النار في الهشيم. وفي هذه العجالة السريعة لهذا الموضوع الشائك سنتعرف سويا على :أنواع المخدرات، رحلة المخدر داخل الجسم، أثر المخدرات على صحة الإنسان، وطرق العلاج وماطبيعة الشخصيات، المؤهلة لتعاطي تلك السموم. وماهو رأي الدين في تعاطي المخدرات؟

بقلم الدكتور: نبيل مأمون المرصفي *

المخدرات أنواع وهى إما مخدرات طبيعية أو مخدرات تخليقية.

١) المخدرات الطبيعية: وهى المشتقة من نباتات الخشخاش والقنب والكوكا والقات مثل:

* الأفيون: وهو عبارةعن العصارة اللبنية للخشخاش ويتعاطى عن طريق الأكل أو الشرب أو عن طريق الحقن بعد إذابته في الماء كما يدخن في بعض الدول كالصين.

* المورفين: وهو مشتق من الأفيون ويعتبر المادة الأولية للهيروين الذي يدخن أو يستنشق عن طريق الأنف أو يبتلع أو يوخذ عن طريق الحقن.

* الحشيش: ويستخرخ من نبات القنب الهندي ويدخن أو يؤكل.

* الكوكايين: ويستخرج من نبات الكوكا ويتم استنشاقه في صورته الفضية البلورية، كما يتم تعاطيه عن طريق حقن الوريد، ويقوم البعض بمضغ أوراق نبات الكوكا.

٢) المخدرات التخليقية: وهى التي تصنع بطريقة كيميائية مثل

* المهبطات: مثل أقراص «السيكونال» «والدورودين»

* المنشطات: مثل الهيروين

* عقاقير الهلوسة: والتي قد تكون أقراصا أو مسحوقا

* طبيب مصري

أو سائلا وهى تثير خيال المتعاطي وتجعله يرى صورا أو أشخاصا غير موجودين. ومثال تلك العقاقير (L.S.D) والمارجوانا.

رحلة الخدرات داخل جسم الإنسان

إن جلد الإنسان هو المحطة الأولى التى تتأثر بمادة الهيروين والكوكايين عند إستنشاقها، فالمعروف أن جدران الأنف من الأماكن الغنية بالأوعية الدموية وعلى ذلك يسهل امتصاص أي عقار فبمجرد الشم يلتصق مسحوق الكوكايين بجدار الأنف المبطن بغشاء مخاطي ويبدأ بعد ذلك الجسم في امتصاص المخدر عن طريق الأوعية الدموية الموجودة داخل الأنف وتنفذ مادة الكوكايين من الأنف إلى الدورة الدموية وبالتالي تصل إلى الجهاز العصبي.

ويلاحظ عند تعاطي الكوكايين لفترة طويلة وجود ثقب كبير بالحاجز الأنفي ينتج عن تساقط أجزائه بسبب موت خلاياه.

والغريب أن حاسة الشم تنعدم بمرور الوقت عند شمامي الهروين والكوكايين وذلك لضمور عصب الشم نتيجة لالتصاق مسحوق الهروين بالجزء العلوى من فراغ الأنف.

ويعتبر شكل الأنف من الداخل دليلا واضحا وأكيدا على تعاطى هذه السموم البيضاء.

أثر المخدرات على صحة الإنسان

تأثيرها على الدم:

من المعروف أن الدم سائل أحمر وردي يتكون من سائل بلازما الدم – ومن خلايا وتكون الخلايا من كرات الدم الحمراء وكرات الدم البيضاء والصفائح.

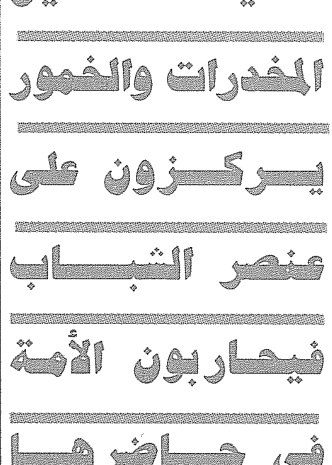
ويكون الدم ٨٪ من جسم الإنسان وكما هو معروف أن للدم وظائف هامة منها: نقل المواد الغذائية المهضومة إلى الكبد وكافة أجزاء الجسم ونقل الأوكسجين وتكوين وسائل للدفاع عن الجسم.. وما إلى ذلك من وظائف عديدة لايتسع المجال لذكرها.

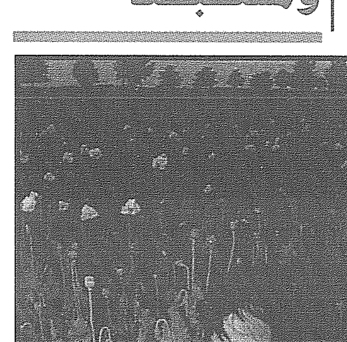
فإذا كان للدم تلك الأهمية البالغة فكيف يسمح الإنسان لنفسه أن يمزج دمه بهذه السموم التي تعيق من دورته وتؤدى إلى الإنيميا وسوء الهضم والإمتصاص، كما أن مرونة الشرايين تضعف فتتمدد وتغلظ حتى تضيق وتصاب بالتصلب مما يؤدي إلى جلطة في القلب أو في الأوعية الدموية للمخ. وتعتبر هذه الجلطات أهم سبب للوفاة على الإطلاق وتسمى في الولايات المتحدة الأمريكية – القاتل رقم واحد.

تأثير المخدرات على الجهاز العصبي:

بدخول المخدرات إلى الدورة الدموية ينتقل مفعوله إلى موقع الخطر الكامل وهو الجهاز العصبي المركزي وأول جزء يتأثر بالمخدرات هو المنطقة التي تربط بين فصي المخ... وهى المنطقة المسؤولة عن الانفعالات والتفكير «الذاكرة» والسلوك. وبعدها تتأثر مراكز الحركة في الجسم ثم الإحساس ثم يصاب الإنسان بالاكتئاب.. ومن الطبيعي أن يحاول الجهاز العصبي وخلاياه الدفاع عن نفسه ضد المواد الدخيلة عليه فيستحدث نوعا من المناعة ضدها وبالتالي يحتاج المتعاطى لجرعات أكبر للحصول على الأثر نفسه وهذا هو الإدمان حيث يصبح الإنسان بعد ذلك عبدا لهذه المواد المدمرة لايستطيع العمل أو المذاكرة أو التصرف دون تعاطيها.

ومن الجدير بالذكر أن الوفاة تنتج عادة عن هبوط في التنفس نتيجة شلل في مركز التنفس في المخ الذي يؤدي إلى نقص حاد في أوكسجين الدم وزرقة في الوجه والجسم .





● زراعة الخشخاش، الخطوة الأولى نحو الانهيار

تأثير المخدرات على الأنف والأذن والحنجرة:

إن استخدام الأنف كطريق لتعاطي المخدرات ليس من قبيل المصادفة فإن الغشاء المخاطي للأنف يحتوي على شبكة متشعبة جدا من الشعيرات الدموية ممايسهل الإمتصاص عن طريق الأنف.. لذلك نجد أن المدمن يلجأ إلى أخذ شمة واحدة في اليوم تجنبا لمشقة أخذ الحقن مرات.. لما يتوهم من توفر السرية.

وتعاطى المخدرات عن طريق الأنف يؤدى إلى ضمور وتآكل الغشاء المخاطي للأنف

احذر المخدرات

ومع استمرار التعاطي يصاب بثقب في الحاجز الأنفي وتشوهات بالأنف.

كما أن أغشية «دهليز» الأنف تحتقن ويتعرض المدمن لالتهابات متكررة في الجهاز التنفسي فيشعر بجفاف في الحلق والتهابات بالحنجرة وبحة بالصوت وسعال مستمر وقد يؤدي إلى نزلات شعبية ربوية مع ضيق في التنفس وطنين بالأذن وتأثر الدورة الدموية لجهاز التوازن بالأذن الداخلية وإحساس بالغثيان والدوار وعدم القدرة على الاتزان خاصة أثناء المشي والحركة.

هذه الشخصيات مؤهلة لتعاطي المخدرات

إن الأنسان الذي يدخل دائرة الإدمان هو شخصية ذو تركيبة محددة الأوصاف والأبعاد. التوتر يلازمه.. والإكتئاب يصاحبه، وتتفاعل داخله صراعات داخلية حادة وقد يواجه متاعب الفشل وقد يعانى من متاعب عائلية. وقد يكون فاقدا لوحدة الكيان الأسرى وقد تكون مجموعة عوامل متجمعة.

ويمكن أن تندرج شخصية الإنسان المدمن تحت ثلاث شخصيات:

١) الإنسان الذي يتمتع بشخصية سوية، وفي لحظة يقبل فيها تحدى اصدقاء السوء. أو ينزلق بحسن نيه، وبخطأ غير مقصود في صحبة الإدمان وهذه الشخصية تقبل «التوبة» وتعود إلى الاستقامة وينفع معها العلاج.

٢) الإنسان الذي يعاني من الاعتماد الدائم على الآخرين سواء كان الأب أو الأم أو شخص آخر وتجذبه الإغراءات بسهولة، ويتطلع إلى التصرفات التى تشد إليه الأنظار... وهذه الشخصية عادة ماتكون قد تلقت تربيتها في ظروف اجتماعية صعبة وفشل صاحبها في أن ينمي تلك الشخصية.فيهرب إلى الأحلام مع السموم البيضاء. ومثل هذه الشخصية تحتاج إلى علاج طبي ونفسي.

٣) الإنسان الذي عاش طفولته وتربى في وسط عائلي يتسم بالعنف له نزعات عدوانية ضد المجتمع وضد نفسه. وتظهر تلك النزعات في أشكال مختلفة لإيذاء النفس وإيذاء الآخرين. ومثل هذه الشخصيات تحتاج إلى علاج نفسي وطبي مكثف والإحتياط منها حتى لاتنتكس.

هل من أمل في الشفاء؟

نعم.. هناك أمل كبير في الشفاء. المهم هو التوبة والمواجهة الشجاعة والأهم من ذلك الإرادة القوية والعزيمة الصلبة.

من الشائع أن علاج المدمن يحتاج إلى فترات طويلة كما أن تكاليفه مرتفعة مما يجعل بعض المدمنين يتردد في العلاج. يبدأ العلاج بتخفيض عدد الجرعات التى يحصل عليها المريض ويتم استبدال العقار الذي اعتاد عليه بآخر له نفس التأثير ولكن مفعوله يستمر لفترة أطول فمثلا:

إذا كان المدمن يتعاطى ثلاثة جرامات من الهيروبين يوميا يمكن أن يعطى جراما واحدا من مادة أخرى مثل الميثادون.

والخطوة الثانية في العلاج هي: إستخدام الصدمات الكهربائية عن طريق الوخز بالإبر الكهربائية في مناطق معينة من الجسم لإعادة الحياة إلى الخلايا المتوقفة بسبب الإدمان ويتضمن العلاج أيضا سحب المخدر من الجسم بواسطة الحقن بمحلول الملح أو الجلوكوز لطرد المواد السامة المختزنة بالجسم.

كما يتضمن العلاج أيضا التغذية السليمة وممارسة الرياضة والاهتمام بالحالة النفسية للمريض.

حكم الدين

من القواعد الفقهية الثابتة أنه «لاضرر ولاضرار» ولقد حرم الاسلام تناول كل الأشياء التي تزيل العقل كالخمر وغيرها من المسكرات والمخدرات.

قال ﷺ: «ماأسكر كثيره فقليله حرام». وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله في فتاواه: «إن ماسمى بالحشيش حرام، وهو أخبث من الخمر من جهة إفساد العقل والمزاج وأنها تصد عن ذكر الله، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظا ومعنى ومن استحل هذا الشيء ونحوه رغم أنه حلال فإنه يستتاب وإلاقتل ولايصلى عليه ولايدفن في مقابر المسلمين، وإن القليل منه حرام ايضا بالنصوص الدالة على تحريم الخمروكل مسكر.

وفي النهاية تبقى كلمة

إن أعداء الدين يتربصون بنا في كل مكان ويتسللون الينا بهذه السموم بغية الإضرار البليغ بنا وهى محرمة علينا. إننا جميعا مطالبون بالتمسك بتعاليم الإسلام وتحصين انفسنا من شرور هذه الموبقات ..وإبلاغ السلطات فورا عن أوكار تجار هذه السموم ومهربيها ومتعاطيها لأن التستر عليهم إثم وجريمه في حق الأمة حتى نقضي عليهم ونحافظ على سلامة شبابنا.

يقول ﷺ: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولايغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه» [رواه أحمد] ■

■ اللجوء إلى الله والاعتصام بحبله على رأس طرق الوقاية والشفاء من الإدمان



● وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة

يخطىء من يظن في القديم والحديث أن المسلم - في قيامه بتعاليم دينه الحنيف - ينأى عن الوعي المستنير، أو اليقظة المتفتحة، كما يجافي الحقيقة الملموسة كل من يرسم للمؤمن - في وداعته وسكينته - صورة الخامل المنخدع المرّة تلو المرّة، فليس المؤمن بهذا أو بذلك، إنما المؤمن الصادق هو الذي يترسم خطا نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، الذي كان في نهجه مثلاً أعلى للإنسان الكامل في فكره ووعيه وفي يقظته التامة، واستعداده الكامل لكل ما يطرأ من شؤون الحياة، وفي خلقه، وسلوكه قبل كل شيء، وكان عليه الصلاة والسلام في علاجه التربوي، أو في تربيته الناجحة، يذكر التوجيه في مناسبته الملحّة حتى يجيء كالماء الفرات إثر صدى محرق..

اليقظة في السّلم والحرب من أهداف الإسلام

ففي مجال التنبيه إلى اليقظة والوعي، أو في مجال إيجاد نماذج من المسلمين تحرص في سلوكها الواعي على مايتطلبه الإسلام الحنيف من كمال اليقظة والإدراك، في هذا المجال أو ذاك يأتي التوجيه الهادف في الكشف عن أبرز مايميز المؤمن عن غيره من سمات وصفات، إن الذي يستمع لتوجيه الإسلام بتدبر وتذوق وإمعان، يرى صورة فذة لإنسان يتوقد ذكاء، ويتوهج وعيا، ويغنيه في فهم الأمور من حوله التلميح قبل التصريح، حتى لا يترك شاردة أو واردة إلا أحاط بها، وهو حكيم في تصرفه يضع الأمور في نصابها، ويدلي بالرأي فيصيب المحز..

وليس ذلك عن ذكاء فطري فحسب، وإلا لمات من حُرقه كمدا، وإنما لأنه يضع يده في يد تعاليم الإسلام - إن صح ذلك التعبير - فتشده تلك اليد إلى أفق مترع بالعزة والوعي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنه يتعلم

بقلم: عبد الغني أحمد ناجي *

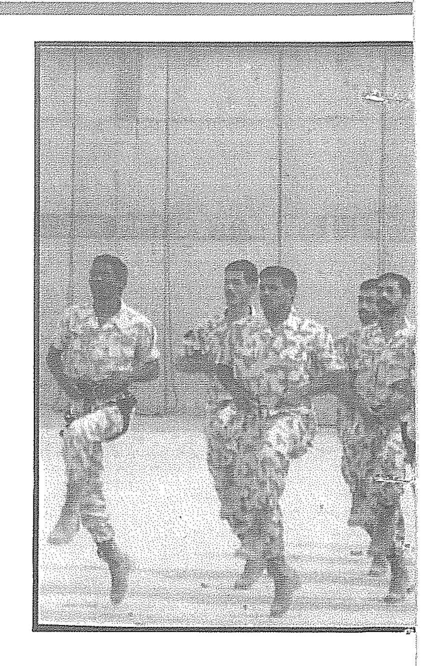
من تجارب الحياة مايكفل له الكياسة التي ينشدها الإسلام فيه، أو يدعوه إلى تحصيلها، لتكمل وتجمل شخصيته في مجتمعه..

والمسلم وهو بصدد تكوين كياسته بتجاربه ربما يكبو مرة، وهذه يغفرها له الإسلام شأن الوالد الرحيم الذي لا يؤاخذ ولده على أول هفوة، حتى لا يوصد أمامه الباب، أو حتى لا يدفعه دفعاً إلى اليأس والعناد، وبعد الكبوة الأولى ينبغي أن يكون المسلم على درجة كبيرة من الوعي واليقظة لمواضع قدمه حتى لا تزل أو تنزلق مرة ثانية، إذ لو حصل منه ذلك لكان دليلاً على غفلته غفلة لا يرضاها الإسلام الذي ينشد الحُصَفاء الواعين في مجتمعه السليم، ليكونوا أهلا لنشر النور بين البشرية، وأهلا لحراسة ذلك النور، والحفاظ عليه ممن يحاولون إطفاءه: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» [رواه أحمد].

ولا بد أن يلم المسلم بما يجرى في عالمه المحدود، وبما يجري في العالم الفسيح، لتحصل له المعايشة الفعلية لمعاصريه، فالإسلام لا يرضى لمسلم أن يعيش في دائرة خانقة، من فكر متبلد، ونظر كليل، ومن ثم أوجب الإسلام على المسلم طلب العلم، فمن مبادىء الإسلام الهادفة أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لأن العلم هو الدعامة المتينة للوعي المنشود، والكياسة المبتغاة، ودعوة الإسلام إلى العلم من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى تجلية أو توضيح، ومن رحابة الجوانب بحيث لا يفي بها العرض السريع..

وإذا كان لابد من ذكر بعض الجوانب فلنذكر دعوة الإسلام الملحة إلى معرفة لغات

*الموجه العام للربية الدينية بالفيوم - مصر



الغير، ومعرفة ما يحاك أو يدبر للإسلام من كيد، حتى نتقي الشرور الهدامة التي تبغى تفويض مايبنيه الإسلام على مسرح الحياة من نماذج ممتازة في مجال الفرد والأسرة والمجتمع.

ثم نذكر أن مؤتمرات القمة الإسلامية - التي تعقد في احدى عواصم الإسلام في العصر الحديث - هي من صميم العمل الإسلامي البناء وهي استجابة أكيدة لدعوة الإسلام إلى الوعي واليقظة وإدراك مايجري في العالم، وأنها - أي مؤتمرات القمة - بجانب تحقيقها الوعي واليقظة المنشودين - تحقق هدفا آخر نبيلا وخطيرا هو اجتماع المسلمين في العالم المائج المضطرب، حتى يكونوا قوة يحسب لها حساب، وهذا الهدف هو ما قصد إليه الإسلام الحنيف الحصيف حينما جعل من بين الفروض التي فرضها على المسلمين ما يدعو إلى اجتماع المسلمين في فترات متقاربة أو متباعدة، وفي نطاق محدود أو موسع..

فالمسلمون في صلاة الجماعة، والجمعة والعيدين - في مؤتمرات متلاحقة، وهي وإن كانت ضيقة إلا أنها تتيح للمسلمين الذين يحضرونها فرصة اللقاء لبحث ما يهمهم من شؤون تقويتهم في دائرتهم - قرية كانت أو مدينة، وهم في الحج يكونون في مؤتمر قمة كبير يتيح لهم على مستوى أرحب لقاءً موسعاً لبحث مايهم الإسلام والمسلمين في جميع الانحاء والأرجاء وهذا هو المنشود. ولأهمية هذه الاجتماعات والمؤتمرات الإسلامية كانت دعوة الإسلام إليها شديدة وملحة، فهي بلا ريب محققة يقظة المسلمين، وداعمة قوتهم وكيانهم في السلم والحرب..

وإذا كان الإسلام يطلب من الفرد المسلم أن يكون قمة في اليقظة وغاية في الوعي حتى يحقق الخير لنفسه ولمن يعاشر، ويدرأ الشر عن نفسه وعن بلاده - فإنه يطلب من المسلمين جميعاً أن يكونوا في اتحادهم وتضامنهم على درجة عظمى من اليقظة والوعي أيضا حتى لا يطمع فيهم طامع، أو يعتدي عليهم معتد، فهم دعاة سلام حقا..

ولكن السلام لا يعني أن يغفلوا ويتهاونوا، ومن ثم فرض الإسلام على المسلمين في وقت الحرب ألا يتركوا حراسة الحدود والثغور ولو من أجل عبادة مفروضة كالصلاة، فرسم الإسلام لصلاة الحرب نظاما دقيقا يعرفه كل من يتصفح كتب الفقه، وكل من يقرأ قول الله تعالى: ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ [النساء/١٠٢].

وهو نظام دقيق حقا يكفل للمسلمين الحفاظ على الصلاة، والحفاظ على الحياة تجاه أعداء الله وأعدائهم.

■ وداعة المسلم وعي مستنير، ويقظة متفتحة، بعيدة كل البعد عن الخمول

وجاءت دعوة الإسلام إلى القيام بهذه المرابطة بأساليب جاذبة تتمثل في رصد الجوائز الطائلة لمن يتمسك باليقظة فيحمي حدود المسلمين، قال رسول الله ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وماعليها» [رواه أحمد]..

وهذا قليل من كثير من الآيات والأحاديث التي تدعو بإلحاح إلى يقظة المسلمين في كل وقت، وبخاصة في وقت الشدة والخطر، فيقظة المسلمين في الحروب إطار يتمثل فيه الاتحاد الكامل، والتخطيط السليم للمعارك، وتبادل الرأي السديد، ثم السير إلى هدف واحد نبيل يحتوي كل الأهداف والغايات، وهو نصرة دين الله تعالى، لينصرنا الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [محمد/٧]..

والذي يقرأ السيرة النبوية الشريفة، ويقف عند غزوات الرسول ﷺ يجد هذه اليقظة بادية بشكل يبشر بالنصر، وكان رائد المسلمين في مجال اليقظة التامة والوعي هو رسول الله القائد، ولا ينسى التاريخ موقفه الحصيف قبيل نشوب الحرب في غزوة بدر الكبرى حينما أجاب من سأله عن قبيلته - وهو يستكشف مواقع المعركة وأماكن الأعداء - بقوله عن نفسه وعن صديقه ورفيقه في الاستكشاف أبى بكر الصديق «كلانا من ماء» [رواه ابن اسحاق في السيرة النبوية] فلم يكذب، ولم يخلف الوعد، فكل حيّ من ماء، ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [الانبياء/٣٠] فما أروع تلك الحيطة واليقظة في أعصب الأوقات درءا للخطر، وحفظا للأمن، وصونا للقوة والأسرار، ليتحقق الفوز والانتصار..

والمسلمون اليوم، وبعد اليوم في ظروف تدعو إلى الاتحاد والتضامن تحقيقا لليقظة التي ينشدها دينهم الحنيف، لمواجهة القوى الطامعة والطامحة والهادفة إلى تقويض صروح مجد الإسلام، وتفتيت قوة المسلمين حقدا، أو خوفا أو خبثا..

وبعد، فإذا كانت اليقظة والوعي مطلبين من أهداف الإسلام في الفرد المسلم، والأمة الإسلامية - مهما تباعدت الديار - فإن النتيجة الباهرة، والثمرة اليانعة تدعوان الفرد المسلم، والأمة المسلمة إلى منتهى اليقظة، وغاية الوعي في معترك الحياة، فالنتيجة والثمرة نصرٌ مبين وفوز عظيم في الحروب، ونجاح وفلاح، وخير وفير، وعزّ كبير في وقت السلم والأمان. وصدق رب العزة في قوله الداعي إلى اليقظة: ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ [النساء/٧١] ■

من أعلام الأندلس في الفقه والسيرة، والأديان المقارنة والتاريخ والأدب نثرا وشعرا. له إسهامات خاصة متميزة في الحضارة الإنسانية بصفة عامة، والحضارة الإسلامية لا سيما في ثلاثة ميادين:
– الفقه الإسلامي بصفة عامة، ووفقا للمذهب الظاهري بصفة خاصة، وقد تبنى ابن حزم المذهب الظاهري ودافع عنه بحماس وحدة مما أقحمه في كثير من المعارك مع المذاهب الإسلامية الأخرى لا سيما المذهب المالكي الذي كان سائدا آنذاك في الأندلس. وقد ظهر موقف ابن حزم الفقهي في كثير من المواقف والمؤلفات أشهرها كتابه الموسوعي الكبير

ملامح الفكر التربوي عند ابن حزم الأندلسي

بقلم الدكتور: حسان محمد حسان

– والأديان المقارنة والرد على الديانات والمذاهب الأخرى لا سيما أن الأندلس كانت زاخرة بطوائف يهودية ومسيحية متعددة، كما أن المواجهة العسكرية والثقافية بينها وبين أوروبا كانت مستمرة دائبة. وظهرت مواقف ابن حزم في هذا الميدان في سلوكه وانتاجه الفكري لا سيما في كتابه الشهير (الفصل في الملل والأهواء النحل) بأجزائه الأربعة..

– وأخيرا السيرة الذاتية بكتابه الصغير الشهير (طوق الحمامة في الألفة والألاف) حيث يحكى بصدق وتلقائية، وبعذوبة وطلاوة. تجاربه هو وبعض أصدقائه ومعارفه في الحب ومعانيه، وأسبابه وأعراضه...

علم موسوعي

وحياة حافلة

ووفقا للمعايير الثقافية للقرن الحادي عشر الميلادي قلما نشر رجل دين وعقيدة – مسلما كان أم غير مسلم – مثل هذه الاعترافات الساخنة الحية. واستغل خصوم ابن حزم – وهم كثر – هذا الكتاب ضمن أسلحة الحملة الدينية السياسية المشهرة ضده باعتبار أن اعترافات كهذه لا يصح أن تصدر عن فقيه مسلم. وعلى العكس من ذلك فإن بعض الدارسين يعتبرون كتاب (طوق الحمامة) وثيقة نفسية اجتماعية هامة كتبها فقيه مسلم شهير تمرد فيها على بعض تقاليد حضارته الإسلامية، وعلى المعايير السائدة آنذاك في حضارات عالمه..

والثابت أن ابن حزم عاش حياة خصبة ثرية جسدت التفاعل الجدلي بين تألق وازدهار الحضارة الأندلسية من جهة، والبدايات الأولى لضعفها وتراجعها من جهة أخرى. ومع البحث والتأليف مارس السياسة والحكم سنوات متفرقة وسط عوامل قلق واضطراب دفعت به للسجن والنفي بحكم عوامل متعددة أهمها انتماؤه السياسي للأسرة الأموية من جهة، واختلافه المذهبي من جهة أخرى..

وعمر ابن حزم ما يقرب من ٧٢ عاما حيث ولد مع نهاية القرن العاشر الميلادي وعاش حتى ستينات القرن الحادي عشر (٩٩٤ – ١٠٦٣م) أي مع نهاية القرن

الرابع وحتى بعد منتصف القرن الخامس وفقا للتقويم الهجري الإسلامي (٣٨٤ - ٤٥٦هـ)..

اشتهر ابن حزم بالموسوعية والغزارة، والعمق والأصالة، لذلك كان فقيها بين الفقهاء، وأديبا بين الأدباء، ومؤرخا بين المؤرخين وعالم أديان مقارنة ليس له نظير، وصاحب دراسة متميزة عن الحب والمحبين.. ولم يقتصر الأمر على غزارة الإنتاج وعمق التناول، وحدة المعارضة وحرارة النقد، بل امتد إلى التميز في المنهج، والاستقلال في المذهب ومن هنا كانت ريادة ابن حزم للمنهج الظاهري في الاندلس معارضا للمذهب المالكي الذي كان سائدا بين الأندلسيين، حكاما ومحكومين..

ومما يستحق الإشادة أن منهجه لم يقتصر على أمور العقيدة. والفقه، بل امتد لسائر ميادين بحثه وفنه، نثره وشعره، وفي هذا المنهج لم يكن مقلدا كل التقليد، متبعا كل الأتباع، بل اختلف عن شيخه أبي داود الظاهري، صاحب المذهب ومؤسس أركانه. وفي ذلك يقول ابن حزم:

«أبو سليمان داود شيخ من شيوخي، إن أصاب الحق فنحن معه اتباعا للحق، وإن أخطأ اعتذرنا له، واتبعنا الحق حيث فهمناه».. وبرغم الموسوعية والأصالة، فلا بد من الاعتراف بأن للرجل سقطاته وأخطائه: فطبيعته المتطرفة، وحدّة لسانه ومرارة نقده، والأمراض التي أثقلت عليه، والنكبات التي لاحقته، ومنهجه المتطرف حينا، المتجمد حينا آخر، كل ذلك - وغيره - جعل له آراء شاردة. وتفسيرات مبالغا فيها، وليس من مهمة هذه المقالة تتبع ذلك والرد عليه فتلك مهمة كتب الفقه والأصول، أفاضت فيها وأطنبت..

وكذلك ليس من مهمة هذه المقالة تتبع فكره فقيها وكاتب سيرة مؤرخا وعالم أديان، أديبا وفنانا، فتلك ميادين رحبة أفردت لها عشرات الكتب العربية والأجنبية وبخاصة الأسبانية..

هل كان ابن حزم اسبانيا؟

وللأسبان موقف خاص من ابن حزم.. فعدد كبير من مفكريهم يعتبّرونه أسبانيا دما ولحما، تاريخا وثقافة، فكرا وسلوكا ولكنه ولد - لسوء طالعه - عندما كانت بلاده محكومة بالغزاة المسلمين!! ومن هؤلاء المستشرقين سانتشت البرنس، وغرسيه غومث فقد، اعتبرا كل ملامح عبقريته ترجع لدمائه الأيبرية، وثقافته الأسبانية، وبقايا التراث والورع الممتد إليه من أجداده الكاثوليك!

إلا أن بعض عمالقة الفكر الأسباني مثل (اسين بلاثيوس)، و(أورتيجا) رفضوا هذه الاتهامات وردوا عليها بموضوعية وأمانة، وعمق وتجرد ومن موقع فكري مرموق، ومكانة علمية مشهودة، وقد كتب (بلاثيوس) كتابا عن ابن حزم يعتبر درة شامخة قام الدكتور (الطاهر مكي) بترجمته عن الأسبانية..

مجمل القول: إن هذه المقالة تركز على جانب واحد عن فكر ابن حزم قليلا ما طُرق، ونادرا ما عُولج. والسبب في ذلك يرجع إلى أسباب أهمها:

* أن كتاباته فيه قليلة شحيحة في حين كانت غزيرة متنوعة في ميادين أخرى. فوسط مايربو على أربعمائة كتاب ورسالة صنفها ابن حزم - ويبدو الرقم مبالغا فيه - لا نجد إلا صفحات قليلة تعالج قضايا التربية والتعليم..

* أنه لم يحترف عملية التدريس والتأديب، من هنا لم يركز عليها تركيز المربين والمؤدبين، المعاصرين له أو السابقين عليه.

إذن هذه المقالة تلقي بعض الضوء على ملامح فكره التربوي، وبخاصة موقفه من الدعوة لتبسيط العلم ونشره بين الناس، وآداب ومجالس العلم والعلماء، والاهتمام بالعقل والتركيز عليه، وتصنيفه للعلوم، ودعوته للتكامل بينها، ودعوته للتوسع في العلم والتعليم.

تبسيط العلم ونشره

في كتاب ابن حزم «التقريب لحد المنطق» دعوة حارة لتبسيط العلم وتقديمه ليس فقط لأكبر عدد من الدارسين، بل أيضا لأكبر عدد من الراغبين، فالعالم الحق «يسهل علمه، ويقربه بقدر طاقته، ويخففه ما أمكن، بل لو أمكنه أن يهتف به على قوارع طرق المارّة، ويدعو إليه في شوارع السابلة، وينادي عليه في مجامع السيارة لكان ذلك حظا جزيلا، وعملا جيدا، وإحياء للعلم»...

وابن حزم عندما نادى بذلك كان تعبيرا عن حضارته الإسلامية التي فتحت باب العلم، وشجعت عليه بجميع الوسائل. كما كان ثمرة للثقافة الأندلسية التي جعلت التعليم الابتدائي في قرطبة - مثلا - يكاد يكون مجانيا إجباريا، وفي ذلك يقول الدكتور: الطاهر مكي: «مجانا لأن العاجزين ما كانوا يحرمون منه، وإجباريا بضغط المجتمع نفسه دون حاجة لقانون.. فالتجار وأصحاب الحرف والصناعات كانوا يرفضون قبول عمال أميين في مهنهم حتى لو كانت لا تحتاج إلى قراءة وكتابة»..

مثل هذا الوعي الإسلامي الحضاري مازالت بعض مجتمعاتنا المعاصرة تبحث عنه وتسعى إليه، ومثل هذا الوعي هو الذي انجب ابن حزم وآلافا غيره من دعاة نشر العلم وتعميمه، تبسيطه وتسهيله، دون تمييز أو تفرقة، حجب أو منع..

ولم يكتف ابن حزم بذلك بل طالب الأثرياء

■ انعكست بيئة ابن حزم على توجهه العلمي والفقهي، وقد أبدع في مدرسة متميزة عن المذهب المالكي السائد، كما أبدع في دراسته المقارنة للأديان والفرق

ملامح الفكر التربوي عند ابن حزم الأندلسي

بتقديم الهبات والتبرعات تشجيعا للعلم، وحفزا للمعلمين والمتعلمين.. كل ذلك بشرط الا يتحول المتعلمون إلى شره المال، أو حب المناصب وفي ذلك يقول: «من اشتغل بطلب العلم ليكون سببا إلى كسب المال فقد جمع بين عيبين عظيمين: ترك أخصر الطرق وركب أوعرها وأقلها فائدة، واستعمل الفضيلة التامة في اقتناء حجارة لا يدري متى تدعه أو يدعها»..

ويبدو أن ابن حزم لم يكن يعبر عن القرن الخامس الهجري فحسب، بل كان يستطلع القرن الخامس عشر! ومن ثم قال في رسالة «مراتب العلوم»:

«إن صحبة السلطان وعمارة الأرض والتغلب في التجارات كل ذلك يدر دخلا أكبر من دخل المشتغل بالعلم. ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل إن أوجه الكسب المادي لا تحتاج إلى علم غزير أو عالم نحرير، بل ربما ينجح فيها الجاهل الاغتم - أي غير الفصيح».

آداب مجالس العلم

يناقش ابن حزم في كتابه «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» ضرورة الأدب والتأدب عند حضور مجالس العلم، مع ضرورة توافر الرغبة في البحث والاستزادة، وليس الرغبة في تصيد الأخطاء، أو المباهاة والاستعراض فإن حضرت هذه المجالس فالتزم أحد ثلاثة أوجه: «إما أن تسكت سكوت الجهال، وإما أن تسأل سؤال المتعلم، أو تراجع مراجعة العالم»(١)..

وفي نفس الوقت يطالبنا ابن حزم بالموضوعية والتأني، والتدقيق والحرص، فلا نقبل بالتصديق، أو نقطع بالبطلان من غير سلامة القلب ونزاهة الحكم من غير أحكام مسبقة.

ومحاولات ابن حزم - وغيره - للالتزام بالموضوعية كثيرا ما فقدت الطريق لأسباب شخصية واجتماعية، من هنا اعترف ابن حزم:

«لقد أصابتني علة شديدة، ولّدت على ربوا في الطحال شديدا، فولّد ذلك عليّ من الضجر، وضيق الخلق، وقلة الصبر والنزق، أمرا حاسبت نفسي فيه، إذ انكرت تبدل خلقي، واشتد عجبي من مفارقتي لطبعي» (٢)..

وهذا اعتراف صريح وجريء من فقيهنا الكبير، وعلى العكس من ذلك فكم من مفكر وسياسي - قديم ومعاصر - يعاني من أمراض جسمية ونفسية ولا يجرؤ أحد على مصارحته بذلك أو محاسبته على نتائجه!

الاهتمام بالعقل

يمايز ابن حزم بين الحس والعقل، الظن والتخيل ويفحص كل وسيلة منها ويدرك حدودها، من هنا يقول في كتابه «التقريب لحد المنطق»..

* الحواس السليمة رغم أهميتها وضرورتها للإدراك السليم إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليها فقط لأن الخداع والهوى قد يؤثران عليها ومن ثم يجيء ضعفها وعجزها.

* أما الظن فأكذب دليل، وقد نبه الله تعالى إلى هذا بقوله في كتابه الكريم ﴿إن بعض الظن إثم﴾ الحجرات/١٢، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الظن أكذب الحديث».

* وأما التخيل فقد يسمعك صوتا حيث لا صوت، ويريك شخصا ولا شخص، من هنا قال تعالى ﴿يُخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ طه/٦٦. وبذلك أخبرنا المولى بكذب التخيل.

* وأخيرا يأتي العقل الذي يثق فيه ابن حزم ويعول عليه: «فليس بين قوى النفس شيء يوثق به أبدا غير العقل ففيه تمييز مدركات الحواس السليمة والمخذولة بالمرض»(٣).

ويعود مرة أخرى لتأكيد قيمة العقل ودوره: «فإليه نرجع في صحة الديانة، وصحة العمل الموصلين إلى الفوز بالآخرة، وبه نعرف حقيقة العلم ونخرج من ظلمة الجهل، ونصلح تدبير المعاش».

واحترام ابن حزم للعقل، انعكس على فقهه، من هنا كان من أكثر فقهائنا تأييدا للاجتهاد، لهذا أكد في الجزء الأول من «المُحلى» «لا يحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا، وكل أحد له الاجتهاد بحسب طاقته»(٤).

لهذا كله وضع ابن حزم لنفسه قاعدة فقهية جرّت عليه المشاكل وأودت به إلى المزالق: «المجتهد المخطىء أفضل عند الله من المقلد المصيب»!!

مثل هذه القاعدة - وغيرها - دفعت صاحبها إلى بعض الآراء الشاردة والتفسيرات المبالغ فيها كما سبقت الإشارة في مقدمة هذه المقالة.

العلوم والدعوة لتكاملها:

في رسالته «مراتب العلوم» صنفها إلى سبعة أقسام: الشريعة، واللغة، والأخبار، والفلك، والعدد، والطب، وأخيرا الفلسفة.

والعلوم الثلاثة الأولى تختلف فيها الأمم من حيث المحتوى وطريقة التناول، بينما تتشابه الأربعة الباقية من حيث الحقائق والمحتوى.

وليس المهم الآن الدخول في تفاصيل كل علم من العلوم السابقة ويكفي تأكيده على وحدتها وترابطها: «فالعلوم التي ذكرنا يتعلق بعضها ببعض ولا يستغنى منها علم عن غيره»(٥).

والمؤكد أن بعض المفكرين المسلمين صادروا بعض هذه العلوم رفضا لها وتأكيدا لقيمة العلوم الإسلامية، إلا أن ابن حزم تجاوز ذلك ودافع عن سائر العلوم بقوله:

«من طلب علوم العرب وازدرى سائر العلوم بمنزلة ليس في يديه من الطعام إلا الملح، ويظن أنه ليس هناك أفضل منه»!!

وهكذا كان ابن حزم مخلصا لتنوع وتعدد، وتكامل وترابط العلوم مع عدم تناسيه لمنطلقه الإسلامي، وتخصصه الفقهي، وبذلك كان تعبيرا عن ثقافة رحبة وعصر

منفتح، وعقل متسع وتكوين متكامل.
ودعوته للتكامل بين العلوم وعدم إهمال فرع منها تتفق مع دعوته السابقة لاحترام العقل وتقديره، وتتفق مع وجهة نظره في تبسيط العلم ونشره، ودعوته لفتح باب الاجتهاد والتأكيد عليه.
فالعقل أداة أساسية للإدراك البشري، والتوغل في ميادين المعرفة المختلفة، التي لا ينبغي حصرها في مواد بعينها، أو حصرها في عدد قليل من الطالبين.

ضرورة التوسع في التعليم

لخوليان ريبيرا تعليق على التعليم بالأندلس بأنه كان مجانيا وإجباريا. ونفهم من مجاني أنه كان بالنسبة لمن لا يملكون نفقاته، وإجباري بمعنى أن الرأي العام فرضه، ولم يكن عملا أو تشريعا قامت به السلطة، فبعض أصحاب الأعمال كانوا يرفضون أن يقبلوا في مصانعهم صبيانا لا يعرفون القراءة والكتابة، حتى ولو كانت مهنتهم لا تتطلبها.(٦)
ومعنى ذلك أن الاهتمام بنشر التعليم والتشجيع عليه وصل إلى حد الالزام بالتعليم بدون إلزام رسمي وقد أشرت إلى ذلك في الملمح الأول منذ صفحات عندما ناقشت «تبسيط العلم ونشره». ونشر العلم وتعميمه كان خاصية إسلامية أندلسية حرص عليها كثير من خلفاء وأمراء الأندلس، من ذلك ما قدمه الحكم بن عبدالرحمن عندما تولى خلافة قرطبة في مطلع النصف الثاني من القرن الرابع حيث أجمعت المراجع على أنه اتخذ المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين مجانا، وأجرى على هؤلاء المعلمين رواتب ثابتة بحيث أنشأ خلال مدة حكمه - التي استمرت ستة عشر عاما - سبعة وعشرين مكتبا بمدينة قرطبة فقط (٧)..
وعند ابن حزم وصلت هذه المسألة إلى قمتها، فنظرا لكونه فقيها يريد نشر العلم لكل الناس، ونظرا لكونه ظاهريا يرفض التقليد والقياس، لذلك - ولغيره - يقول: «يجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم شريعة الإسلام إما بأنفسهم وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم. وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك وأن يرتب أقواما لتعليم الجهال. وفرض على أية جماعة مسلمة تعلم أحكام الشريعة الإسلامية» (٨)..
إذن هنا تأكيد على تعليم الفئات المحرومة من نساء وأرقاء وفي نفس الوقت إلزام وفرض فيما يتعلق بالحد الأدنى من العلوم الشرعية..
وبعد هذه الفروض الواجبة على كل مسلم عاقل تبدأ عند «ابن حزم» فروض الكفاية بحسب التخصصات والاحتياجات التي تختلف عند الأمير عن القاضي أو التاجر أو صاحب المال.. إلخ..
والذي لا شك فيه أن ابن حزم اختلف في تأكيده هذا عن بعض الفرق والمدارس الأخرى داخل حضارتنا الإسلامية لاسيما الصوفية. فالمعروف أن الصوفية طلبوا علوما معينة ركزوا عليها ورفضوا غيرها رفضا باتا.. والفقهاء - لا سيما في العصور المتأخرة - اكتفوا بالعلوم الشرعية واللغوية وأوصدوا الباب أمام غيرها..
أما فقيه الأدباء وأديب الفقهاء فقد كان أقرب للمدرسة الفلسفية مع انطلاق من علوم الشريعة، وتوجيه سائر العلوم بحيث تؤدي إلى مزيد من الإيمان بالباري سبحانه وتعالى، ومزيد من فهم المخلوقات والظواهر..
والجديد في الأمر أن الالزام الذي دعا إليه ابن حزم في التعليم ارتبط بالمصالح الاجتماعية والاقتصادية.. من هنا أكد أن الدين الإسلامي فرض على الأغنياء في كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكاة بهم ولا في سائر أموال المسلمين فيقام لهم بما يأكلون ويلبسون ويسكنون» (٩)..
ومثل هذه الدعوة الحارة الجادة ما أحرى أن نفهم أصولها ونجني ثمارها بحيث تتخلص المجتمعات الإسلامية المعاصرة في كثير من مشاكلها وعيوبها وتنطلق في مسيرة حضارية متكاملة يتحقق فيها التكافل والتكامل، والتعاون والائتلاف وتتكاتف فيها الجهود الرسمية والشعبية، النظامية وغير النظامية..
هذه مجرد ملامح وسوانح عن الفكر التربوي لابن حزم يحسن قبل الانتهاء منها الإشارة إلى رسالة «عبدالبديع الخولي» التي حصل بها على درجة الماجستير من كلية التربية - جامعة الأزهر عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م، عن «الفكر التربوي في الأندلس» وفيها فصل كامل عن الفكر التربوي لابن حزم، والاطلاع عليها يضيف للقارىء معلومات أغزر، وعمقا أوفر. كما أن كاتب هذه السطور سبق له في عام ١٩٨٥م أن أصدر كتابا نشرته دار الفكر العربي بالقاهرة يحمل عنوان «ابن حزم الأندلسي: عصره ومنهجه وفكره التربوي» لعل المراجع له يجد تفاصيل جديدة بالمناقشة والتحليل□

المراجع

١ - ابن حزم الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق وتقديم وتعليق الطاهر مكي، القاهرة، دار المعارف ١٩٨١، ص ٢٥٣ - ٢٥٦.
٢ - المرجع السابق، ص ٢١١.
٣ - ابن حزم، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، بيروت، د.ت. ص ١٧٦ - ١٨٠.
٤ - ابن حزم، المُحلى، الجزء الأول، القاهرة، مكتبة الجمهورية العربية، ١٩٧٦، ص ٨٦.
٥ - ابن حزم، رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة الخانجي، ١٩٧٤، ص ٨١.
٦ - خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس - أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر مكي، القاهرة، دار المعارف ١٩٨١، ص ٥٠.
٧ - محمد عبدالحميد عيسي، تاريخ التعليم في الأندلس ص ١٣١ - ١٣٣.
٨ - ابن حزم، الاحكام في أصول الأحكام، الجزء الخامس ص ٦٩٠ و ٦٩١.
٩ - ابن حزم، المُحلى، الجزء السادس، مرجع سابق، ص ١٥٦.

لاشك أن التربية هي اداة الحضارة ووسيلتها في تخليد ذاتها وضمان انسيابها وتناقلها عبر الأجيال. ويكون فعل التربية في الحضـارة هو رسم هذا الفعل وتحديد مداه والتأثير في سلـوك الفرد الإنساني حتى ينسجم مع الانماط الاجتماعية السائدة.

ولا ينكـر إنسـان أن مبادىء التربيـة الإسـلاميـة هي الاسـاس المتين الـذي قامت عليـه الحضـارة الاسلاميـة التي استمرت في تفوقها ثمانيـة قرون لا منافس لها - فقد قـدس الاسلام العلم والعلماء، وسما بالعلم الى درجـة العبادة، وعني بالتربيـة الروحية والدينيـة والخلقية، يؤكـد ذلك ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من قواعد وأصول تعتبر خير طريق في هذا المجال.

محمد بن سحنون

مبـادىء التربيــة الاســلاميــة هي الاســاس المتين الــذي قــامت عليــه الحضــارة الاســلاميــة

بقلـم: بهيــج بهجــت سكيــك

كـانت التربيـة في صـدر الاسـلام تبـدأ في البيت عن طـريق المحـاكـاة والتلقين، ذلك ان الطفل ينشأ فيرى أهلـه يـرتلـون القرآن، ويقيمـون الصلاة ويصـومون رمضـان، ثم يؤمر بهذه الفروض في سن السابعة ويضرب إن تركها في سن العاشرة. فالحقبة الممتدة بين الهجرة النبـوية الشريفـة وتدوين الحديث في بدايـة القرن الثالث الهجري تميزت تربـويا بـالوضـوح والاستقرار والبعـد عن التنظير، وظلت كـذلك حتى بـدء المرحلـة الثـانيـة من مـراحل تطـور الفكـر التربـوي الإسلامي، نتيجـة للفتـوحـات شرقـا وغـربـا، واتسـاع العمران وارتفاع شأن الحضارة، مما ادى إلى تنظيم أمر التربيـة.كان المسجد يقـوم بدوره الهام والأسـاسي في المحـافظـة على التراث الإسلامـي، وكان بمثابـة الجامعة اليـوم من حيث أهدافه التربوية، كما كان القرآن الكريم اوسع كتاب مقروء في ذلك الزمان.

أغراض التربية الاسلامية

وفي عصر الدولتين - الأمويـة والعباسية - اختلفت أغـراض التربية وأهدافهـا وذلك حين بـــدأ التمايــز الطبقـي الاجتماعي والاقتصـادي يظهـر في المجتمع الإسـلامي حيث تميزت ثلاث طبقات اجتماعية هي:

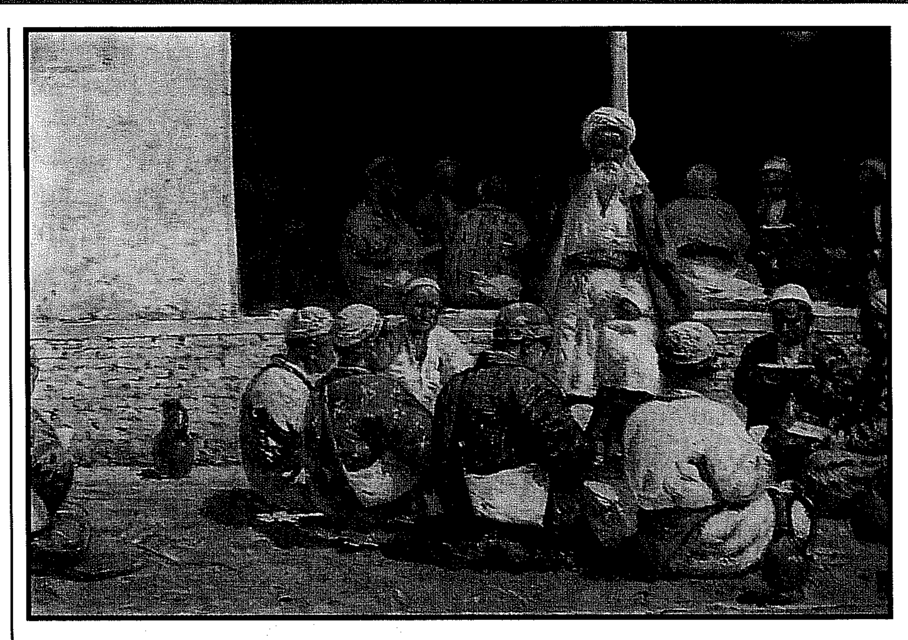
١ - الطبقة الوسطى وسواد الشعب ويقوم بتعليمهـم معلمو الكتاتيـب وأساس التربية عندهم القرآن الكريم وبعض الآداب الدنيوية كالشعر ومبادىء الحساب.

٢ - طبقة الأمراء والوزراء وعلية القوم ويقـوم بتعليم أبنـائهم المؤدبـون، ومنهج التربيــة عنـدهم القــرآن الكــريم، الأدب، الحكمة، التفسير، الشعر، المنطق، الفلسفة.

٣ - ابناء الخلفاء وهؤلاء يعدون اعدادا خاصـا يتناسب وأهمية وعظم المكـانة التي سيحتلـونها ويقـوم على تـربيتهـم كبـار المؤدبين، ومن رسـالـة الخليفـة - هـارون الرشيد - الى الكسـائي مؤدب ابنه نستطيع ان نتعرف على مستوى التربية المطلوب لمثل هؤلاء: (أقرئه القرآن، وعرفـه الآثار، وروه الأشعـــار، وعلمـه السنن، وبصره مـــواقع الكـلام وبـدأه، وامنعـه من الضحك إلا في اوقاتـه، وخذه بتعظيم مشـايخ بني هاشم إذا دخلـوا عليـه، ورفع مجالس القـواد إذا حضروا مجلسـه، ولا تمرن بك سـاعـة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيـده إياها من غير أن تخرق بـه فتميت ذهنـــه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويـألفه، وقومه ما استطعـت بالقـرب والملاينة فـان اباهما فعليك بالشدة والغلظة).

انه منهج متكـامل للتربية الارستقـراطية في أوج الحضارة الإسـلامية يـؤكد أهميـة العقيدة وأولـوياتها، فهي أولا، ثم التـاريخ والأدب والأحكـام واللغة واحترام الـرابطـة العـائليــة، واحترام القـادة وهــم رصيده العسكـرى - كما يـؤكد أهميـة استغـلال الـــوقت وعـــدم تعـــريـض المتعلم للكبت والتشدد ثم يأخذ بمبدأ الثواب والعقاب.

بـــدأ الاهتمام بــالتربيـــة كعلم لـــه خصوصياته منذ فترة مبكرة في عهد الدولة الاسلامية، واحتلت نظريـات التربية جانبا مهما من كتب ومصنفـــات كبـــار العلماء المسلمين، بالاضــافة إلى اهتمامـاتهم ببقية فروع المعرفة، من علوم دينية وتاريخ وفلك



وكيميا ورياضيات وغيرها.

أعلام في عالم التربية

– أسد بن الفرات بن سنان (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) الأمير القاضي، سمع من مالك بن أنس وصاحب أبي حنيفة النعمان،

– ابن مسكويه (ت ٢٤١ هـ/ ٨٥٥م) الشيخ ابوعلي احمد بن محمد.

– ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، وهو موضوع مقالنا هذا.

– القابسي (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) ابوالحسن علي بن محمد المعافري (تلميذ ابن سحنون).

– ابن جماعة (ت ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)

– ابن سينا (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) الشيخ الرئيس ابوعلي الحسين عبدالله بن الحسين.

– الغزالي (ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١م) الإمام ابوحامد محمد بن محمد الغزالي.

– ابن خلدون (ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م) الوزير – السفير – القاضي عبدالرحمن ابن خلدون.

محمد بن سحنون

هو محمد بن عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي – لقب ابوعبد السلام بـ(سحنون) لحدّة ذكائه، فقد كان إماماً عالماً بالمذهب المالكي، الّف في جميع العلوم وفي المغازي والتاريخ، توفي سحنون سنة ٢٤٠هـ.

أما محمد فقد ولد سنة ٢٠٢هـ بمدينة القيروان التي كانت تشهد نهضة ثقافية وعمرانية كبيرة في ذلك الوقت بعد استقرار الأحوال السياسية فيها، مما جعلها مصدر اعتزاز أهلها بها، فهي أول العواصم الإسلامية، لا لإفريقيا فحسب بل لبلاد المغرب كلها. وقد كلف ذلك المسلمين التضحية بالرجال والمال من اجل تثبيت الدين الاسلامي في هذه البلاد، منهم رجال عايشوا الرسول الكريم ﷺ وآمنوا به، وانطلقوا يبشرون بالدين الجديد.

ففي أول حملة للمسلمين في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان سنة ٢٧ هـ على بلاد إفريقيا اشترك عدد كبير من صحابة الرسول ﷺ منهم (العبادلة) وهم عبدالله بن سعد بن أبي السرح (ت ٣٦هـ) وعبدالله بن الزبير ابن العوام (ت ٧٣هـ) وعبدالله بن عباس بن عبدالمطلب (ت ٦٨هـ) وعبدالله بن جعفر (ت ٨٠هـ) وهو آخر من رأى الرسول ﷺ من بني هاشم.

وعبدالله بن عمر (ت ٧٣هـ) وعبدالله بن مسعود (ت ٣٢هـ) وعبدالله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ) وابلوا بلاء حسنا. قتل في هذه الحملة (جريجور) قائد البيزنطيين ومعه عدد كبير من جيشه، وعاد جيش المسلمين محملا بالغنائم. يعتز أهل القيروان بهذه الحملة التي جرت عند (سبيطة) القريبة من القيروان، ويسمون مدينتهم مدينة الشهادة والاستشهاد.

اصبحت (القيروان مدينة أم أمصار، وقاعدة اقطار، وكانت اعظم مدن المغرب قطراً، وأكثرها بشراً واربحها تجارة وأكثرها جباية وأنماها ربحا) بهذا وصفها الادريسي في (كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق).

في هذه البيئة نشأ محمد بن سحنون، وكان أبوه الامام سحنون تلميذا لأسد بن الفرات الذي نشر المذهب المالكي في أفريقيا، فقد اخذ عنه سحنون أمر نشر هذا المذهب، والّف كتابه المشهور (العمدة)، بل ان سحنون تفوق على أستاذه أسد بن الفرات، وعارضه بمسائل رجع عنها، تولى سحنون والد محمد القضاء في القيروان، والى جانب القضاء تصدر للتدريس، وتخرج عليه عدد كبير من الطلبة المغاربة والاندلسيين منهم ابنه محمد.

صفات ابن سحنون

توسم فيه والده منذ الصغر استعداداً واضحاً وذكاء فطريا بارزا، بل ان والده تفرس فيه الإمامة، فهو يقول لمؤدبه: لا تؤدبه إلا بالمديح ولطيف الكلام، فليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف، فإني ارجو ان يكون نسيجا وحده، وفريد أهل زمانه، واتركه على نحلتي، واخاف ان يكون عمره قصيرا.

لقد صحّت تقديرات أبيه في كل ما قدّر، فقد حفظ محمد بن سحنون القرآن الكريم والعلوم الأساسية ثم تفقه على يدى أبيه، بل صار يناظره وكان يؤلف في حياة والده.

وفي سنة ٢٣٥ للهجرة ارتحل محمد بن سحنون الى المشرق لأداء فريضة الحج، وطلب العلم، ومر بمصر، واستقبله هناك اعلام الفقهاء وجلس بجامع عمرو بن العاص في الفسطاط، وتحلق عليه العلماء وسألوه. كما أخذ عن علماء مصر. منهم عبدالرحمن بن القاسم وابن عبدالحكم، ثم

محمد بن سحنون

قصد الى الحجاز فوصل الى المدينة المنورة، ودخل مسجد الرسول ﷺ حيث وجد جماعة كبيرة من العلماء محلقة على (أبي مصعب احمد بن أبي بكر الزهري) يتناقشون في مسائل فقهية، فتدخل ابن سحنون ونبههم الى جزئية تتعلق بمسألة من تلك المسائل، فقررها أبومصعب ثم سأله من أي البلاد أنت؟ فأجاب محمد من افريقية. فسأله الشيخ: من أي بلدة منها؟ أجاب محمد: من القيروان، فرد الشيخ: ينبغي أن تكون احد رجلين: إما محمد بن سحنون وإما محمد بن لبدة ابن أخي سحنون، لأن هذا العلم وهذه المعرفة لا تكون إلا من أهل دار سحنون. إذن سبقت شهرة ابن سحنون رحلته، هذه الرحلة التي كان لها أثرها الكبير في حياة ابن سحنون الدينية والعلمية، رجع من رحلته المشرقية الى العاصمة الافريقية مزودا بتجربة غنية وعلم غزير.

مؤلفات محمد بن سحنون

كعادة علماء عصره. كان ابن سحنون كثير الوضع للكتب غزير التأليف، الف في جميع فنون العلم كتبا كثيرة تنتهي الى المائتي كتاب، وقد ذكر القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك معظم مؤلفات ابن سحنون والتي من اشهرها كتاب – الجامع – ويقع في ١٠٠ جزء، والمسند في الحديث، مسائل الجهاد، الحجة على النصارى، طبقات العلماء، وكتاب (الإمامة) الذي وصل الى بغداد واعيدت كتابته بماء الذهب واهدى الى الخليفة.

أما كتاب (آداب المعلمين) وهو يتناول مبادىء وآراء حول التربية الإسلامية في ذلك العصر، وهو الذي اعطى محمد بن سحنون شهرته، يرى بعض الكتاب ان المائتي كتاب هي عدد المؤلفات والاجزاء المكونة منها.

كتاب آداب المعلمين

على كثرة ما الف محمد بن سحنون إلا أن اسمه ارتبط بـ (كتاب آداب المعلمين) ولعل ذلك يرجع الى سببين أولهما:
قلة عدد المشتغلين بالتربية في تلك الحقبة، وقلة عدد من كتبوا فيها فهو أقدم كتاب في التعليم. وثانيهما: مانقله عنه كبار العلماء في هذا المجال من أمثال العلاّمة بن خلدون في مقدمته، وابوالحسن القابسي في كتابه الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين، وأحكام المعلمين والمتعلمين.
أما في العصور الحديثة فقد تناول سيرة وكتاب ابن سحنون بالدراسة والتحقيق المقارن كل من:
– الأستاذ/ حسن حسني عبدالوهاب في كتابه (آداب المعلمين مما دون ابن سحنون) تونس ١٩٣١م.
– الدكتور/ أحمد فؤاد الاهواني رسالة دكتوراه حول (التعليم في رأي القابسي) القاهرة ١٩٥٥م.
– الدكتور/ محمد أسعد طلس في كتابه (التربية والتعليم في الإسلام) بيروت ١٩٥٧م
– الدكتور/ محمد عبدالمولى في كتابه (آداب المعلمين) تونس ١٩٦٩م.
طبع في الجزائر ويتميز بوجود صور زنكوغرافية لصفحات هذه المخطوطة الفريدة.
كانت هذه المخطوطة محفوظة لدى مفتي تونس الشيخ/ بلحسن النجار، ثم انتقلت الى المكتبة الصادقية التابعة لجامعة الزيتونة وأخيرا استقرت في دار الكتب الوطنية.

تحتوي مخطوطة (كتاب آداب المعلمين) على ست أوراق (١١ صفحة) ومقاسها ١٩،٥سم x ١٤سم، كتبت بخط دقيق متشابك الحروف ذكر في أولها اسم المؤلف وفي آخرها اسم مؤلفها وناسخها.
على أن الدكتور محمد عبدالمولى استطاع ان يحصل على صورة ميكروفيلمية لنسخة خطية ثانية لكتاب (آداب المعلمين) محفوظة في الخزانة العامة بالرباط. إلا انها ناقصة وفيها محو وتحريف.
تضمنت المخطوطة الأساسية – الاصلية – مسائل رئيسية في التربية منها: ماجاء في تعليم القرآن الكريم، ماجاء في العدل بين الصبيان، ما يكره محوه من ذكر الله، وفي الأدب، وفي القضاء بعطية العيد، واجارة المعلم ومتى تجب، وما يجب على المعلم من لزوم الصبيان.
لقد استند ابن سحنون في كل هذه المسائل على أحاديث الرسول ﷺ: فحول ماجاء في تعليم القرآن الكريم يرجع الى حديث الرسول ﷺ: عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه» [رواه البخاري]، وفي حديث آخر: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع آخرين» [رواه مسلم]، وذكر تسعة من احاديث الرسول الكريم.
وهذه أهم آراء ابن سحنون في تربية المتعلمين:
– الأولوية لتعليم القرآن الكريم، وحث المتعلمين على العمل بما جاء فيه.
– العدل بين الصبيان وعدم التمييز بينهم – الفقير والغني – وهذا ما فطنت اليه النظريات التربوية الحديثة.
– جواز تأديب الصبية إذا ما خالفوا وفق شروط محددة – مبدأ الثواب والعقاب.
– عدم جواز تقاضي المعلم هبة أو هدية فوق أجرته، وهذا مانرى منه الكثير الآن.
– جواز اعطاء الصبية الاذن في العطل والأعياد على الاخص عيد الفطر وعيد الأضحى.
– لا يشغل المعلم وقته بغير تعليم

محمد بن سحنون صاحب كتاب (آداب المعلمين) من ابرز اعلام التربية الاسلامية في صدر الاسلام

الصبية في الوقت المحدد للتعليم، ولا يعمل عملاً آخر، ولا يعود مريضا، أو يتبع جنازة، الخ.

– لا يجوز للمعلم ان يرسل الصبيان في حوائجه وتسخيرهم وأهليهم لقضاء مصالحه.

– لا يجوز الجمع بين الذكور والإناث في التعليم في مكان واحد: (اكره للمعلم ان يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان، لأن ذلك فساد لهم).

– يجب على المعلم تعليم الصبيان أركان الإسلام من صلاة وصوم ومحاسبتهم عليها.

لم يتطرق ابن سحنون الى أهمية تعليم الصبيان بعض العلوم الدنيوية كالحساب والتاريخ والجغرافيا مثلا.

ابن سحنون والقابسي

كما اقترن اسم محمد بن سحنون بمخطوطته (كتاب آداب المعلمين) فقد اقترن اسم القابسي باستاذه ابن سحنون فهو تلميذه الذي سار على نفس نهجه في التربية. كما اجتهد في تثبيت مذهب مالك في القيروان والمغرب.

والقابسي هذا هو العلاّمة: ابوالحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي، المعروف بالقابسي الفقيه القيرواني.

والقروي المعافري نسبة الى قرية تسمى (المعافرين) من اعمال قابس وهي مدينة تونس الآن، وهو ليس بقابسي انما ولي القضاء عليها. بل هو من القيروان وفي هذا يقول القابسي لأبي بكر الصقلي حول هذه التسمية:

(وكذّب عليّ وعليك فسموني القابسي وما أنا بقابسي، وإلا فأنا قيرواني، وأنت دخل أبوك مسافراً الى صقلية فنسب إليها).

اعتمد القابسي على استاذه ابن سحنون في كثير من الآراء التربوية واختلف معه في بعضها.

ومقارنة بما كتب ابن سحنون هذه أهم آراء القابسي في التربية:

– العلوم التي تدرس قسمان: اجباري واختياري، القرآن الكريم، والصلاة والنحو والقراءة من العلوم الاجبارية. بينما الحساب والشعر والتاريخ من العلوم الاختيارية.

– يرتبط التعليم بالدين ارتباط الوسيلة بالغرض. وحيث انه لا يستطيع احد من المسلمين ان يدعي احتكار الدين لنفسه فيجب ان يتعلم الجميع (مبدأ إلزامية التعليم).

– أيد القابسي استاذه ابن سحنون في وجوب فصل الذكور عن الإناث في التعليم (ومن صلاحهم ومن حسن النظر إليهم، لا يخلط بين الذكران والإناث).

– استحباب التعطيل يوم الجمعة حتى للمعلم الذي يستأجر شهريا: (وكذلك بطالة الاعياد على العُرف المشتهر المتواطأ عليه ثلاثة أيام في الفطر. يوم قبل العيد ويوم العيد فيوم ثانيه، وخمسة أيام في الأضحى، يوم قبل النحر وثلاثة أيام النحر واليوم الرابع وهو آخر أيام التشريق ثم

■كانت التربية في صدر الاسلام تبدأ في البيت عن طريق المحاكاة

يعودون الى معلمهم في اليوم الخامس من أيام النحر، هذا وسط في الرفق.

– يرى القابسي ان الضرب يقع من المعلم الجافي الجاهل وهو ينهي عن ضرب الصبي والمعلم غضبان، والضرب على التعليم انما هو لخطأ الصبيان.

كتب الدكتور أحمد فؤاد الاهواني (إذا كان لابن سحنون فضل الصدارة في تحرير كتاب خاص في تعليم الصبيان فللقابسي مزية التوسع في هذا الموضوع، والاضافة في أبوابه المختلفة، والترتيب الذي يدل على استقرار فكرة التعليم في الذهن والعمل على بيان السبل المختلفة المؤدية الى تحقيق الغاية المنشودة منه.

(وقد اختلط الأمر على العلاّمة ابن خلدون فنسب ما للقابسي الى ابن سحنون، ومرجع ذلك أن القابسي نقل عن سحنون ما في كتاب آداب المعلمين بلفظه في بعض المواضع وباختلاف يسير في مواضع أخرى.

قالوا في ابن سحنون

– القاضي عيسى بن مسكين – من معاصريه: (خير من رأيت محمد بن سحنون، كان جامعا للخصال من الخير، منها: العلم والورع ومعرفة الأثر وكثرة الايثار والتفقد للأخوان).

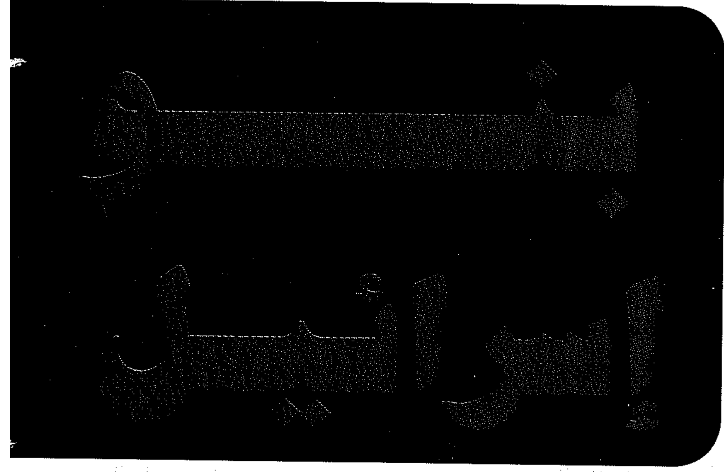
– الطبيب احمد بن الجزار: (كان ابن سحنون امام عصره في مذهب أهل المدينة بالمغرب جامعا لخلال قل ما اجتمعت في غيره، من الفقه البارع، والعلم بالأثر والجدل، سمحاً بماله، كريماً في معاشرته، نفاعاً للناس، مطاعا، وجيها عند الملوك والعامة).

– الدكتور محمد اسعد طلس في رسالة دكتوراه سنة ١٩٥٧م: (كتاب آداب المعلمين، اقدم الكتب العربية، وهو كتاب لطيف الحجم الفه محمد بن سحنون في سياسة الاطفال وتعليمهم وتأديبهم، وبحث في قواعد التربية وآدابها عند المسلمين).

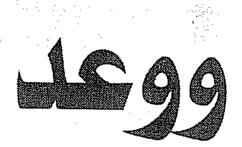
وفاة ابن سحنون

صحّت مخاوف والده الامام سحنون في (ان يكون عمره قصيرا) حيث توفي بعد وفاة ابيه بست عشرة سنة وكان عمره اربعا وخمسين عاما، وسنة وفاته هي ٢٥٦هـ توفي بالساحل وجيء به الى القيروان ودفن بمقربة من قبر أبيه).

تبقى حقيقة واحدة، إن الاسلام وحده كان القوة المنسقة والمقاربة بين أفكار المربين الاسلاميين على مر العصور، وان الإسلام وحده هو المسئول عن هذا التشابه العظيم الذي كاد أن يكون تطابقا في الأهداف التي توخوها وفي طرق التعليم التي مارسوها ■



يقول الله؛ سبحانه؛ في الآيات (٤ – ٧) من سورة الإسراء: ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلُنّ علوّا كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا. ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾.



الآخرة

بقلم الأستاذ: أمين محمد عثمان

لقد حكم الله – سبحانه – على بني إسرائيل .. أن يفسدوا في الأرض مرتين – وهو قضاء لا مرد له – ولهذا جاء الفعل مؤكدا ﴿ لتفسدن ﴾ وهذا من ابتلاء الله لهم وغضبه عليهم.. – لما سبق من علمه جل شأنه – من أنهم لن يستقيموا على هدى.. ولن يسكنوا إلى عافية! والمفسرون لهذه الآيات، قد اختلفوا في الزمن الذي يقع فيه هذا الفساد، في كل مرة من المرتين.. وهل وقعت هاتان المرتان أو لم يقعا بعد؟.. أم وقعت إحداهما ولم تقع الأخرى.؟

والذي عليه أكثر المفسرين أن هاتين المرتين قد وقعتا بالفعل.. وان إحداهما كانت عند الأمر البابلي على يد (بختنصر الذي استولى على دولة بني إسرائيل ودمرها تدميرا.. وهدم (بيت المقدس) وساق القوم أسرى إلى (بابل) سنة ٥٨٥ ق.م وأما المرة الثانية فكانت بعد أن قتلوا نبي الله يحيى أو ما يسميه الغرب (يوحنا المعمدان) وهذا القضاء اخبار من الله تعالى لهم بما سيكون منهم.. حسب ما وقع في علمه الإلهي من مآلهم – لا أنه قضاء قهري عليهم.. تنشأ عنه أفعالهم.. فالله – سبحانه – لا يقضي بالإفساد على أحد ﴿ قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ [الأعراف/ ٢٨] إنما يعلم الله ما سيكون علمه بما هو كائن فما سيكون – بالقياس إلى علم الله – كائن.. وإن كان بالقياس إلى علم البشر لم يكن بعد ولم يكشف عنه الستار..

والمفسرون في إشارتهم إلى وقوع وعد الآخرة.. كانوا معذورين في ذلك.. لأنهم نظروا عند تدوينهم لهذه التفسيرات.. لم يجدوا لبني إسرائيل دولة.. ولم تقم لهم قائمة فهم مشردون في أقصى الأرض.. والعالم كله ثائر عليهم.. يستذلهم ويستعبدهم، بالإضافة إلى بعدهم نهائيا عن (بيت المقدس)..

ولو أن المفسرين أزاحوا حجب الغيب.. وتطلعوا إلى ما سوف يحدث في المستقبل.. ورأوا كيف احتل بنو إسرائيل فلسطين بمؤامرة خسيسة.. واستولوا على بيت المقدس.. في العصر الحاضر.. لتروا فيما كتبوه عن (وعد الآخرة).. فقد عاد اليهود اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات.. واستباحت الحرمات.. وعبثت بالمقدسات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب.. تصديقا لوعده القاطع في قوله تعالى: ﴿ وإذ تأذن ربك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم ﴾ [الأعراف:١٦٧].

وعد الآخرة لم يقع بعد

لكن مفسرا واحدا معاصرا.. قد أصاب كبد الحقيقة.. وهداه تفكيره ووزنه للأمور، إلى أن (وعد الآخرة) لم يقع بعد.. وانه سوف يقع على (أيدي المسلمين) إن شاء الله.. ذلك المفسر الألمعي.. هو (الشيخ عبدالكريم الخطيب) في تفسيره القيم (التفسير القرآني للقرآن)..

وسوف نستعرض مع القارىء بعض ما جاء في هذا التفسير من أفكار.. نطرحها على بساط البحث..

إذا أعدنا النظر إلى (بني إسرائيل) بعد الأسر البابلي.. لم نجد لهم دولة ظاهرة، ولا ملكا قائما.. وإنما هم دويلات ممزقة.. متقاتلة فيما بينها.. تخرج من حكم (البابليين) لتقع تحت حكم الفرس في سنة ٥١٨ ق.م.. ثم تحت حكم الرومان.. إلى أن جاء الفتح الإسلامي الذي أدخل (بيت المقدس) في دولته.. فأصبح (المسجد الأقصى) من مساجد الإسلام.. ليس لبني إسرائيل شأن به منذ ذلك الوقت إلى منتصف القرن العشرين.. وإذن فهناك المرة الثانية.. وهي التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾.

هل جاء وعد الآخرة.. أي المرة الثانية.. وإذا لم يكن قد جاء فمتى يجيء وما

استعلاء الإسرائيليين في الأرض لن يكون بلا نهاية



الإرهاصات الدالة عليه؟..

والجواب على هذا:

أولا: إن هذا الوعد – وعد الآخرة – كان إلى نزول القرآن غير واقع، وأنه سيقع في المستقبل القريب، أو البعيد.. والدليل على ذلك ما يحدث به القرآن الكريم.. في هذا المقام.

فقد تحدث القرآن الكريم عن مجيء المرة الأولى هكذا.. ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴾ [الإسراء/ ٥].

وتحدث عن مجيء المرة الثانية هكذا: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾.

فالآيتان تتحدثان عن المستقبل الذي يدل عليه الشرط (إذا) وهذا يعني أن المرتين سواء في تعليقهما بالمستقبل وقت نزول القرآن.. الأمر الذي يجعل القول بأن إحداهما قد وقعت والأخرى لم تقع قولا لا حجة عليه ولا مبرر له..

ولكن الذي ينظر في الآيتين يجد أن الشرط الذي يعلق الفعلين بالمستقبل هو منظور فيه إلى ماقضاه الله في كتابه.. وجعله قدرا مقدورا على بني إسرائيل في وقوع هاتين المرتين من الإفساد، وعلى هذا يكون وقوع الأحداث المسطورة في كتاب الله كلها لم تكن وقعت حين قضى الله بها، وأودعها خزائن علمه..

وعند النظر في الآيتين الكريمتين.. نجد أن النظم القرآني قد خالف بينهما، فجعل ما وقع منهما قبل نزول القرآن معبرا عنه بلفظ الماضي ﴿ بعثنا ﴾.. ﴿ جاسوا ﴾ على حين جعل المرة التي لم تقع بلفظ المستقبل ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾.. ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾.. ﴿ وليتبروا ﴾.

ولو تساوت المرتان في الوقوع، أو عدم الوقوع، عند نزول القرآن.. لم يكن لاختلاف النظم فيها سبب ظاهر.. وهذا أبعد ما يكون عن بلاغة القرآن وإعجازه.. حيث لا تجيء كلمة أو حرف فيه.. إلا ومعها ما لا حصر له من أسرار..

حديث عن المسجد

ثانيا: إذا تقرر أن المرة الثانية لم تجيء حتى نزول القرآن الكريم فهل وقعت بعد هذا.. أم أنها لا تزال معلقة بالمستقبل لم تقع بعد؟

والقرآن الكريم هو دليلنا في الإجابة على هذا السؤال.. ففي قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء وعد الآخر ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ في هذه الآية نجد حديثا عن (المسجد)..

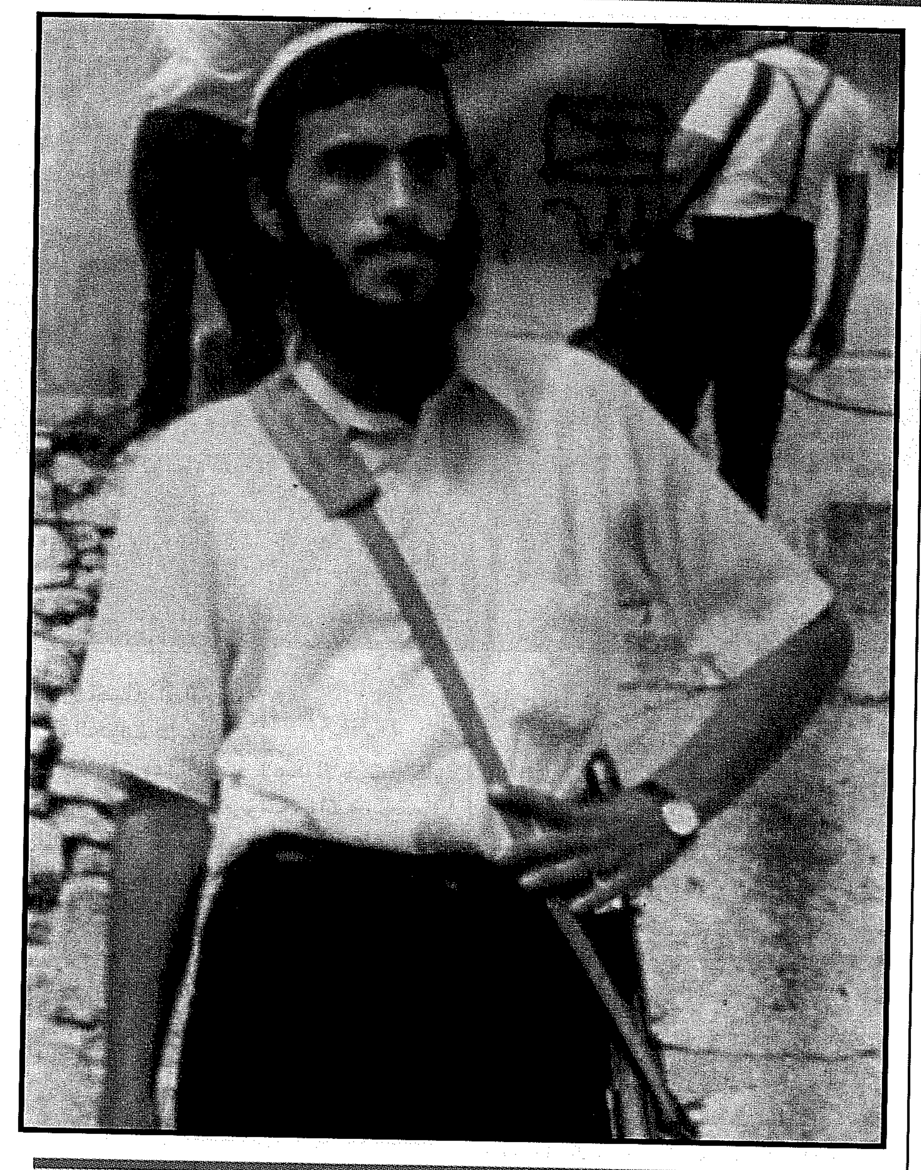
والمسجد – كما هو معروف – معلم من معالم الإسلام.. وسمة من سمات بيوت الله التي يتعبد فيها المسلمون.. إذ كان السجود أبرز عمل من أعمال المسلمين في الصلاة..ولهذا فإن الاسم الذي يعرف به (المسجد الأقصى) هو (بيت المقدس) حتى إذا أسرى الله بنبيه (محمد) ﷺ أسماه سبحانه (المسجد الأقصى) وجعله بهذا الاسم (القبلة الأولى) للمسلمين.. كما جعله بهذه التسمية مسجدا لهم يعبدون الله فيه ثم كان الوصف الذي يعرف به المسلمون في المجتمع الإنساني هو سمة السجود في وجوههم ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ﴾ [الفتح/ ٢٩].

فذكر (بيت المقدس) باسم (المسجد) يشير إشارة واضحة إلى أن المرة الثانية التي يقع فيها من بني إسرائيل هذا الإفساد.. إنما تكون في العهد الإسلامي.. وفي الوقت الذي يكون فيه (بيت المقدس) مسجدا للمسلمين على خلاف ما كان عليه من قبل.. حيث لم تشر الآية الأولى إلى (المسجد) من بعيد أو قريب.. بل جاءت الآية هكذا (فجاسوا خلال الديار) أي تنقلوا كما يشاءون بين الديار.. وهذا يعني أن العدو الذي ابتلاهم الله به.. كان متمكنا بحيث يمشي في ديارهم ويتخلل طرقاتها دون أن يخشى أحدا..

كما دخلوه أول مرة

ونسأل مرة أخرى: هل وقعت المرة الثانية؟ وهل جاء وعد الآخرة قبل يومنا

بنو إسرائيل ووعد الآخرة



هذا..؟

والجواب هنا نأخذه أيضا من القرآن ومن أحداث التاريخ.

وننظر مرة أخرى في الآية ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾. فهناك حقائق تقدرها الآية الكريمة .. وهي:ان الذين يتسلطون على بني إسرائيل في هذه المرة سيدخلون (المسجد الأقصى) كما دخلوه أول مرة.. وهذا يعني أمورا:

أ – ان الذين يدخلون المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة.. قد كان لهم دخول من قبل.. وأنهم إنما يفعلون في هذه المرة مافعلوه في المرة السابقة.

ب – ودخول المسلمين المسجد الأقصى أول مرة.. كان في خلافة (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه وقد ظل في أيديهم إلى أن دخله بنو إسرائيل في العصر الحالي.. وفي أيامنا هذه.. نعم: خرج المسجد الأقصى من يد المسلمين إلى يدي الصليبيين ثم أعيد إليهم مرة أخرى على يد (صلاح الدين الأيوبي) ولم يكن لبني إسرائيل حساب أو تقدير في ذلك الأمر.

ج – ودخول المسلمين إلى (المسجد الأقصى) وانتزاعه من أيدي الصليبيين ليس له شأن بالدخول الذي سيدخله المسلمون.. بعد أن ينتزعوا هذا المسجد من يد (بني إسرائيل).. لأن بني إسرائيل لم يدخلوا المسجد ولم يستولوا عليه منذ الفتح الإسلامي حتى وقع في أيديهم هذه الأيام..

إن احتلال الإسرائيليين لبيت المقدس من إرهاصات وعد الآخرة الذي لا مردّ له

إرهاصة وإرهاصة

د – فهذه إرهاصة من إرهاصات المرة الثانية أو (وعد الآخرة) .. وهي أن يكون (المسجد الأقصى) في يد بني إسرائيل.. ثم يجيء إليهم من يخرجهم منه، وينتزعه من أيديهم.. وهم أولئك الذين كان (المسجد) مسجدهم (الذي دخلوه أول مرة) وليس المسجد إلا مسجد المسلمين.. وليس الذي يدخله للمرة الثانية، وينتزعه من اليهود إلا المسلمين.

هـ – الإرهاصة الثانية: هي حالة اليهود أنفسهم.. وهي أن يكونوا على الصفة التي وصفهم الله بها.. حين يفسدون في الأرض.. (ويعلنّ علوا كبيرا).

وحين يدخل عليهم أصحاب المسجد.. كما دخلوا أول مرة.. ليسوءوا وجوههم، أي يلبسونهم الخزى والسوء.. وقد اختصت الوجوه بهذا.. لأنها الصفحة التي ترتسم عليها أحوال الإنسان كلها.. وما يمسه من خير أو شر!

واقع بني إسرائيل اليوم

ان الذي ينظر في واقع بني إسرائيل اليوم يجد:

أولا: أنهم منذ عهد (سليمان) عليه السلام

لم تقم لهم دولة.. بعد الدولة التي خرّبها (بختنصر) ملك (بابل) حتى قامت لهم دولة في هذه الأيام هي المعروفة باسم (إسرائيل) والتي تدعمها وتساندها قوى كثيرة من قوى البغي والعدوان التي تكيد للإسلام وتتربص به..

ثانيا: أن هذه الدولة التي أقامها بنو إسرائيل هذه الأيام.. دولة ولدت من أحشاء الظلام.. تحمل معها كل ماعرفت الإنسانية من أدوات الشر.. والبغي والعدوان.. فقد ملكت بكيدها ومكرها كثيرا من الوسائل الخبيثة التي مكنتها من تلك القوة.. وأقامت بها هذه الدولة.. فالمال الذي أقيمت به هذه الدولة إنما هو عصارات تلك الدماء التي امتصها اليهود من الأمم والشعوب في شتى أقطار الأرض بما أشعلوا من حروب.. وبما اشتروا من ضمائر.. وذمم!

ثالثا: هذه الدولة هي غاية ما يمكن أن يبلغه بنو إسرائيل من علو.. وغاية ما يمكن أن تطوله أيديهم.. من إفساد في الأرض فهم الآن يضعون أيديهم على (فلسطين) كلها.. وعلى مرتفعات الجولان من (سوريا) وعلى الجنوب من (لبنان) وكل ذلك قد وقع لبني إسرائيل في لحظة خاطفة لا تتجاوز ستة أيام.. الأمر الذي جعل لبني إسرائيل اسما ذائعا رهيبا في العالم.. ومن هنا كان منهم البغي والعدوان والإفساد في الأرض، بنسف الدور.. وقتل الأطفال والنساء.. بلا وازع أو حياء أو ضمير.. وبلا خوف من قوة رادعة في الأرض أو في السماء.. كما فعل ذلك الإرهابي المتطرف (باروخ جولد شتاين) في الحرم الإبراهيمي واغتيال المصلين المتجهين إلى الله.. في شهر رمضان.. على مرأى ومسمع من الجيش الإسرائيلي..

المرة الثانية إذن

المرة الثانية إذن: هي ما فيه إسرائيل الآن.. من فساد في الأرض.. وعلو واستكبار أما الذي ينتظر بني إسرائيل الآن.. بعد هذا فهو ما يقع تأويلا لقوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ والذي سيتولى ذلك بلا شك.. هم المسلمون أصحاب المسجد.. الذي دخلوه أول مرة أيام أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) والذين سيدخلونه اليوم – إذا شاء الله – كما دخلوه أول مرة.. وكما قوله تعالى ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ﴾ إشارة إلى صحوة جديدة ستبعث القوة.. وتعيد الحياة إلى الأمة الإسلامية.. وتجدد شبابها.. وإذا هي أقرب ما تكون إلي الفتح الأول..

وشواهد هذا البعث للأمة الإسلامية كثيرة.. فقد تحررت أوطان العالم الإسلامي جميعها من الاستعمار.. وأخذت الحياة تدب في أرضها الموات.. بما يتدفق منها من ينابيع (الذهب الأسود) البترول.. الذي أمدها بأقوى قوة تقوم عليها الأمم.. في العصر الحديث.. وهي المال.. الذي يمكن لها من العلم.. وما يقوم على العلم من أسباب المدينة والعمران..

■ نحتاج لتحقيق وعد الآخرة: إيمانا صادقا وعملا خالصا

بقي هنا أمران

يقول المفسر الألمعي (عبدالكريم الخطيب) في كتابه (التفسير القرآني للقرآن). بقي هنا أمران نود أن نشير إليهما في إيجاز.

إسرائيل وليس يهوذا

الأمر الأول: فهو أن هذه الدولة قامت تحت اسم (إسرائيل) ولم تقم تحت اسم (اليهود) أو دولة (يهوذا).

وهذا يجعل لقوله تعالى ﴿ وقضينا على بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ﴾ متوجها إلى تلك الدولة القائمة تحت اسم (إسرائيل).

الأمر الذي يجعل من العسير أن تدخل تحت حكم هذه الآية لو أنها اتخذت أي اسم آخر غير هذا الاسم.. وهذا إعجاز من إعجاز القرآن.

الأمر الثاني: فهو ما جاء في قوله تعالى في آخر هذه السورة:

﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا. قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر واني لأظنك يا فرعون مثبورا. فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا. وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ [الإسراء/١٠١ – ١٠٤] ففي قوله سبحانه ﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ﴾ إشارة إلى أمرين:

أولهما: أن سكنى بني إسرائيل للأرض.. لن تكون إلا سكنى.. ذليلة مهينة لا يرتفعون فيها عن الأرض.. ولا يستعلون بآدميتهم عن الدواب.. التي تدب عليها.. فهم أبدا لاصقون بهذه الأرض.. يغوصون في طينها... ووحلها إلى أذقانهم.. بحثا عما تعطي الأرض، أما ما وراء هذا من مطالب الروح فلاحظ لهم فيه ولا شغل لهم به.

ثانيهما: أنهم سيشردون في الأرض كلها.. في طولها وعرضها.. إذ كل همهم من سكنى الأرض هو البحث عن كل مرعى فيها.. فهم يتتبعون مواقع المرعى حيث كانت.. وهذا ما تحدث عنه حياة اليهود حيث هم في كل صقع من أصقاع الأرض..

وفي قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ إشارة إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ فبنوا إسرائيل الذين جاءوا لوعد الآخرة. واجتمعوا اليوم في (فلسطين) وأقاموا الدولة الواقعة تحت حكم الله.. الذي قضى به عليهم.. يوم يجيء (وعد الآخرة) بنو إسرائيل هؤلاء قد جاءوا من كل أفق من آفاق الأرض. مسوقين إلى حتفهم.. مدعوين إلى قدرهم المقدور.. في قوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ أي جمعناكم من كل جهة.. (فاللفيف من الناس) الجماعة التي تجتمع من وجوه شتى.. كما يجتمع الناس في الأسواق، والأسفار.. ثم ينفض السوق.. ويتفرق السفر ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف/٢١] ■

بين الإسلام والإيمان

■ المؤمن الصادق الناجي هو الذي يلفظ الشهادتين ويعتقدهما ويعمل بموجبهما

بقلم الدكتور: محمد محمد الشرقاوي

إذا تناولنا الإسلام والإيمان من مفهومهما اللغوي وجدنا بينهما تداخلا، ووجدنا أن الإسلام بمعناه اللغوي وهو مطلق الانقياد والتسليم سواء كان بالقلب أو اللسان أو الجوارح يشمل الإيمان بمدلوله في اللغة وهو التصديق الذي محله القلب فقط.. فيكون الإسلام أعم.. والإيمان أخص.. يجتمعان في الرجل المسلم.. لأن عنده تصديقا بقلبه وعدم جحود وإنكار، وهو في نفس الوقت يمثل الانقياد والامتثال بصفة عامة، وينفرد أعمهما وهو الإسلام فيمن انقاد بلسانه فقط لا بقلبه وهو المنافق حيث يطلق عليه مسلم باعتبار انقياده ظاهرا باللسان أو بالأعمال، ولا يطلق عليه مؤمن لخلو قلبه الباطن من التصديق والإذعان، وهذا ما يسمى عند العلماء (العموم والخصوص المطلق) ويعبر عنه بالنسبة بينهما..

ومن هذا الاستعمال جاء الحديث الذي رواه أحمد في مسنده: سئل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: «الإسلام» فقيل: أي الإسلام أفضل؟ فقال: «الإيمان». فقد جعل الإيمان أخص من الإسلام، وجعل الإسلام أعم من الإيمان، وأدخل الإيمان في الإسلام ولا عكس..

معنى (الإيمان) لغةً

ويتفق هذا الاستعمال مع الإيمان اللغوي كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ [يوسف:١٧]. أي ما أنت بمصدق لنا [الجلالين:٣١١] مع قوله تعالى: ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ﴾ [فصلت:٣٣]. حيث شمل الإسلام كل ما تقدمه من دعوة إلى التوحيد، وعمل صالح.. هذا من زاوية اللغة.. وإذا تناولنا الإسلام والإيمان من جهة استعمالهما شرعا وإصطلاحا.. وجدنا ذلك يختلف باختلاف القرائن المصاحبة، والملابسات المحيطة.. فتارة يطلقان على معنى واحد فيكونان مترادفين، ويراد بكل منهما العقيدة والقول والعمل..

ومن هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ [الذاريات:٣٥]، فما دام البيت الذي نجا مع لوط عليه السلام من العذاب الأليم واحدا، واجتمعت فيه صفتا الإسلام والإيمان، فإن معناهما واحد، وهو مطلق الانقياد سواء كان بالقلب أو باللسان أو بالجوارح أو بما يشمل كل ذلك.. ومن ذلك الحديث الذي أخرجه مسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة..» [الحديث] ومنها العقيدة وغيرها من

سائر الأعمال.. مع آية: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران:١٩] وهو شامل كذلك لأعمال القلب واللسان والجوارح..

وهذا الاستعمال حصل فيه تصرف في معنى الإيمان من جهة اللغة.. بتعميمه وإدخال الأعمال الظاهرة، والإقرار باللسان في معناه.. بعد أن كان قاصرا على عمل القلب فقط.. وهذا التصرف جائز لغة.. لأن تسليم الظاهر بالقول والفعل هو ثمرة منطقية لتصديق الباطن، واستقرار الإيمان فيه.. وقد يطلق اسم الشجر ويراد منه الشجر مع ثمره.. فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا للإسلام.. وقد يراد بكل منهما القول والعمل فقط فيكونان أيضا مترادفين .. يدل كل منهما على مايدل عليه الآخر..

ومنه حديث: ما الإسلام؟ فقال ﷺ: «شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة..» [الحديث] مع حديث: ما الإيمان؟ فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة و...» [الحديث].

وقد يراد بهما في الاستعمالات الشرعية معنيين مختلفين.. فيدل كل منهما على غير ما يدل عليه الآخر، فيكونان متباينين، والنسبة بينهما التباين، وحينئذ يراد بالإيمان عمل القلب فقط وهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره حلوه ومره وبكل ماثبت مجيئه عن محمد ﷺ بطريق صحيح، ويراد بالإسلام: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا.. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات:١٤]

قول الزمخشري

قال الزمخشري في كشافه [ج٢: ٣٩٩] في تفسير هذه الآية:

(الإيمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس، والإسلام هو الدخول في السلم، والخروج من أن يكون حربا على المؤمنين، بإظهار الشهادتين.. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات:١٤]. فاعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان، ومثله حديث جبريل عند الشيخين: قال ما الإيمان؟ قال ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله..» [الحديث] قال: ما الإسلام؟ قال: «شهادة ألا إله إلا الله وإقام الصلاة..» [الحديث]).

والتصرف اللغوي هنا يكون بقصر الإسلام على بعض معانيه، وهو جائز.. إذ لا يشترط في صحة إطلاق الاسم إرادة عموم المعنى.. كمن لمس يد زيد مثلا فإنه يصح أن يقول لمست زيدا.. إلا أن الغالب في هذا الاستعمال الشرعي أن يكون معناهما مترادفا إذا استقل أحدهما عن الآخر في المقام الواحد مثل: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾. ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾.. ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾، ويكون معناهما متغايرا إذا اجتمع ذكر الإسلام والإيمان في مقام واحد.. مثل حديث جبريل السابق الذكر، و﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾ [الآية].

ملاحظات لابد منها

وهنا جانب يتعلق بالفقه والتوحيد في كلمتي الإسلام والإيمان على النحو الآتي:

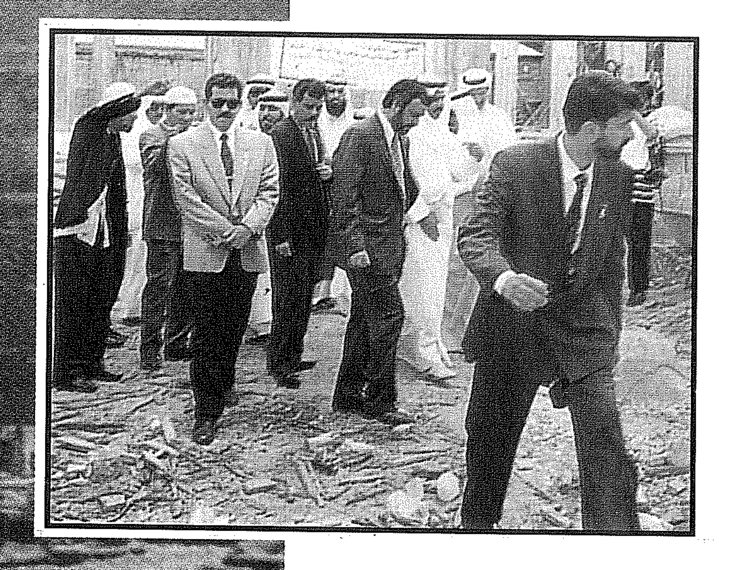
١ - من آمن بقلبه، ونطق بالشهادتين، وعمل المطلوب منه، وانتهى عن المحظورات فهو في الدنيا مسلم يعامل معاملة المسلمين.. فيصلى عليه إذا مات ويزوج من نساء المسلمين، ويدفن في مقابرهم.. وهو في الآخرة من الناجين باتفاق العلماء.

٢ - من اعتقد بقلبه ونطق بالشهادتين وجاء ببعض الأعمال دون بعض، وارتكب بعض الكبائر.. وكذلك إذا لم يعمل أي عمل صالح فعند أهل السنة مؤمن عاص ناقص الإيمان.. لا فاقده.. يعامل معاملة المسلمين.. وأمرهم في الآخرة أنهم مرجون لأمر الله إما أن يعذبهم وإما أن يتوب عليهم.. ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ [التوبة:١٠٣] نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد حين بلغهم ما نزل في المتخلفين عن غزوة تبوك، وحلفوا: لا يحلهم الا النبي ﷺ، فلما نزلت هذه الآية حلهم.

٣ - من اعتقد ولم ينطق بالشهادتين لعذر يمنعه من النطق كالأخرس والأشل ونحوهما فهو مؤمن عندنا وعند الله وأمره مفوض إلى ربه فيما قصر من أعمال.

٤ - من اعتقد ولم ينطق بالشهادتين، وكان يمكنه أن ينطق فامتنع ولم ينطق فهو كافر عندنا وعند الله لقوله تعالى في حق الكافرين: ﴿ جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ [النحل:١٤]، وقوله تعالى في حق الكافرين من أهل الكتاب: ﴿ وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ ■





بإيمان لا يتزعزع ويقين بالنصر المرتقب وسط ليل ادلج يخيم بظلامه على ارض البوسنة الجريحة جاءت كلمات الاستاذ حسين عمر سباهيتش (الممثل الشخصي لرئيس جمهورية البوسنة علي عزت بيغوفيتش في المملكة العربية السعودية) لتحيي الأمل في النفوس وتنير الدرب للسائرين في طريق الجهاد العظيم.. حول آخر المستجدات على الساحة البوسنية كان هذا اللقا

● نملك جيشا قويا يبلغ تعداده ٢٠٠ ألف مقاتل

حسين عمر سباهيتش:

نحتاج للدعم المادي والاغاثي



أجرى الحوار: صلاح الدين الايوبي

● هل لكم أن تحدثـونا بإيجاز عما وصلت إليه القضية في البوسنة؟

■ هـذا سؤال يمكن الإجابة عنـه على عدة محاور – المحور السياسي، والمحور الإغاثي، والمحور العسكري، ثم الوضع الـداخلي ثم الـوضع الخارجي أو التحركات الدولية نحو قضية البوسنة فاذا تحدثنا عن المحور الإغاثي لابد أن نشير إلى أن المرحلة الجديدة في البوسنة بـدأت بعد تـوقيع اتفاقية بين المسلمين والكروات والتي وقعت في واشنطن..

كـان المسلمون يقاتلـون على جبهتين ضد الصرب والكروات، وهذا أنهكهم إلى درجة كبيرة داخليـا، لكن الحقيقة أن العداوة الصليبية بشكلها الأرثوذكسي أو بشكلها الكاثوليكي مدت يدها إلى البوسنة عن طريق الصرب شرقا وعن طريق الكروات غربا، ووجد كلا الجانبين

حوار مع حسين عمر سباهيتش

لهما حلفاء من الشرق ومن الغرب للقضاء على المسلمين في البوسنة، وهذا واضح للجميع، وفي الوقت نفسه استطاع المسلمون أن يكونوا جيشا قويا بلغ تعداده الآن - والحمد لله - قرابة مئتي ألف مقاتل منهم مئة وعشرون إلى مئة وأربعين ألفا مسلحون تسليحا جيدا..

الوضع العسكري

في مقابل هذا يبلغ عدد جنود الكروات في البوسنة نحو أربعين ألفا وعدد جنود الصرب نحو مئة وعشرين ألفا بمعنى أن عد جنود المسلمين في البوسنة أكثر من عدد الصرب والكروات مجتمعين، إضافة إلى هذا هناك قرابة ستين ألف شاب مسلم يمكن أن يحملوا السلاح عندما يحتاجون إليه، فمن هذا الجانب كانت المرحلة الجديدة بدأت بعد الاتفاقية، وهذه الاتفاقية نشأت عن تحرك جاد لأمريكا لإنهاء الحرب الدائرة والعدوان الصربي على البوسنة ولكن لابد أن نشير هنا إلى أن التحرك الاميركي جاء في وقت خاف الغرب فيه من سقوط الورقة الكرواتية في القضية البوسنة ولأن المسلمين ألحقوا هزائم متتالية بالكروات، وطوقوا نفوذ الكروات في جنوب البوسنة، أو في منطقة الهرسك - المنطقة الضيقة من الهرسك - فكان من المرجح أن الكروات لايمثلون طرفا قويا يحسب له حساب في قضية البوسنة، فتنتقل المسألة من ما صورته وسائل الإعلام الغربية بدعم من السياسة الغربية - بأن قضية البوسنة هي قضية الحرب الأهلية، بمعنى أن المشكلة داخلية، فأي حل من الداخل يكون مقبولا لدى الدول الغربية، بينما الأمر ليس كذلك لأنه إذا سقطت الورقة الكرواتية فتكون المسألة صريحة وواضحة وهي العدوان الصربي على المسلمين في البوسنة.. عندئذ تحركت الدول الغربية لإعادة الكروات الى طاولة المفاوضات ولإنقاذهم من القبور، وهذا ما حصل في اتفاق واشنطن..

الاتفاق والوضعين السياسي والعسكري

عموما فإن هذا الاتفاق له ما له وعليه ما عليه، ولكن ليس هناك طرف يستطيع أن يحصل على كل ما يريد، لابد أن يتنازل الجميع عن شيء، المبدأ الرئيسي هو الحفاظ على استقلال دولة البوسنة، والهرسك، وأن يكون العنصر المسلم في هذه الدولة العنصر الأساسي، نظرا إلى أغلبية السكان كما تمنحه ذلك المواثيق الدولية..

صحيح أن المواثيق شيء وأن السياسة الفعلية العملية الغربية شيء آخر على نقيض ذلك، لكننا في كل المفاوضات، في كل الاجتماعات والمحادثات ننطلق من مبدأ تعداد السكان قبل بداية الحرب، بمعنى أنه ليس هناك اعتراف بالتطهير العرقي ولا بالإبادة الجماعية ولا بالتهجير القسري للسكان، مع أن النتائج التي تتوصل إليها المحادثات دائما تقر الوضع الحالي، الوضع العسكري، لكن بغض النظر عن ذلك فالاتفاقية هذه ساعدت المسلمين في جانب فتح الطرق للمواد الإغاثية، لأن أوضاع المسلمين في البوسنة - الأوضاع الإغاثية خاصة - وصلت إلى مرحلة أصبح الطعام فيها نادرا وعسير الوجود إضافة إلى هذا وبما أن الطرق فتحت فإنه أصبح هناك إمكانية لإدخال البذور للموسم الزراعي الحالي وإدخال الأسمدة وما شابه ذلك، بحيث يستطيع المسلمون في وسط البوسنة وفي شمالها في المناطق المحررة أن يعتمدوا على أنفسهم وعلى ما يزرعون بأكبر قدر ممكن حتى يتفادوا ورقة الضغط الدائمة التي يستخدمها الغرب وهي الإغاثة، وهي المواد الإغاثية..

> ● على الدول والمؤسسات الاسلامية ان تتحرك بسرعة لبناء البوسنة من جديد

مميزات الاتفاق الأخير

من جانب آخر يمكننا أن نقول بأن المسلمين في هذه السنة التي حاربوا فيها الكروات والصرب في آن واحد، حققوا أكبر النتائج وأكبر الانتصارات من بداية الحرب حتى الآن، فاستطاعوا أن يوقفوا الصرب عند حدهم نظرا لانتظام الجيش بصورة جيدة ما عدا الذخيرة التي لا تصل بصورة مستمرة وهي أكبر نقطة ضعف لدى الجيش البوسني ، من طرف آخر فقد ألحقوا الهزائم بالكروات، وبذلك أصبحت ورقتهم السياسية في المفاوضات أقوى من أي وقت سابق..

أما من الناحية السياسية فالاتفاقية الجديدة ظهر فيها عنصر جديد، كانت كل الاتفاقيات والتي كانت وراءها بريطانيا بالدرجة الأولى، ظهرت هذه الاتفاقيات أولا بصورة اللورد كارنغتون البريطاني، ثم بصورة اللورد أوين البريطاني، والذي تعترض عليه الدول الغربية، ثم

تصرح بريطانيا بأنه ما زال في موضع الثقة البريطانية من المنظور البريطاني تجاه القضية البوسنية.

ففي الاتفاقية الأخيرة ظهر شيء جديد كما قلت وهو أن الاتفاقيات السابقة والخطط السابقة كانت تريد إضفاء الشرعية على الوضع الحالي، الوضع العسكري الحالي بمعنى حرمان المسلمين من المناطق الشاسعة التي استولى عليها الصرب، الخطوة العملية الأولى هي نزع السلاح من جميع الأطراف، وهذا يعني بكل صراحة أن الصرب والكروات ينقلون أسلحتهم إلى صربيا أو كرواتيا أي ان الاتفاقية لا تنطبق على صربيا أو كرواتيا بينما سيتم تجريد السلاح من المسلمين، عندئذ لن تكرر أوروبا خطأها الفادح في نظرهم وهو تسليح المسلمين بأي صورة كانت في السابق، عندئذ ستغلق جميع الطرق بما فيها بالدرجة الأولى كرواتيا.. والاتفاقية الجديدة نصت على أنه ليس هناك نزع سلاح للمسلمين وعلى أن الجيش سيظل قائما، فهذا يعتبر انتصارا سياسيا كبيرا للمسلمين.

هذا باختصار ما وصلت إليه الأوضاع.. تجري هناك كذلك بعض الاستعدادات لإعادة اللاجئين، لأن الغالبية العظمى من اللاجئين المسلمين من البوسنة، شعرت بالقهر وشعرت بالغربة عن البوسنة وشعرت بالمكائد التي تحاك لهم في معسكرات اللاجئين لتنصيرهم وإبعادهم عن الدين ولإغرائهم بالمناصب حتى لا يعودوا إلى البوسنة، وحتى تقل نسبة المسلمين في البوسنة، تجري الآن استعدادات لإعادة اللاجئين وهذا يحتاج إلى جهود جبارة وكبيرة لأنه تقريبا ٦٠٪ من مساكن المسلمين في البوسنة مدمرة، فنحتاج إلى إيواء اللاجئين بصورة سريعة ومقبولة تمكنهم من مواصلة حياتهم بشكل طبيعي نوعا ما.

الاتفاق مع الكروات

● ما هي مضامين الاتفاق مع الكروات؟!

■ جاء هذا الاتفاق في وقت كان المسلمون على حافة الجوع المطلق في البوسنة. وهناك مرحلتان:

المرحلة الاولى من الاتفاق: بقي في البوسنة قرابة مليون ومئتي ألف مسلم والباقون يعتبرون في حكم اللاجئين ويعيشون في مناطق تحت الاحتلال الصربي وجزء منهم يعتبر من المفقودين، في وسط البوسنة كان يعيش ما يزيد على أربعمائة ألف كرواتي، لم يبق منهم سوى ستين ألف تقريبا، غالبهم هرب إلى كرواتيا أو نزح إلى جنوب البوسنة في منطقة الهرسك، في هذه الظروف فإن الاتفاقية الجديدة تنص على إقامة اتحاد بين المسلمين والكروات على مستوى دولة البوسنة، وهذا الاتحاد ينطبق على ٥١٪ من أرض البوسنة، طبعا ٤٩٪ ضمنا يدخل تحت سيطرة الصرب مع أن الاتفاقية لا تنص على شيء من ذلك، لكن مفهوم الاتفاقية – بمعنى – ينص على ٥١٪ للمسلمين والكروات، والباقي سيظل للصرب هذا من ناحية، من الناحية الثانية، في المرحلة الأولى: يتم تقسيم السلطة بين المسلمين و الكروات بالتساوي، – نتحدث على مستوى البوسنة – مع أن الكروات لا يمثلون أكثر من ١٢٪ من سكان البوسنة، في الوقت الحالي يعطون ٥٠٪ من السلطة، في مقابل هذا وبمقدار ما يحصل عليه الكروات من السلطة يتنازل عنها المسلمون، ليس هذا له أولوية قصوى في الوقت الحالي، الأولوية في الوقت الحالي لفتح الطرق إلى داخل البوسنة لتنقل البضائع بصورة ما، وكذلك لتنقل المدنيين في دخولهم وخروجهم، وإعادة بناء الطرق من جديد واستعادة حرية التجارة وما شابه ذلك، هذا في المرحلة الأولى: اتحاد بين المسلمين والكروات في داخل البوسنة.

وفي المرحلة الثانية: بهذا الاتحاد يتفادى الغرب طلبا من مطالب المسلمين الأساسية وهو منفذ على البحر، وبما أن الاتحاد داخل دولة واحدة فهو يمنح للمسلمين المنفذ على البحر، بينما في حقيقة الأمر يظل يتحكم به الكروات ١٠٠٪

المرحلة الثانية من الاتفاق: هي أن الاتحاد الكونفدرالي سيكون مع دولة كرواتيا وهذا لا يمس استقلال دولة البوسنة والاعتراف الدولي بها وعضويتها في الامم المتحدة، بينما قد يكون هناك تأثيرات، وقطعا ستكون هناك تأثيرات اقتصادية سلبية على المسلمين في البوسنة بسبب وضع دولة كرواتيا، أو بسبب أكثرية الكروات فيها ثم إن اندماجها مع الكروات في البوسنة ستكون هناك

● أكبر نقطة ضعف لدى الجيش البوسني نقص الذخيرة

● المسلمون يقاتلون على جبهتين ضد الصرب والكروات

حوار مع حسين عمر سباهيتش

تأثيرات اقتصادية سلبية، لكن المرحلة المقبلة مرحلة المبادرة، مرحلة التحرك السريع مرحلة استعادة الأنفاس، مرحلة بناء البلد وسنكون في هذه المرحلة أحوج إلى دعم إخواننا المسلمين في أنحاء العالم مما كنا عليه في أثناء الحرب أو قبل الحرب.

المسلمون وحدهم ناصروا البوسنة

● كلمة أخيرة تريدون أن توجهوها إلى العالم الإسلامي والعربي والمنظمات الخيرية.

■ الشيء الأول الذي يجب أن يكون نصب أعيننا هو أن جميع الدول الغربية لم تبذل ولم تنفق دولارا واحدا على شراء السلاح للمسلمين للدفاع عن أنفسهم، بمعنى آخر أن كل الأموال التي جمعت للدفاع عن البوسنة ومع أنها حرمت من حقها الشرعي في الدفاع عن نفسها.. كل هذه الجهود وكل هذه الأموال بذلت وجمعت من المسلمين في أنحاء العالم وهذا واجب كبير لمسلمي البوسنة على إخوانهم من المسلمين في أنحاء العالم بغض النظر عن أن الدعم لم يكن على المستوى المطلوب، لكن البوسنة – بفضل الله تعالى – بقيت وثبتت وصمدت بعد فضل الله – سبحانه وتعالى – ومشيئته، بسبب دعم المسلمين في أنحاء العالم، إضافة إلى أن جمعيات الاغاثة الغربية كانت دائما تمارس الضغوط على المسلمين من أجل تقسيم البوسنة مقابل إدخال المواد الاغاثية، مع أن مهمة قوات حفظ السلام والمفوضية العليا لشؤون اللاجئين والدول الغربية كانت مهمة إغاثية بمعنى تأمين الأمن والغذاء وتأمين الدواء ، وكان الأمر في الواقع على نقيض ذلك، كانت كل هذه الأعمال تبذل لأجل ممارسة الضغوط على بطون وعقول وحرية المسلمين حتى يقبلوا بالتقسيم، والجمعيات الاغاثية كذلك..

إن كل الدول الغربية سعت إلى هدم حكومة المسلمين في البوسنة وهذه الحقيقة تلزم جميع المسلمين بالتعاون والتعامل مع حكومة البوسنة والهرسك، ما دام الغرب يريد أن يهدمها فإذا ساعدناهم في ذلك أي في عدم التعامل مع الحكومة والتعاون ، فمعنى هذا أننا – بأيدينا – نساعد الغرب في هدم حكومة المسلمين في البوسنة والهرسك أو الحكومة البوسنوية التي يتمتع المسلمون بأغلبيتها، الشيء الثاني: أننا في هذه المرحلة نحتاج إلى الدعم المادي بالدرجة الأولى للدفاع عن البوسنة، ثم إلى الدعم الإغاثي الذي – تبين في السنة الماضية أنه – لم يكن أقل شأنا أو اقل أهمية من الدعم المادي.. والدعم الإغاثي بالملابس والأدوية، والمعدات الطبية، والمواد الإغاثية التي مهما قل ثمنها في الخارج فإن ثمنها باهظ داخل البوسنة، كذلك رعاية الطلبة في البوسنة، ورعاية المدارس من خلال المناهج الحكومية الجديدة التي أعدت الآن وستطبق في المدارس، ترى فيها تغييرا كبيرا نظرا للتغيرات في عقلية المسلمين ووعيهم خلال سنتين من الحرب، وجاءت هذه التغيرات في المناهج استجابة إلى التغيرات في نفسية المسلمين وتوجههم داخل البوسنة والهرسك. ومجال المساعدات والدعم لا ينقطع ولا تحصره كلمات في مثل هذا الحديث..

هناك جانب آخر وهو ترميم وإعادة بناء البوسنة والهرسك، ويجب على الدول الاسلامية وخاصة المؤسسات المالية ووزارات الاقتصاد والمال أن تتحرك بسرعة كبيرة لبناء البوسنة من جديد، لأنها تحتاج لدفعات أولي حتى تقف على قدميها وتنطلق بنفسها، وفي هذا منفعة كبيرة للعالم الإسلامي، ولذلك ندعو جميع الموسرين وجميع المؤسسات المالية ووزارات الأوقاف ووزارات الاقتصاد والمال أن يتحركوا بصورة سريعة لبناء البوسنة من جديد لتوفير المساكن والمرافق العامة والمدارس، وإعادة بناء المصانع التي لابد منها في بداية الامر مثل المخابز ومصانع الأحذية ومصانع الأدوية ومصانع الألبسة كل هذه كانت متوافرة في البوسنة ولكنها توقفت لأسباب الحرب، ولكنها مازالت قائمة في صورة تمكنها من العمل، لذلك فإن التحرك السريع هو ما نناشد به إخواننلو١٣امـلطلبـاالآنمن العالم الاسلامي.. شكرا وجزاكم الله خيرا ■

بطاقة شخصية

الأخ حسين عمر سباهيتش مولود في سراييفو عام ١٩٦٠، تخرج من معهد الخطباء في سراييفو ثم من معهد اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ثم من كلية أصول الدين قسم الحديث وعلومه.. ومع نشوب الحرب العدوانية عل البوسنة والهرسك توقف عن الدراسة.

وهو يشغل حاليا منصب الممثل الشخصي لفخامة رئيس جمهورية البوسنة والهرسك في المملكة العربية السعودية.

● الاتحاد الكونفدرالي مع الكروات أكثر من منفذ على البحر

الثقافة الجمالية في الحياة الإسلامية

■ عالم اليوم وثقافته تطرح الكثير من الأزمات والمشكلات وفي مقدمتها الأمراض النفسية والعصبية

بقلم: محمود محمد الناكوع

لم يكن اهتمام المسلمين بالجماليات أمرا طارئا، أو تأثرا بثقافات أخرى، ولكنه كان أمرا عميقا في الثقافة الإسلامية وفي الحياة الإسلامية، وأي متتبع للفكر الإسلامي في صوره المختلفة، وموضوعاته ومباحثه، يجد مسألة الجمال والإحساس به وتذوقه، والاهتمام بفنونه هو أحد الأبعاد الأساسية في هذا الفكر، والذي ينبع أساسا من المصدر الأول له، وهو القرآن الكريم، الذي ينطق باللفظ الجميل، ويصور المعاني الجميلة ويوحي بأبعاد متعددة لها..

وقد اهتم المسلمون مبكرا بذلك البعد، وقاموا بعمل متفرد بحسه الجمالي عندما طبعت المصاحف بخط جميل، وبرسوم جميلة، وتنوعت الاهتمامات باظهار كل صور الحسن والجمال عند إصدار أي طبعة للقرآن. وانعكست الأبعاد الجمالية في أهم معلم من معالم الحياة الإسلامية وهو (المسجد) فتفنن المهندسون المسلمون في بنائه وزخرفته بفكر تأملي جعله محل قوة جاذبة ليس للمسلمين فقط، ولكن لغير المسلمين كذلك، وعندما يتجه المسلم إلى المسجد ليستروح بالعبادة ونفحات الإيمان، ويسمع جمال القرآن ويرى جمال البناء والمعمار، لابد له أن يحس بقيمة البعد الجمالي، إلا إذا كان على فساد في الطبع والمزاج..

إن البحث في أصل ومنبع الثقافة الجمالية يقتضي التوجه نحو النبع الصافي، نحو القرآن ذاته لنسمع ونتأمل قيم الجمال، والفرح، والبهجة، والسرور. ونقف أمام آيات من صور الجمال: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ [الصافات/٦]، ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ [الملك/٥]، ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ [النمل/٦٠] ﴿وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ [ق/٧]. هناك حشد من الآيات القرآنية تعكس معاني الجمال، وهو جمال في الأرض، وجمال في السماء، وجمال في النفوس والقلوب..

العلماء والقيم الجمالية

وقد عبر الرسول ﷺ في حياته وسلوكه عن عمق القيم الجمالية، فدعا إلى تغيير بعض الأسماء القديمة، بأسماء جديدة جميلة، فغير اسم امرأة من عاصية إلى جميلة. ومن حزن إلى سهل.. وإلى غير ذلك من التغييرات الجذرية التي أحدثها الرسول ﷺ عندما كان يرسي قواعد المجتمع الإسلامي الجديد في مكة والمدينة، ويعقب الإمام ابن القيم على ذلك التغيير في الأسماء فيقول: (ولما كانت الأسماء قوالب المعاني، ودالة عليها اقتضت الحكمة، أن يكون بينها ارتباط وتناسب.. بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثر عن اسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة)..

لقد اهتم بناة الحضارة الإسلامية، والمبدعون فيها بهذه الصور والأبعاد الجمالية، واتسعت دوائر الذوق الجمالي في فنونه المختلفة بما يلبي حواس الفطرة الإنسانية السوية، وفي إطار المفاهيم والتصورات الإسلامية. ومن بين الذين اهتموا بالبعد الجمالي من العلماء: أبو حامد الغزالي في كتابه (احياء علوم الدين)، وعبدالرحمن بن خلدون في (مقدمته)، وابن القيم الجوزية في (زاد المعاد)، ومحمد الشوكاني في (نيل الأوطار)، وابن حزم في كتابه (المحلى)، وعبدالحي الكتاني في كتابه (التراتيب الإدارية)، وكثيرون آخرون من الكتاب المعاصرين الذين قدموا مساهمات جديدة من بينهم الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي، والمرحوم مالك بن نبي الذي قدم إبداعات فريدة في تحليل دور ورسالة الجمال وثقافة الجمال وحرر فصولا مهمة في هذا الشأن في سلسلة كتبه (مشكلات الحضارة) التي ألفها ومنها كتاباه: (شروط النهضة) (ومشكلة الثقافة).

أثر الجمال في الفكر والتصوير

ويرى أن الجمال والإحساس به يدفع الإنسان إلى الاتقان في عمله (فالذوق الجميل الذي ينطبع به فكر الفرد، يجد في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل، وتوخيا للكريم من العادات، ولا شك أن للجمال أهمية اجتماعية إذا ما اعتبرناه المنبع الذي تنبع منه الأفكار) ويذهب الأستاذ مالك، فيما يسميه: بالتوجيه الجمالي إلى أنه: (لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل، أو بالأفكار الكبيرة، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة، لا بد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه. ولقد دفعت هذه الملاحظة كل من عنوا بالنفس الاجتماعية من علماء الأخلاق مثل الغزالي إلى دراسة الجمال وتأثيره في الروح الاجتماعية).

تلك هي ملامح الأبعاد الجمالية في الفكر الإسلامي، ولكن للأسف الشديد لا نلاحظ ذلك الجمال في جوانب كثيرة من حياة المسلمين بصورة

عامة الآن وان كان لها وجود في حالات ودوائر محدودة، وذلك يرجع إلى قصور في التربية والتعليم حيث تغرس القيم الجمالية في مراحل مبكرة من عمر الإنسان. ومن هنا فإن أردنا أن نعيد البعد الجمالي في مجتمعاتنا الإسلامية، علينا أن نعطي الاهتمام الأكبر لمرحلة الطفولة، وأن نجعل مادة الجمال عنصرا أساسيا في بناء الشخصية الإنسانية.

إن ثقافة الجمال، والاعتناء بها فكرا وتنظيرا وتطبيقا، ليست من ضروب الترف كما قد يظن أو يعتقد بعض الناس، وليست من الأمور الكمالية في أي مرحلة من مراحل حياة الإنسان، وتحت أي ظرف من ظروف حياته، بل إنها من صميم عملية التربية الصالحة السوية ومن التكاليف الإسلامية، حتى أن الإمام الشاطبي، في كتابه الموافقات جعلها من مقاصد الشريعة الإسلامية، ووضع لها عنوانا لطيفا: (التحسينات) وهي عنده تعني الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات، التي تأنفها العقول الراجحة.. ومن حسن العادات النظافة وأخذ الزينة، وأشياء أخرى، تجري مجرى التحسين والتزيين. وهي كذلك جزء من القدرة التنظيمية، حيث إن النظام حالة جمالية، ولذلك تجدأكثر الناس خرقا للنظام العام، أقلهم اهتماما بمعاني الجمال والذوق العام.

وهكذا؛ فإن توسيع دائرة الاهتمام بالبعد الجمالي في الحياة العامة تجعلها أكثر قربا من النموذج الإسلامي. فالحدائق الجميلة، والشوارع النظيفة، والعادات الصحية، علامة من علامات عمق الحس الجمالي في المجتمع، وأي مجتمع لا يتمتع بذلك المستوى من التقدير لجمال ونظافة شوارعه وحدائقه ومؤسساته الخدمية العامة، لن يستطيع أن يبني شيئا له قيمة اجتماعية أو اقتصادية أو تاريخية. وانسجاما مع كل ذلك، فإنه كلما ضعف فهم الإسلام عند الناس، انحسر وقل الحس والتذوق الجمالي بينهم وفي حياتهم.

القرآن يدعو إلى التأمل في الكون وما يحوي من جمال

أما بالنسبة للبهجة والفرح والسرور، فإن في الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي ما يدل على الاهتمام بهما، وهذا أمر طبيعي، لأن إقبال أهل الفكر، وإقبال المجتمع على ذلك يرجع إلى أبعاد ثقافية فالمجتمع الذي تشبعت ثقافته بقيم الخير والتعاون والحب والحنان، وكثرت فيه الأنشطة الإنسانية، يميل الناس فيه إلى حياة البهجة والمرح. ونلاحظ أن كثيرين من أفراد ذلك المجتمع يعبرون بطرق مختلفة عن إحساسهم بالبهجة والسرور، مهما كانت ظروف حياتهم المعيشية، ومهما كان مستواهم من التعليم. وفي ثقافتنا العربية الإسلامية جذور وأبعاد عميقة للبهجة والفرح والسرور. يقول صاحب قاموس مختار الصحاح محمد الرازي، في مادة (بهج): (البهجة: الحسن، وبابه ظرف فهو بهيج، وبهج به، فرح وسر. وابهجه أي سره. والابتهاج السرور)، وفي القرآن الكريم آيات تتناول معاني الابتهاج، وهو ما يسر العين والنفس من مناظر كونية جميلة، تأمل قوله تعالى: ﴿ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ﴾، ﴿ اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ [الحج/٥] ﴿ والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ وتحدثت كتب السيرة عن الرسول ﷺ بأنه دائم البشر ضحوك السن، وكان يحب السرور وما يجلبه، ويكره الحزن وما يدفع إليه ويستعيذ منه ويقول: «اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن». وتناقل عنه الرواة انه كان يداعب ويمازح زوجاته، وانه كان يضحك لما يسمعه من طرائف قومه. وفي كتب التراث رصيد هائل من الملح والظرف التي تعكس ثقافة البهجة والسرور.

لكن الواقع الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية في بعض قطاعاتها الاجتماعية، وعند بعض الشباب، يعكس صورة أخرى تميل إلى التعبس والتجهم وتوحي بالكآبة والحزن. وبعض تلك القطاعات الاجتماعية تمارس نوعا من القسوة والشدة في تربية الأبناء. وفهم بعض الناس أن التدين الصحيح يقتضي أن تكون على هذا النوع من السلوك الصارم. والحقيقة ليست كذلك، الإسلام هو دين الفطرة السليمة، والله خالق هذا الإنسان، وأعرف بطبيعة وخصائص تكوينه، وأعلم بأشواقه الروحية، وشفافيته الوجدانية، وأحاسيسه النفسية، ورهافته الشعورية. ويكفي دليلا على ذلك أن القرآن في كثير من آياته يوجه الخطاب إلى النفس والقلب والروح والعقل والفؤاد.. وجميعها موضع الرقة والدقة في هذا المخلوق العجيب (الإنسان).

■ التوجه العام للفكر الإسلامي والأخلاق الإسلامية يتميز بالوسطية والاعتدال

ظواهر الاعتدال في المرح والسرور

يبدو أن هناك خلطا عند بعض الناس بين الحزم والجدية وضبط الغرائز والشهوات، المرح والضحك والسرور والتمتع بمباهج الحياة حتى في حدود المباح. هذا الخلط يأتي نتيجة لعوامل متعددة جميعها لها صلة بالتربية والتكوين، وبنوع الثقافة السائدة في وقت ومكان ظاهرة الخلط تلك. من هنا تأتي أهمية وقيمة الوسطية أو الاعتدال في التوجه العام للفكر الإسلامي والأخلاق الإسلامية.

يتحدث الإمام الفيلسوف أبو حامد الغزالي عن الاعتدال في كبح جماح النفس وضبط شهواتها فيقول: (ليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية، بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط.. وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال، فدل على أن ذلك ممكن، والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك لا شك فيها، والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين، ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير) وتأكيدا لذلك نلاحظ في الحياة اليومية أن أكثر الناس توفيقا ونجاحا، وأكثرهم قبولا لدى الآخرين، من كان في خلقه وتصرفاته يتصف بالاعتدال والتوازن.

وقد أشاد الله بأهمية الوسط في قوله تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ [البقرة/١٤٣] والاعتدال مطلوب في كثير من أمور الحياة والعلاقات العامة، والمجتمع الذي تؤسس ثقافته على أنماط متداخلة من النشاطات والسلوك المعتدل، لا يمكن أن تغيب فيه أبعاد البهجة والمسرة والطرب في حدود العفاف والطهر واحترام الحقوق العامة للمجتمع الإسلامي. وقد كان المجتمع الإسلامي الأول يعكس ذلك الاعتدال، وكان كبار الصحابة فيه يفعلون ما يشيع أجواء البهجة والسرور يقول الشيخ يوسف القرضاوي: (كان أصحابه: أي أصحاب الرسول ﷺ الطيبون الطاهرون يمزحون ويضحكون ويلعبون ويتندرون، معرفة منهم بحظ النفس وتلبية لنداء الفطرة، وتمكينا للقلوب من حقها في الراحة، واللهو البرىء، لتكون أقدر على مواصلة السير في طريق الجد. وإنه لطريق طويل).

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة. وقال: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمى). فلا بأس على المسلم أن يتفكه ويمزح بما يشرح صدره، ولا حرج عليه أن يروح نفسه ونفوس رفقائه بلهو مباح.

(الحلال والحرام في الإسلام) الذي كتب فيه الشيخ القرضاوي فصلا كاملا عن (اللهو والترفيه) وأكد فيه (أن الإسلام دين واقعي لا يحلق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الواقع. ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع، ولكنه يعاملهم بشرا، لذلك لم يفرض على الناس – ولم يفترض فيهم –أن يكون كل كلامهم ذكرا.. وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها، وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، كما خلقهم يأكلون ويشربون). إن عالم اليوم وثقافته تطرح الكثير من الأزمات والمشكلات، ومن أخطرها الأمراض النفسية والعصبية، وجاءت هذه الأمراض لتعكس حالات من الكآبة والبؤس على أعداد كبيرة من البشر، تلاحظهم في الشوارع وفي وسائل المواصلات، وعلى شاشات التلفاز. وفي البلدان الإسلامية صور متعددة للكآبة والحزن والتعبس والتجهم. وعلاج هذه الأزمات، يصعب أن يجري ويتم في العيادات النفسية.

لكن العلاج الفعلي هو الذي يأتي من المجتمع ومن ثقافة المجتمع، ثقافة الحنان والمودة والرحمة، ثقافة البهجة التي تصدر من القلوب صادقة وجميلة ذلك هو الدور الذي نريده أن يكون لثقافتنا الإسلامية، وذلك ما نريده لدور ورسالة هذه الثقافة، إذا استطاعت أن تتخلص من عناصرها السلبية، ومن التشوهات التي أصابتها في عصور انحطاط المسلمين، ولا تزال آثار ذلك الانحطاط تلقي بظلالها على مسرح حياتنا الاجتماعية، ولا تزال تطارد مظاهر البهجة في كثير من عاداتنا وسلوكنا، وتحرم – حتى – الأطفال من بهجة طفولتهم. إن ثقافتنا الإسلامية في منابعها ثقافة متوازنة، مؤسسة على الحب والتعاون والتضامن في السراء والضراء. وهي ثقافة بهجة وسرور وثقافة تيسير وتبشير وجمال ■

كثرت أمراض الفم والأسنان في الآونة الأخيرة فنرى أن شابا في العشرين قلع ضرسا ومنا من يستخدم منظفاً ثم بعد فترة يجد أن له تأثيرا سلبيا ومنا من لايستعمل منظفاً لعدم تقبله لـه فقد يتقيأ من استعماله.. وحرص الإسلام على الاعتناء بالفم وبالأسنان لما لها من تأثير سلبي على أجهزة وأعضاء الجسم لأنها المدخل الذي يمر عبره الماء والغذاء وكلما كان المدخل طيباً وطاهراً كلما ارتفع المستوى الصحي لدى الفرد.



السواك خير حماية للأسنان

■ السواك مطهرة للفم مرضاة للرب

بقلم: منصور محمد الهادي مطاوع *

السواك (الأراك) اسمه العلمي (SALVADORA_PERCICA) وهو قطعة من شجر الأراك ويعتبر أحسن وأنفع وسيلة للمحافظة على الفم والأسنان. ويتكون من العفص وهو مادة مطهرة ومضادة للتعفنات ومادتي بيكربونات الصوديوم وكلوريد البوتاسيوم والسينجرين وهي مادة قاتلة للجراثيم والفلورايد، ومادة شبيهة بالبنسلين التي تخفف من حدة الآلام، ومادة السلفادوريا وحامض الميناانيسيك، ومادة تمنع النخر السني وألياف السليلوز، وبعض الزيوت الطيارة كما يحتوي على شارادات الحديد والفوسفات والكلوروبلورات السيليس وهي مواد زالقة للأوساخ.

الإسلام والعناية بالاسنان

لقد حثنا سيد المرسلين وطبيب الحائرين على العناية بالاسنان ولصعوبة آلامها وصف لنا وصفة نافعة وسديدة، فقال رسول ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاه» [رواه مالك وأحمد والترمذي عن أبي هريرة]. وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: «كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك».

وفي صحيح البخاري: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»، وفي صحيح مسلم أنه ﷺ «كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك»، وفي السنن عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ مالا أحصي يستاك وهو صائم»، وعن أبي أيوب رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله ﷺ أربع من سنن المرسلين الختان والتعطر والسواك والنكاح» [رواه الترمذي].

أول من استعمل السواك

يقال إن أول من استاك هو خليل الله ابراهيم عليه السلام. والسواك سنة نبوية في أي وقت يسر لك ويفضل عند الوضوء وقبل كل صلاة، عقب تناول الطعام وتغير رائحة الفم، وقبل النوم وعند الاستيقاظ.

الفوائد الطبية للسواك

أكد علماء الطب والصيدلة أن للسواك فوائد ومنافع طبية عامة وشاملة للجسم وبخاصة للجهاز الهضمي والتنفسي..

- السواك يقاوم الجراثيم وله تأثير مضاد للالتهابات التي قد تحدث في الفم.
- له تأثير مسكن لآلام الأسنان.
- استعمال السواك يجعلك تقلع عن العادات السيئة كالتدخين.
- السواك به مادة قابضة تعمل على شد اللثة وتقويتها، وفيه مواد تحافظ على الأسنان من التسوس وحمض الميناانيسيك الذي يطرد البلغم.
- السواك أرخص وأيسر وأوفر وسيلة للمحافظة على الفم والأسنان.
- في السواك المتخذ من شجرة الأراك مادة عطرية زيتية منحلة في الأثير تعطي للفم رائحة ذكية وطعماً مستحسناً.
- السواك به ألياف عزيزة وقوية لاتتكسر تحت الضغط وهي لينة بحيث تأخذ الشكل المناسب لتدخل بين الأسنان وفي الشقوق لتزيل الفضلات دون أن تؤذي اللثة.
- السواك يجلو البصر، ويصحح المعدة، ويصفي الصوت، ويسهل مجاري الكلام، وينشط القراءة والذاكرة والصلاة ويدر البول ويطرد النوم، ويرضي الرب، ويعجب الملائكة ويكثر الحسنات ويقوي العمود الفقري ويطلق اللسان وينقي الدماغ ويشهي الطعام ويحد الذهن.

السواك موجود بوفرة

أفضل مايتخذ السواك من شجر الأراك وهو شجر دائم الخضرة تشبه شجرة الرمان، وينمو في المناطق الحارة وتكثر عادة في أودية الصحاري وتكون قليلة في الجبال. وهي موجودة بوفرة في المملكة العربية السعودية وجنوب الوادي بمصر والسودان وأيران وشرق الهند والشام. ولاينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة ربما كانت سماً. والسواك متوفر حاليا في الصيدليات والأماكن العامة وأمام المساجد وأجوده ماستعمل مبلولاً بماء الورد ■

*أستاذ بجامعة الازهر

دور الإســـلام في العـــالم

بقلم: محمد مرسي محمد مرسي

تتدرج الإنسانية نحو الكمال بقدم ثابتة، وخطى متزنة، والجماعات البشرية كلها وإن تناحرت وظهر أن بعضها يهدم بعضاً فإنها في الواقع مسخرة لقوى تمخضها مخضاً لتستخرج منها خلاصة ما أودعته فطرتها من خصائص كريمة وخصال عالية، وقد تزول أمم وتقوم أمم، وتبيد طوائف وتنشأ طوائف، وتزلزل الأرض تحت أقدام الجماعات حتى ليظن الناظر إليها أن العالم مدفوع لدمار محقق، وخراب لامرد له، والحقيقة أن أجزاءه تتفاعل تفاعل المواد الكيماوية، لتخرج مركباً جديداً أجمع منها جميعاً للمزايا المتفرقة فيها، ليؤدي عملاً جديداً لايستطيع أن يضطلع به ما كان قبله، ويكون مقدمة لغيره من الترقيات الصورية والمعنوية التي يأخذ بعضها بأيدي بعض، متكافلة على تحقيق وعد الله في الأرض..

لقد عاش الناس آماداً طويلة متفرقين شيعاً، ومتخالفين أصولاً ومبادئ وكان العقل الإنساني ملتاثاً ببقايا السذاجة الأولى، ويتخذ من هذا التشيع والتخالف عاملين قويين على توسيع شقة الانقسام البشري، وقد اتخذوا الأديان بواعث للمضي في هذا التناحر إلى أقصى حد. ومازالوا جارين على هذا السمت حتى تمهدت سبل الاتصال بين الشعوب، وتسهلت وسائل التعارف بينها، ونجمت حاجات حيوية تدعوها لتبادل الثمرات، وتداول المنافع، فنشأ للأمم شعور لم يكن من قبل..

وهو وجوب قيام صلة بينها تسمح لها بالتكافل في الحياة، ليكمل بعضها نقص البعض الآخر في أعظم الحاجات وأبسطها فنشأت التجارة العالمية، فكانت وسيلة للتفاهم، والتفاهم يدفع إلى التسالم، فكان هذا عهداً جديداً في حياة الأمم مازال تدفع عوامله بالشعوب بعضها نحو بعض، ممهداً لأكبر عهد من عهود البشرية، ألا وهو القيام على أصل جامع يؤلف بين الكافة في حظيرة واحدة، إخواناً على سرر متقابلين، ليقطعوا مراحل هذه الحياة، مجردين قواهم كلها للتكامل في العلم والعمل، لامتناحرين يبغي كل فريق لخصمه الفشل، ويبيت له الويل والخبل..

ولد هذا الشعور في العالم، ولكنه ولد خيالاً يطوف ببعض الرءوس ولايستقرفيها، إلا أنه كان يزداد على مر الأيام قوة، إلى عهد خاتم النبيين محمد ﷺ..

معضلة وحل

في هذا العهد أراد قيوم الوجود ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعل من هذا الشعور الخيالي حقيقة واقعة، فشرع للناس الإسلام، وأمر بإشاعته في جميع أكناف الأرض، افتتح به عهداً نهائياً للبشرية لم تكن تخيله من ناحية الدين قط، لأن كل أمة لُقنت أن الأديان كلها مزورة إلا الدين الذي هي عليه، فمن أية جهة تأتي مجموعها الوحدة المرغوبة من قبله، ذلك كان من المحالات العقلية، فكان بعض الفلاسفة يتخيل هذه الوحدة من ناحية التخلي عن جميع الأديان، وكيف كان يعقل ذلك في أمم اختلط حب الدين بدمها وآثرته على نفسها وولدها؟

فكيف حل الإسلام هذه المعضلة الخطيرة في حدود العقل ومنطق الأشياء، وسوغها للأذهان إلى حد أن صار ليس بين خصم الإسلام وقبوله والتحمس له إلا أن يسمعها بينة من الداعي إليه، وأن يفهمها حق الفهم؟

حقاً إن هذه لمعجزة لدين يعلن أنه آخر الأديان الإلهية، وأنه الدين العام لمجموع البشرية، وسيصبح دين الكافة غير منازع، بعد أن تتجلى للناس آياته في الآفاق والأنفس

■ لاسبيل لأكبر قوة في العالم أن تسلب سلطان العقل الكامل، لأنه قبس من الله به يكلّف وبه يحاسب

الإنسانية. أعلن الإسلام أنه في أصوله الاعتقادية ليس بدين جديد، ولكنه الدين الأول الذي أوحاه الله إلى نوح، ثم تابع وحيه إلى جميع المرسلين من بعده، فإذا كان الناس يرون أمام أعينهم أدياناً مختلفة في هذه الأصول فإنما حدث ذلك من تحريف قادتها لها، وتحميلها مالاتحتمله من أهوائهم بغياً بينهم.وقد أرسل الله به نبيه محمداً ﷺ في آخر الزمان، خالصاً من كل ما أدخل إليه مما ليس منه، ليقوم الناس على أصل جامع، فينعموا بمزايا الوحدة، ويتوجهوا بجملتهم لتحصيل الكمال الذي وعدته به البشرية، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى:

﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه، كبر على المشركين ماتدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب، وما تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم ﴾ أي لامحاجة ولاخصومة ﴿ الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾[الشورى:١٣-١٥]..

الحق لايتعدد

وكذلك قول الله تعالى في الآيتين:١٩و٢٠ من سورة آل عمران، إذا ألقيت هذا البيان إلى كائن من كان، أساغه عقله، واطمأن إليه قلبه، وحنّ له شعوره وإلا فهل يعقل أن الله يوصي أدياناً متخالفة في أصول العقائد لأمم تتشابه في عقولها وقابلياتها ووجهاتها، على حين أن الحق لايتعدد، ونواميس الكون لاتتغير؟ فإذا لم يكن هذا التخالف في الأديان من جنايات قادة الأديان، فجناية من هو؟

وهل يعقل أن يتوحد العلم الكوني في كل مكان، حتى تكون أصوله في أية بقعة من بقاع الأرض هي أصوله في سائر بقاع العالم، ويكون الدين في أصوله ذا وجوه مختلفة ينقض بعضها بعضاً، ويبغي بعضها على بعض والذي ضمن للدين الإسلامي الخلود أمران: الفطرة الإنسانية، وسلطان العقل الكامل، والناس جميعاً يتفقون في مقتضيات الفطرة، فما يراه إنسان بفطرته حسناً، ومايراه قبيحاً يراه الكافة قبيحاً، اللهم إلا إذا تعمد الآباء والمربون إفساد هذه الفطرة، وشرط الإسلام أن تبقى الفطرة سليمة من الشوائب التي تحولها عن منهجها..

وأما سلطان العقل الكامل، فلا سبيل لأكبر قوة في الأرض أن تسلبه إياه، فإنه قبس من نور الله، ونفحة من حكمته، وقد حاول طمسه قادة الأديان السابقة أجيالاً، وعاقبوا من يحوم حول حماه بالحديد والنار قروناً، فأظهره الله على جميع القوى الظلمانية التي جردت لمكافحته، وتجلى جوهراً خالصاً لم يمسسه سوء، وهوهو اليوم فيصل التفرقة بين الحق والباطل في العالم كله.. اعتمد الإسلام على هذين الأمرين الطبيعيين، اعتماد البناء على ركنيه الركينين فقال عن الفطرة الإنسانية: ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ [الروم:٣٠].. فالخالق جل شأنه يبين للناس أن الدين هو ماجبلت عليه النفوس من الفطرة الإلهية، ولكن بشرط أن لاتشاب بتعاليم تتحكم فيها وتوجهها غيروجهتها الطبيعية، وهذه الفطرة الخالصة من كل شوب: من هوى، أو وهم أو تقليد أو تعليم ، هي الإسلام نفسه..

العقل هو الحكم

إلا أن هذا الموقف يحتاج لمقوّم يقومه، فإن للناس يتخالفون في الغرائز الطبيعية وفي الصفات الوارثية: فمنهم المتثبت والمتسرع، والبعيد النظر والقصيره، والكثير العلم والقليله، فكان لابد من حكم يرضى الناس جميعاً حكومته، ولايشذ عنها إلامفتون أو متعنت، هذا الحكم هو العقل. وكما كان هذا العقل مناط التكليف، وفيصل التفرقة بين الحق والباطل، وجب أن يكون بحيث يصلح لهذه المهمة الخطيرة، فلذلك حث الحق سبحانه وتعالى على تكميله، بالنظر في الأعلام التي نصبها في الكون لتكميله والمنار التي أقامها لهدايته، ليقوى على ما هو بصدده، ويأمن العثار في حكمه، ولا يلتبس عليه الباطل في تكونه.. فهذا الجمع بين حكم الفطرة المعدلة بحكم العقل الكامل، هو الأساس الديني الذي بعث الله خاتم أنبيائه ﷺ لوضعه وإعلانه بين الأمم، لتتوحد في أديانها وعقائدها، كما هي متوحدة في إنسانيتها ومظهرها وعقولها..

لقد نجح الفيلسوف الإنجليزي «باكون» واضع الدستور العلمي قبل نحو ثلاثة قرون في توحيد العمل في كل بقاع الأرض، ببنائه على المشاهدة والتجربة، وعلى التحليل والتركيب، وبإخراجه جميع الآراء والظنون من مادته، فإذ كان «باكون» قد استحق إعجاب العالم كله به لتوفقه إلى هذا العمل العظيم، فإن الإسلام يستحق أكبر مما يتصور من الإجلال والإكبار لإيحائه إلى خاتم أنبيائه محمد ﷺ هذا الدستور الديني الذي نحن بسبيله، فجمع به بين أمم لاتغرب عن بلادها الشمس، وسيجتمع عليه سائرها، متى وفق الله المسلمين لإعلانه للناس في الصورة الباهرة، ومتى أراد الله أن يتم هذا الإصلاح الكبير في الأرض..

الإيمان بالرسل أساس الإيمان

وبما أن الإسلام يرمي إلى توحيد الأمم في عهد جديد للبشرية، كانت عقائده على هذا الأصل الجامع، فأمر الآخذين به أن يعتقدوا بجميع رسل الله، وأن لايفرقوا بينهم، وأن يصدقوا بما أرسلوا به من الكتب، جاعلاً ذلك أساس الإيمان، لتكون صبغته عالمية من كل وجه، فقال تعالى: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة:١٣٦]..

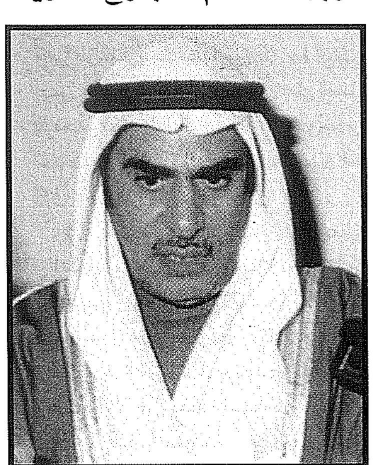
وبعد هذا البيان لايستطيع أحد أن ينكر هذا الأساس الديني الذي جاء به الإسلام هو أقصى ما يمكن تخيله من نظام يدعو إلى دين واحد، وإلى الإخاء بين الأديان، ويجمع على الرضا به كل ذي فطرة وعقل. وإن رجلاً في أبعد بقعة من الأرض عن العمران، وعن مثل هذه الأحلام العالمية، وفي عصر لم يطف فيه توحيد الأديان والأمم في عقل بشر، لايعقل أن يكون انفرد بالتفكير في هذا الأمر وهو لم يفرغ بعد من التوحيد بين القبائل التي نشأ في بيئتها، وإذا عقل أنه قد يفكر في ذلك، فلايعقل أن يأتي بدستور يبلغ من الكمال إلى هذا الحد..

لامشاحة في أن هذا أمر جلل، وفي أنه معجز إلى أقصى حدود الإعجاز وفي أنه سيكسب الإسلام المكانة التي يرمي إليها، وهي أن يكون الدين الذي شرعه الله للناس كافة ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ﴾ [آل عمران:٨٣]..

فإذا قدر الله للبشر أن يجتمعوا على دين عام، في عهد من عهودهم، فهو الإسلام، وقد قال تعالى: ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ [فصلت:٥٣]□

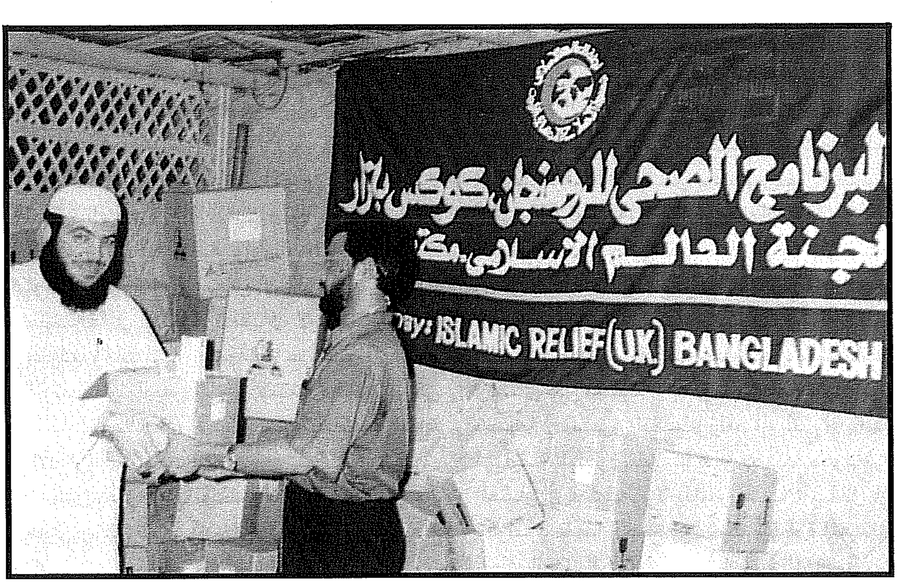
أسبوع الشريعة الإسلامية الثاني

برعاية السيد أحمد السعدون رئيس مجلس الأمة الكويتي وتحت شعار: (شريعتنا تحفظ كويتنا) أقامت جمعية الإصلاح الاجتماعي خلال الفترة من ٣-٧ جمادى الأولى ١٤١٥هـ الموافق ٨-١١ أكتوبر ١٩٩٤م أسبوع الشريعة الإسلامية الثاني وقد حاضر خلال الأسبوع كل من: الدكتور سيد نوح حول (تطبيق الشريعة بين الخيار والواجب)، والدكتور محمد الأشقر حول (الأمان في تطبيق شرع الرحمن)، والشيخ أحمد القطان، والشيخ جاسم مهلهل الياسين، والدكتور أيوب الأيوب. وقد أقيمت في ختام الأسبوع ندوة حول (مجلس الأمة بين الواقعية والتنظير في تطبيق الشريعة) شارك فيها نائب رئيس مجلس الأمة صالح الفضالة والنائب مبارك الدويلة والدكتور محمد المقاطع من كلية الحقوق في جامعة الكويت.



● أحمد السعدون

توزيع تبرعات عينية



قام قسم التبرعات العينية في بيت الزكاة خلال شهر سبتمبر الماضي بتقديم العديد من المواد الغذائية للأسر المحتاجة في الكويت لتخفيف العبء عنها، وتأمين العيش الكريم لها إلى أن تتحسن ظروفها وتصبح قادرة على الاعتماد على نفسها.

وأوضح رئيس قسم التبرعات العينية في بيت الزكاة عادل الجري أن عدد الأسر التي تمت مساعدتها بلغ (١٣٣٥) أسرة، وأن مجموع عدد أفرادها بلغ () ٩٠٧٥فردا.

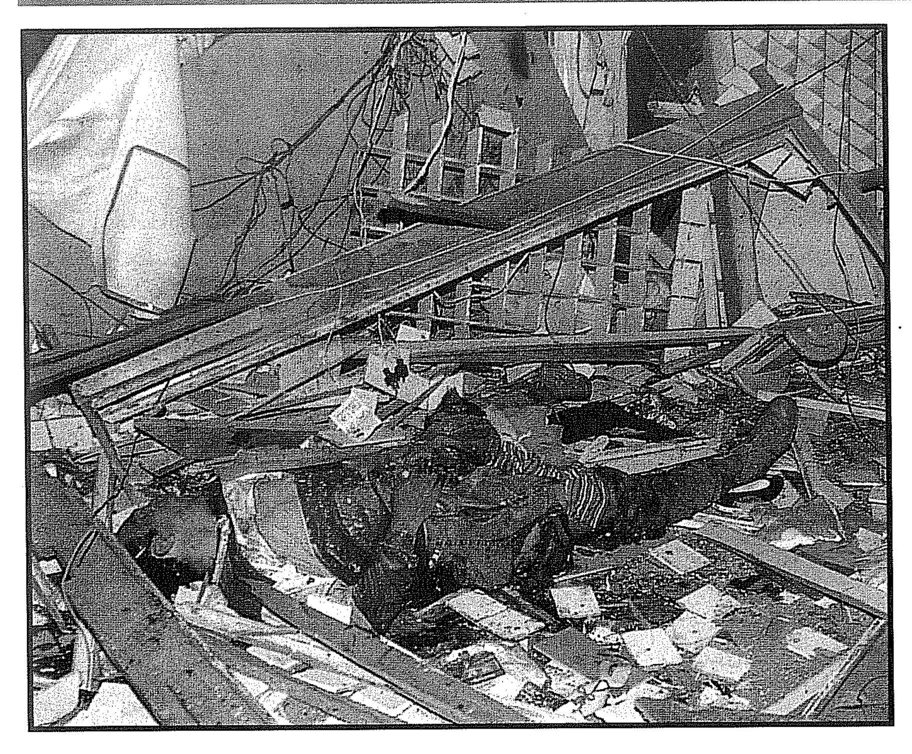
نافذة على العالم

باكستان الأولى في إمداد قوات الأمم المتحدة

أفادت أرقام نشرت في مقر الأمم المتحدة أن ٧٨١١١ رجلا يشاركون حاليا في ١٦مهمة دولية لحفظ السلام في سائر أنحاء العالم وما تزال باكستان وفرنسا والهند في طليعة الدول التي تمد الأمم المتحدة بهذه القوات.

وفي ما يلي اللائحة الشهرية لأول عشر دول تمد الأمم المتحدة بقوات (بتاريخ ٣٠سبتمبر): باكستان: ١٠٠٢٢، فرنسا: ٦٣٢٦، الهند: ٥١٦٣، بريطانيا: ٤٠٨٢، بنغلاديش: ٤٠٠١، الأردن: ٣٦٠٣، ماليزيا: ٢٨٥٤، كندا: ٢٧١٢، مصر: ٢٢٢٨، بولندا: ٢١١٧.

وتحتل روسيا المرتبة الـ١٦ في هذه اللائحة (١٥٣١)، والولايات المتحدة المرتبة الـ٣٢ (٩٣٨)، والصين المرتبة الـ٤٩ (٦٥). ومن بين دول امريكا اللاتينية التي تمد المنظمة الدولية بقوات تأتي الارجنتين في الطليعة (١٤٠٥).



قتلى إسرائيل منذ اتفاق أوسلو

ذكرت أنباء القدس المحتلة أن حصيلة القتلى الإسرائيليين منذ التوقيع على اتفاق أوسلو وحتى الآن بلغ (٦٧) إسرائيليا في الضفة الغربية وقطاع غزة وداخل الخط الأخضر. ووفق مصادر إسرائيلية فإن ارتفاعا طرأ على عدد العمليات داخل الخط الأخضر ١٩٤٨م. وقد قتل في الأشهر الثمانية التي سبقت توقيع الاتفاق (٢٣) إسرائيليا. وقد نشر هذه المعطيات مجلس المستوطنات الإسرائيلية بالتعاون مع حزبي الليكود واليمينيين المعارضين. وحسب المصادر فإن المعطيات تشير إلى مقتل (٣٨) إسرائيليا في المناطق المحتلة منذ شهر سبتمبر ١٩٩٢م وحتى سبتمبر من العام ١٩٩٣م منهم (٢١) جنديا، وأنه منذ اتفاق أوسلو وحتى أيلول ١٩٩٤م قتل في المناطق المحتلة (٣٠) إسرائيليا منهم (١١) جنديا، ومنذ تطبيق الحكم الذاتي الفلسطيني في شهر مايو الماضي وقعت داخل الخط الأخضر من عام ١٩٤٨م أكثر من (٤٠) عملية مسلحة قتل فيها (٦) إسرائيليين.

فتوى يهودية بقتل العرب

دعت فتوى دينية يهودية إلى قتل كل المواطنين العرب في فلسطين المحتلة بمن فيهم الأطفال والنساء. وزعمت الفتوى التي أصدرها الحاخام (عيدو ألبا) الزعيم الديني لليهود في مستوطنة كريات أربع بمدينة الخليل المحتلة أن الفرائض الإلهية تأمر اليهود بقتل جميع الغرباء العرب.

وقال الحاخام اليهودي في فتواه التي نشرتها صحيفة (معاريف) الإسرائيلية وصحف الأراضي العربية المحتلة أنه على الرغم من أن الأطفال والنساء العرب لا يعرضون حياة اليهود للخطر فإنهم يساعدون (العدو) في مواصلة الحرب.

وأشارت الصحيفة إلى أن الفتوى اليهودية صدرت تحت عنوان (توضيح فرائض قتل الغرباء) وتقع في ١٩ صفحة وأعدها الحاخام ألبا بعد مذبحة الحرم الإبراهيمي الشريف في شهر فبراير (شباط) الماضي التي ارتكبها متطرفون إسرائيليون وراح ضحيتها عشرات من القتلى والجرحى من المصلين المسلمين الفلسطينيين. وجاء في الفتوى اليهودية: (إن الحرب إلزامية ضد كل عربي. وأن النهي عن القتل وسفك الدماء الوارد في الشرائع اليهودية لا يتعلق باليهودي الذي يقتل من هو غير يهودي. ويجب عدم معاقبة أي يهودي يقتل أجنبيا).

رابطة العالم الإسلامي تشجب التحركات العراقية

أعربت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي عن قلقها الشديد إزاء التطورات على الحدود بين الكويت والعراق والتي سببها النظام العراقي بحشد قواته المسلحة بكثافة على الحدود مع الكويت. وقال المتحدث الرسمي باسم الرابطة في بيان صدر عنها: إن رابطة العالم الإسلامي التي تمثل شعوب العالم الإسلامي تعلن أسفها لمحاولات النظام العراقي تعكير الأمن وتهديد السلام بين الدول العربية في الوقت الذي لم تندمل بعد جراح الأمة بسبب غزو الجيش العراقي للكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠.

وقال المتحدث إن رابطة العالم الإسلامي تدعو المسؤولين في العراق إلى تجنب أي تصعيد من شأنه إعادة المنطقة إلى التوتر الذي كان سائدا إبان الغزو والاحتلال العراقي لدولة الكويت، لأن الأمة تمر بمرحلة تتكالب فيها قوى العدوان على الشعوب المسلمة. وقال: إن للشعب الكويتي كل الحق في أن يعيش حرا وأن يمارس سيادته على أرضه حسب ما أكدته قرارات الجامعة العربية والأمم المتحدة، وأن العراق مطالب بالتقيد بالأنظمة والمواثيق الخاصة بالجامعة العربية والتي وقع عليها منذ أن قامت الجامعة.

السحرة ينشطون في إيطاليا!!

قال معهد يورسيبيز للأبحاث في تقرير عن سوق السحر في ايطاليا: (لم تفلح المدنية والتقدم في القضاء على الخرافات والمعتقدات الغربية المتأصلة في نفوس الإيطاليين منذ أقدم العصور).

وقال التقرير وعنوانه (أموال الشيطان): إن السحر أصبح تجارة في إيطاليا تبلغ قيمتها ملايين الدولارات.

ومن الصعب إعطاء تقرير دقيق لعدد السحرة والمنجمين وقراء الطالع في إيطاليا. ويقول التقرير إن عددهم يتراوح ما بين ٢٠٠٠ و١٢ ألفا غالبيتهم من الرجال. ويقدر المعهد أن حوالي ١٢مليون شخص معظمهم من النساء يستشيرونهم سنويا. ويعلن السحرة والحكماء عن أنفسهم في مجلات خاصة وفي وسائل المواصلات وقنوات تلفازية تابعة للقطاع الخاص. كما يعرضون خدماتهم هاتفيا وبالفكاس في الحالات العاجلة والبريد في الأمور العادية.

ملايين الأمريكيين تحت خط الفقر

أفاد مكتب الإحصاء أن عدد الأمريكيين الذين يعيشون في فقر ارتفع للعام الرابع على التوالي عن عام ١٩٩٣م. وقال مسؤولون إنه في عام ١٩٩٣ كان هناك ٣٩,٣ مليون أمريكي يعيشون في فقر أي ما يعادل نحو ١٥,١٪ من السكان بزيادة ١,٣ مليون شخص عن عام ١٩٩٢م.

وقبل أربع سنوات أي في عام ١٩٨٩ كان عدد الأمريكيين الذين يعيشون في فقر نحو ٣٢,٤ مليون شخص وهو ما يمثل ١٣,١٪ من السكان. وأشار المكتب إلى أن مستوى الفقر بالنسبة لأسرة مؤلفة من أربعة أشخاص كان يحسب في العام الماضي على أساس ألا يتجاوز دخلها السنوي ١٤٧٦٣ دولارا.

وكشفت الدراسة عن انخفاض متوسط دخل الأسرة الأمريكية خلال الفترة نفسها بنسبة ٦ر١٪ مع مراعاة معدل التضخم في عامي ١٩٩٢و١٩٩٣ ليصل إلى ٣٧٤٨٤ دولاراً من ٣٨٠٩٨ دولاراً. وهذا يعني أن دخل نصف عدد الأسر الأمريكية بشكل عام كان يقل عن المتوسط.

وأورد التقرير أن نسبة الفقر بين الأطفال ظلت أكبر منها بين غيرها من الفئات حيث وصلت إلى ٢٢,٧٪ لكن مسؤولين قالوا إن هذه النسبة لم تزدد كثيرا عن عام ١٩٩٢م.

وظلت نسبة الفقر بين البيض والسود كما هي تقريبا حيث أعلن المكتب أن١٢,٢٪ من البيض يعيشون تحت خط الفقر مقابل ٣٣,١٪ من السود و ٣٠,٦٪ بين من ترجع أصولهم إلى أمريكا اللاتينية.

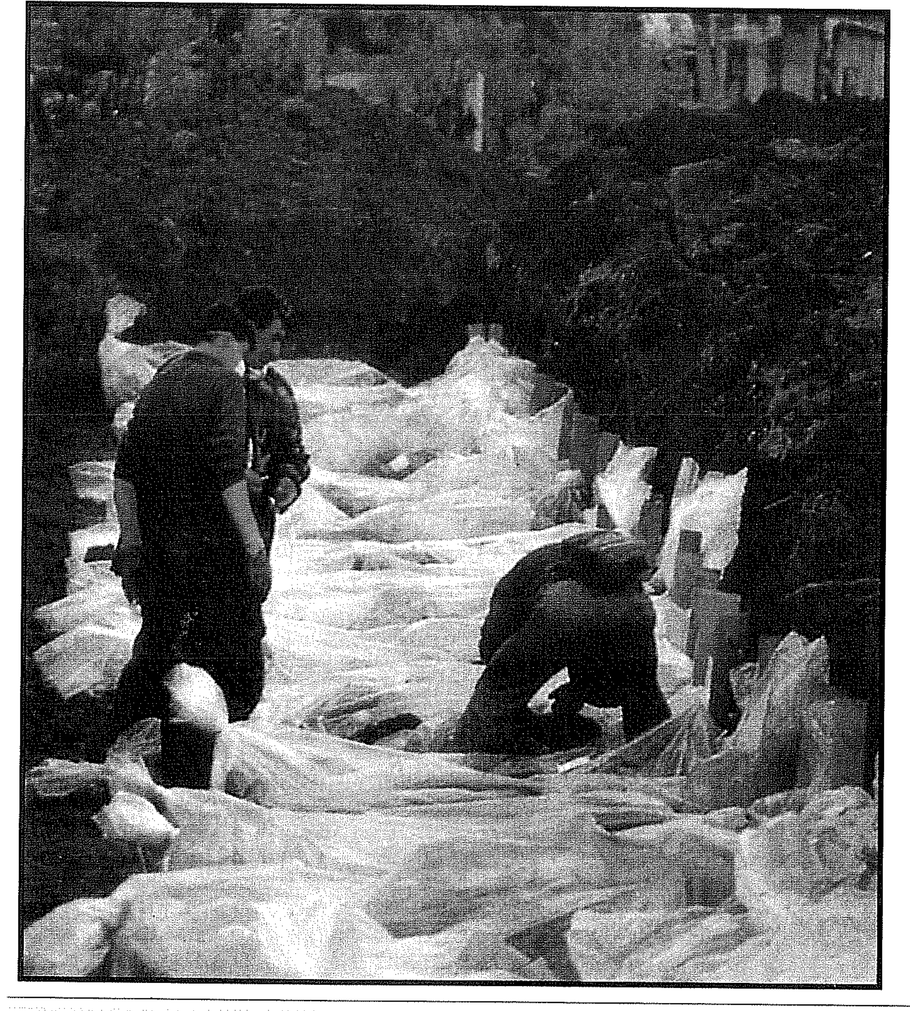
روسيا غير مؤهلة للانضمام إلى المجلس الأوروبي

ذكر تقرير أن لجنة من الخبراء خلصت إلى أن روسيا غير مؤهلة حاليا للانضمام إلى المجلس الأوروبي الذي يضم في عضويته ٣٢دولة.

وقال التقرير إن اللجنة اتخذت هذا القرار لأن النظام القانوني لروسيا لا يفي بمعايير حقوق الإنسان.

ويمثل الحكم الذي اتخذته اللجنة انتكاسة كبرى لمحاولة موسكو الانضمام إلى الهيئة الأوروبية التي تعمل على تعزيز الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

مقتل ثلاثة آلاف طفل بوسني!!



أكدت منظمة (اليونيسيف) أن ثلاثة آلاف طفل بوسني قتلوا في المعارك التي دارت حول العاصمة البوسنية سراييفو وأن العديد من الأطفال تعرض للصدمات النفسية العاطفية نتيجة نكبات الحرب، ولا يزال التهجير مستمرا إلى دول أوروبا وغيرها.

وفي هذا الشأن ذكرت أستاذة في الطب النفسي بمعهد الصحة النفسية في العاصمة اليوغسلافية بلجراد (أنه بسبب نقص الرعاية وبعد الأطفال عن أهلهم سيظل الأطفال معرضين للإصابة بالاضطرابات النفسية طوال حياتهم).

وقالت إن معظم الأطفال من مناطق الحروب يصابون بمختلف الأمراض النفسية مثل: اضطرابات الأكل والنوم والعدوانية والنشاط المفرط وعدم القدرة على التكيف مع الأطفال الآخرين.

كذلك يعاني هؤلاء الأطفال الذين أبعدتهم الظروف القاسية عن آبائهم وأمهاتهم من التشوش والشعور بالذنب، إذ لا يفهمون لماذا لم يعد ذووهم يريدونهم .

ومازال الصرب المعتدون يستخدمون النساء المسلمات والأطفال البوسنيين كدروع بشرية خلال عدوانهم على المسلمين في الجبهات المختلفة في البوسنة.

على طريق الأمية

أعلن جيمس غرانت المدير العام لصندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (يونيسف) في إطار مؤتمر التربية العالمي المنعقد حاليا في جنيف أن نحو ١٣٠ مليون طفل في عمر الالتحاق بالمدرسة لا يذهبون إلى المدارس، وثلثاهم من البنات.

وتابع غرانت: (ومن بين الأطفال الذين بدأوا دروسهم في عام ١٩٩٠م يهجر واحد من أصل اثنين تقريبا المدرسة قبل إنهاء المرحلة الابتدائية، ومن بينهم نسبة كبيرة من البنات.

وتبذل الكثير من الجهود في هذا المجال في ٤٢ من أصل ٩٥ دولة قد حققت تقريبا الهدف الذي حددته للعام ١٩٩٥ أي للتخفيض بنسبة الثلث، والفروقات القائمة بين نسب إنهاء المرحلة الابتدائية المسجلة في العام ١٩٩٠م ونسبة ٨٠٪ المحددة كهدف لعام ٢٠٠٠م.

وتعهدت تسع دول نامية من أكثر الدول اكتظاظا بالسكان بتحقيق هذا الهدف. ويعيش في هذه الدول – الصين وأندونيسيا والمكسيك والبرازيل ومصر والهند وبنغلادش ونيجيريا وباكستان – ثلاثة أرباع الأميين في العالم، وثلثا الأطفال الذين لا يترددون على المدرسة.

وأفاد غرانت أن الصين وأندونيسيا والمكسيك قد نجحت في ضمان أربع سنوات من المدرسة كحد أدنى لـ٨٠٪ على الأقل من أطفالها. لكن الوضع أقل ايجابيا في البرازيل ومصر والهند وهي دول يمكنها أن (تحقق الهدف شرط الاستمرار في تكثيف جهودها). وأفاد غرانت أن بنغلاديش ونيجيريا وباكستان بخاصة لا تزال تواجه (مهمة كبيرة لكن يمكن تحقيقها).

وقال: إنه من الملح الأخذ بعين الاعتبار المبادرة الهادفة إلى تمويل الخدمات الاجتماعية الأساسية التي عرضتها اليونيسكو بالتعاون مع منظمات عالمية لتمويل خدمات اجتماعية أساسية بما فيها التعليم الأساسي. وتقضي هذه الخطة بأن تؤمن الدول النامية ثلثي المبلغ والمجموعة الدولية ما تبقى.

الجوع يفترس ٩٠ دولة!

كشفت الإحصاءات التي أعدتها منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) أن شبح الجوع يهدد ٩٠ دولة نامية ومن بينها ٤٥ دولة أفريقية، هذا ما أوضحه عبدالله بن يحيى ممثل الفاو بالقاهرة، وقال: إن هذه الدول منخفضة الدخل وتفتقر إلى مقومات الحياة الآمنة من الناحية الغذائية، وأن منظمة الفاو سبق لها في نهاية عام ٩٣م أن حذرت من وقوع كارثة غذائية في العالم حيث مازال العالم برغم التقدم العلمي الذي يعيشه عاجزا عن تدبير الغذاء للأفواه (الجائعة) لأن هناك مليار نسمة في العالم لا يحصلون على وجباتهم الأساسية، ومليارين يفتقرون في غذائهم للأملاح والعناصر الغذائية اللازمة وملياري نسمة آخرين يعانون من الأمراض المزمنة نتيجة الأغذية غير المتوازنة التي يحصلون عليها. وهو الأمر الذي يتطلب شن حرب جديدة لمواجهة الجوع في العالم قبل ان يستفحل امره ويشكل كارثة حقيقية لأنه إذا ظل هذا الوضع دون مجابهة، فإنه سيكون هناك ٩ مليارات نسمة سيهددها الجوع بشدة عام ٢٠٣٠م. وهو ما يحتاج بالفعل إلى تكثيف الجهود وتكريس التكنولوجيا الحديثة والتعاون بين الحكومات والمنظمات غير الحكومية في كل مكان من أجل تحقيق قدر معقول من التغذية السليمة لكل هؤلاء، لأنه من العار أن يموت الناس جوعا في عصر العلم والتكنولوجيا وغزو الفضاء.

اجراءات لإصلاح المجتمع المسلم في الهند

اتخذ مؤتمر إصلاح المجتمع الإسلامي في الهند برئاسة الشيخ أبو الحسن على الندوي عدة قرارات وإجراءات عملية للإصلاح، بعد دراسة الاتجاهات المعاصرة للمجتمع الإسلامي في الهند والنظام العائلي وحياة الفرد بمشاركة عدد من العلماء ورجال القانون. وجاء في قرارات المؤتمر الذي نظمته جامعة دار العلوم – ندوة العلماء بمدينة لكناءو الهندية – ضرورة إعادة تكوين المجتمع الإسلامي على الأسس الإسلامية الأصيلة بداية من إصلاح الفرد والأسرة وتنقيته من التقاليد الدخيلة عليه وأن يتم الزواج طبقا للسنة النبوية المطهرة، وأنه لابد من إزالة ما راج في المجتمع الإسلامي في الهند باسم الجهاز، حيث يطلب ولي الولد المال والمتاع من ولي البنت، وذلك معارض ومضاد للشريعة الإسلامية السمحة، وأن المهر في النكاح واجب شرعي يجب في تعيينه وتحديده رعاية الحالة المالية للطرفين وأن يلجأ الزوج والزوجة المسلمين في نزاعاتهما في الحقوق والواجبات إلى أصحاب الرأي والعلم من أهلهما أو المحاكم الشرعية لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند بدلا من اللجوء إلى المحاكم العلمانية.

إسلام (٣٦) شخصا في جمهورية مالي

أعلن مشروع تفريغ الدعاة التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامي أنه تم إسلام (٣٦) شخصا في جمهورية مالي على أيدي دعاتها، وذلك عن طريق زيارات الدعاة لهؤلاء الناس، ودعوتهم وإرشادهم إلى الإسلام ومميزاته، وإيضاح بطلان الطريق الذي يسلكونه سواء أكانوا من النصارى أم من الوثنيين عبدة الأصنام، وهذا مع قلة وسائل النقل لدى الدعاة. ومع قلة المراجع التي تفيدهم، وكذلك مع وجود الهيئات التنصيرية التي تعمل بنشاط لإغواء المسلمين وإدخالهم في النصرانية، ويتم إغراؤهم بإغداق الأموال عليهم والمواد التموينية والملابس وبناء المدارس والمستوصفات، ويتم صرف المواد عندهم والعطايا كل يوم أحد بالذات، وذلك بعد أن يجعلوا هؤلاء الفقراء يؤدون طقوسهم، ولكن بفضل الله ثم بجهود هؤلاء الدعاة تم صد هذا المد التنصيري ودعواته الباطلة، والجدير بالذكر أن لجمعية إحياء التراث الإسلامي العديد من الدعاة في جمهورية مالي، وتتراوح رواتبهم ما بين (٢٠-٦٠) دينارا شهريا ■

نـود أن نشير في البدايـة، إلى اننا سنـركز في حـديثـنـا هذا، على الـروائي المسلم، علما بأن الكثير من القضايا التي سنثيرها تهم الأديب المسلم عموما، سواء أكان شاعراً أم قصاصاً أم مسرحياً..

الاديب المسلم عنصر مهم في حقل الأدب الإسلامي. فهو الذي يصـدر عنه الإبداع الأدبي بشتى فنونه وألوانه، وهو الـذي يجسد التصور الإسلامي للإنسان والكـون والحياة في أدبه، ويتوخـى من ذلك الأهداف الإسلاميـة الحقة، المتمكن من أداته التعبيرية والفنية. والذي ننتظـر منه الصدق الفني في التعبير عن قيم ومثل الإسلام وواقع المسلمين ولاننتظر ذلك من غيره، لأن فـاقد الشيء لا يعطيـه. فلسنا ممن يتلمس الإسلامية في أدب مبدعه كافر أو ملحد أو ضال. فالأدب الإسلامي وجد يوم وجد الاسلام ولم نـعـدم في أي زمن وجود نماذج جيـدة منه حتى نتلمسـه عند من أظلـم الكفر والإلحاد والضلال قلوبهم. لان هناك علاقة وثيقة بين المبـدع وإبداعه. فالأديب المسلم يعبر من خلال إبداعه، عن رؤيته للحياة والانسان والكون، انطلاقا من التصور الإسلامي.



بقلم: محمـد بنعـزوز

وتجدر الاشارة إلى أن الأدب الإسلامي لاتنافر فيه بين رؤية الأديب والتصور الفكري الذي ينطلق منه فهما منسجمان لان هذا التصور لايتصادم مع فطرة الأديب ولايتعارض معها. ومن ثم فرؤيته إغناء وإثراء لهذا التصور من خلال موقفه (أي الأديب) من كثير من القضايا وتقييمه للكثير من التجارب، وحكمه على الكثير من الأمور التي يراها ويسمعها ويعيشها، وعرضه لكل ذلك على التصور الإسلامي للانسان والكون والحياة الذي يرتكز عليه في إبداعه، وفي اعتقاده قبل إبداعه، ونظره في مدى استجابة هذه القضايا والتجارب والأمور لهذا التصور، ومدى بعدها عنه.

ومدى تقارب (الواقع) (قضايا وتجارب) من (المثال) (التصور الإسلامي) أو ابتعاده عنه ومن ثم يبرز دوره في معالجة قضايا (الواقع) أدبيا وفنيا من خلال استحضاره (المثال) قبل وفي أثناء المعالجة الابداعية، من هنا تأتي ضرورة التأكيد على أن الأدب الإسلامي لايصدر إلا عن أديب مسلم. يقول الدكتور نجيب الكيلاني:

(الأدب الإسلامي لا يمكن ان يصدر إلا عن ذات نعمت باليقين، وسعدت بالاقتناع. وتشبعت بمنهج الله ونهلت من ينابيع العقيدة الصافية، ومن ثم أفرزت أدبا صادقا، وعبرت عن التزامها الذاتي الداخلي دونما قهر أو إرغام) (١) ويقول في موضع آخر من كتابه. (وإذا كان الأدب الإسلامي

وسيلة لغاية أسمى، في حدود مفاهيمنا فمن الخطأ ألا يكون الأديب الذي يترجم عن تلك الوسيلة في حالة من اللياقة الفكرية والنفسية والفنية تؤهله لاداء هذه الرسالة. ومن الصعب ان نتصور ان المعتلين نفسيا يستطيعون أن يوجهوا البشرية إلى شاطيء السلام، أو أن يبدعوا أبنية فكرية ومادية لصرح حضاري. أو أن يبشروا بنمط معين لإحياء قيم الخير والعدل والجمال، والمعوقون عقليا يستدرون العطف والرثاء، وقد يأتون من الأقوال والأفعال ما يثير الدهشة والغرابة، أو يدعو إلى الضحك. لكنه من السخرية المرة أن يكونوا مثلا يحتذي، أو مصدرا من مصادر الاصلاح والهداية واستقامة الحياة) (٢).

الأديب المسلم والالتزام

ما دمنا قد اشترطنا في الادب الاسلامي ان يكون مبدعه أديبا مسلما فان هذا الاخير مطالب حتي تتحقق إسلاميته في إبداعه ان يكون على صلة دائمة بالنبع الأول للادب الإسلامي: القرآن الكريم ثم بعده أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهما قمة البيان والأدب ولايعقل تحقق الإسلامية في أديب يتخذ الأدب الغربي مثله الاعلى في التصور والرؤية والمفهوم، بعيد كل البعد عن هذين الأساسين الثابتين: القرآن والحديث. ومابهما من تطور نظري مهم ينبني عليه الفكر والأدب الإسلاميين ووسائل بيانية وفنية وظف من خلالها هذا التصور وفي مقدمتها القصة.

إن الأديب الروائي المسلم مطالب بالاستفادة مما في قصص القرآن والحديث من تصورات مضمونية وتجارب بشرية وعبر ومغاز، ومافيه من أداء فني رائع وممتع، (لذا فمراجعة الاديب المسلم الدائمة للنموذج القرآني في القصة من الأهمية بمكان عظيم حتى يكون أدبه صوتا لاصدى وهادفا لاهاتفا) (٣).

يشترط في الاديب المسلم، قبل ان يحاول التعبير عن قيم الاسلام ومثله ان يحرص على معرفة طرق التعبير الفني بمعنى آخر عليه ان يكون أديبا، وفي مستوى مايود تبليغه من أفكار ومضامين، حتى لايقع عدم توازن - لديه - بين فنه وفكره يستطيع إدراكه القارىء العادى بله المتمرس. وحينما يكتسب الأداة الفنية ويتشبع بالتصور الإسلامي فإنه سيكون في مستوى (الأدبية) (والإسلامية) معا، وماعليه إلا ان يراعي احد الاصول المهمة التي تقوم عليها نظرية الأدب الإسلامي، وهو التوازن، توازن الشكل والمضمون وتوازن الفن والفكر.

إذا كنا ندعو الأديب المسلم إلى التمكن من أدواته الفنية، فإننا لانلزمه بأدوات معينة ليستخدمها كلما رغب في الكتابة، والباب مفتوح أمامه للانفتاح على المشترك الانساني، ومن ضمنه الأشكال الادبية، لكنه مطالب بتطوير أدائه الفني، بالاستفادة من جميع الاشكال الموجودة خدمة لأهدافه الإسلامية.

اننا ندعو الأديب المسلم إلى الالتزام بالجانب الفكري في الإبداع، وهو - بالنسبة لنا - التصور الإسلامى للإنسان والكون والحياة، ولن نعتبر أدبه أدبا إسلاميا إن هو حاول التقليل من قيمة هذا التصور، أوحاول معارضته ومصادمته بتصورات وضعية دخيلة.

إذن، فمدار الالتزام في الأدب الإسلامي يكمن في المضمون الإسلامي، وفي معالجة التجارب البشرية من خلال رؤية إسلامية وأداة فنية متميزة.

لذا، فالاديب المسلم مطالب بأن يكون على معرفة بعقيدته ودينه. وتاريخ أمته باعتباره سجلا زاخراً بالتجارب والشخصيات الإسلامية العظيمة.

الأديب المسلم والقاريء

ننبه - في البداية - إلى استعمال شائع لايخلو من لبس وغموض وهو كلمه (متلقي) التي تستعمل بديلا لكلمة (قاريء) مع أن هناك فرقا كبيرا بينهما.

إن كلمة (قاريء) أوسع دلالة من كلمة (متلقي) ذات المعنى السلبي، والتي توحي بنوع من الإلزام. فالمتلقي يتلقى الابداع مثلما يتلقى الأوامر ممن هو فوقه. وهذا يذكرنا بواقع الأدب في الدول الشيوعية التي تخضع لهذا الالزام كلا من المبدع وإبداعه والقاريء (المتلقي عندهم) فالاديب ملزم بالتعبير عن ايديولوجية بلاده، والدفاع عنها، وابراز (محاسنها) من خلال أدبه وفنونه، والقاريء الذي يغدو متلقيا لايجد أمامه من الإبداع الأدبي إلا الأدب الذي يقدس الشيوعية ورجالها، وعندئذ يكون مرغما بتلقي هذا الادب، دون ان تكون له حرية (القاريء) في اختيار مايريد قراءته وترك مالا يريد قراءته.

أما (القاريء) فينفعل بما يقرأ، ولايتلقى - هكذا أفكارا - تلقى اليه، وانفعاله هذا قد يكون ايجابيا أوسلبيا إنه لايتلقى من الكاتب، بل يشاركه في ابداعه. فالمبدع يختار من قرائه شخصيات لقصصه، ومن فضاءاتهم فضاء لأحداثه، ويؤلف من أقوالهم وأفعالهم المادة الأولية لبنائه القصصي والروائي. فالكاتب لاينطلق من فراغ بل من واقع معين، ومنه يستطيع التحليق إلى آفاق أبعد بكثير من واقعه الضيق.

فضلا عن ذلك فالقاريء قد يتعاطف مع شخصيات وأفكار ومواقف الكاتب، وقد يشعر بالسخط تجاهها.

ومشاركته هذه يشعر بها الكاتب في الوقت الذي يخط فيه أول جملة مما يكتب أو قبله بقليل، لانه يتساءل مع نفسه، لمن يكتب؟ من قراؤه؟ مامستواهم؟ كيف سينظرون اليه من خلال مايكتب؟ الكثيرمن الاسئلة تتبادر إلى ذهن المبدع قبل أو أثناء الكتابة وكلها متعلقة بالقاريء، مما يدل على أهميته في العملية الإبداعية، وعلى ضوء هذه الأسئلة يمكن ان تتخذ كتابته اتجاها آخر غير الذي كان ينوي السير فيه.

ان القاريء هو الذي يحكم على العمل الأدبي بالقبول أو الرفض، بالحسن أو القبح، بالجودة أو الرداءة، قبل أن يتناوله الناقد المتمرس بالتقييم والتقويم، الكاتب بدون القاريء يهدر طاقته ويضيع جهده ووقته.

نسمع ان لكل كاتب قراؤه لذا فهو مطالب بمعرفة قرائه، واقعهم وأحلامهم، آلامهم وآمالهم، حتى يكتب لهم مايفيدهم ويرضي طموحهم النفسي والمعرفي.

وهذا لايعني ان الكاتب سيكون مضطرا

الأديب المسلم: التزامه ووظيفته

لان يكتب ماتميل اليه أهواء قرائه، حتى يقرأوا له. حقيقة، هناك من الكتاب من يفعل ذلك وهمه الوحيد: الربح المادى فقط، هذا الصنف من الكتاب لايهمنا، الذي يهمنا هوالأديب المسلم، الأديب الذي يتخذ من أدبه وسيلة لتبليغ قيم ومثل الإسلام، هذا الكاتب عليه ان يعبر عن ذلك مستحضرا في الان نفسه قراءه، مستواهم، ثقافتهم، عامتهم وخاصتهم، كبارهم وصغارهم. وكل هذه الانواع من الكتابات موجودة نسبيا لذا نجد الإسلام وضع بعض القواعد المتعلقة بمخاطبة الناس (والمخاطبة قد تكون مشافهة أو كتابة).

ونجد قواعد أخرى يزخر بها تراثنا الأدبي من مثل قول البلاغيين: (خير الكلام ماقل ودل ولم يمل) وهنا استحضار للقاريء وترغيب في إبعاد الملل عنه وقولهم: (لكل مقام مقا) إلى غير ذلك من القواعد الواجب تطبيقها حتى تتحقق الغاية من الكتابة نفسها.

وظيفة الأديب المسلم

نتساءل أولا: لماذا يكتب الأديب؟ وماالهدف من كتابته؟

قد يكتب الكاتب لينفس عن نفسه بعض مكبوتاته وغالبا ماتكون هذه المكبوتات من الخبث والخلاعة والميوعة. وهذا النوع من الكتابة لايفيد في شيء، وهو يضرولاينفع.

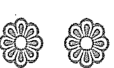
ويدخل ضمن هذا النوع الكتابات العربية التغريبية التي تسير على نهج كتابات جملة من الأدباء الغربيين والتي داس أصحابها كل القيم والمثل الإسلامية ولهثوا وراء الملذات المحرمة، محاولين اغراق القاريء في أوحالها حتى يشاركهم إثمها ووزرها.

قد ينفس الكاتب عن نفسه بالتعبير عما يراه حقا، انطلاقا من رؤيته الخاصة للحياة. وهذا النوع من الكتابة نجده في الغرب كثيرا واصحابه يستندون في رؤيتهم هذه إلى فلسفة احد المذاهب الفكرية التي ينتمون اليها.

وهناك من يكتب لالينفس عن نفسه بعض همومها، ولاليقول الحق من خلال رؤيته هو للحياة، لكن ليقول الحق كما جاء به الله سبحانه وتعالى ويرغب في أن يقتنع الناس بهذا الحق ويعملوا به. وهو (أى الأديب المسلم) يقول الحق لانه واجب شرعي والحق هنا مطلق الحق، وعلى رأسه الدعوة إلى الله مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت:٣٣].

وهذا لايمكن تسميته أدب تغيير، كما عند الغربيين فالدعوة غير التغيير. ثم ان كان التغيير مقصودا، فهو ليس مقصودا لذاته كما في الآداب الأوروبية حيث تداس – من أجله – القيم والمثل والمباديء المهم هو التغيير البناء لا الهدام، الذي يحافظ على انسانية الانسان، ويرتفع به إلى مستوى أعلى من السمو النفسي والروحي والعقلي الذي يصل بالانسان إلى سعادته في الدنيا وفي الآخرة. وهذا ماتهدف اليه كذلك، الدعوة إلى الله.

لابد لهذا التغيير البناء من شروط، وفي مقدمتها الاقتناع والايمان ثم يمكن – بعد ذلك – ان يحصل التغيير، ودور الأديب المسلم لايتمثل في احداث هذا التغيير لان ذلك ليس بمستطاعه، فهو ينبثق من ذات القاريء، كما ينبثق الالتزام من ذات الأديب لا من خارجها وإلا كان إلزاما. إذن لابد من الاقتناع. ينحصر دور الأديب المسلم في تبليغ تصور الاسلام للكون والانسان والحياة بضوابط لابد من مراعاتها وهى: الحكمة + الموعظة الحسنة + المجالدلة بالتي هي احسن + القدوة الحسنة، كما في قوله تعالى في الآية السالفة الذكر من سورة فصلت، وفي قوله سبحانه: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن ﴾ [النحل:١٢٥].



■ الأديب المسلم عنصر مهم في حقل الابداع لما يجسده من فن وتصور للإنسان والكون والحياة

إن على الداعي إلى الله (بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هى أحسن) ان يلتزم بتطبيق مايدعو الناس اليه، حتى لايناقض قوله عمله، والقول تدخل فيه حتى الكتابة (فهى قول مكتوب) وهنا تبرز مسؤولية الأديب المسلم الذي يدعو إلى الله، والذي يجب عليه ان يكون أنموذجا يقتدى ومثلا يحتذى.

أما الوصول إلى الهدف الحقيقي، وهو هداية الناس لما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، فهذا أمر يتكفل به الله سبحانه وتعالى الذي يقول ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى:٤٨] ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ [البقرة:٢٧٢] ﴿ إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص:٥٦].

بعد الدعوة والابلاغ ينتهي دور الأديب المسلم، ويبقى دور القاريء في الاقتناع او عدمه، ودور الله، قبل ذلك وبعده في الهداية او عدمها (أي في زرع الهداية في قلب القاريء أولا).

وحينما يوفق الله سبحانه القاريء للاقتناع والهداية يحصل التغيير آنذاك في القلب والعقل والنفس وبعد ذلك في السلوك والأفعال والتصرفات مصداقا لقوله تعالي: ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ [الرعد:١١] وهنا يحضرنى بيت شعري لشرف الدين البوصيري يقول فيه:

واذا حلت الهداية قلبا
نشطت بالعبادة الأعضاء

فالأديب المسلم، إذن، عامل مساعد في هذا التغيير الذي يشارك فيه اكثر من فاعل يوجهه الله سبحانه وتعالى بأن هدي الأديب المسلم إلى كتابة ماكتب وهدى القاريء – إذا شاء سبحانه – إلى الاقتناع والايمان والتصديق بالعمل.

ويمكن إبـــراز ذلك من خـــلال الترسيمـــة التالية:

الله سبحانه وتعالى – الهداية – الكاتب
الكاتب – الدعوة – القارىء
الله سبحانه وتعالى – الهداية – القارىء

على الاديب الـروائي المسلم، وهو يقـوم بدور الـدعوة إلى الله من خـلال روايته ان يتجـه – في عملـه هـذا – وجهتين لايحيد عنهما، ومن الأصلح ان يجتمعا في ابـداعه ولايتفرقا وهما: الهدم والبناء.

هـدم المفـاهيم الخاطئـة، والتصـورات الفـاسدة والمعتقـدات الضـالة والنـزوات المريضة وبناء الشخصيـة الإسلامية كما يجب ان تكـون وعلى جميع المستـويـات. عقديا ونفسياواجتماعيا وسلوكيا، وتفكيرا وممارسة لانه لايمكن بذر البذور كي تثمر في أرض فاسدة و غير صـالحة للزراعة بل يجب أولا إزالـة كل العـوارض التي تحول دون ذلك وحينما تصلح الأرض تـــزرع. والنفس كـالأرض إذا لم تتـم تصفيتهـا وتنقيتهـا ممـا يشـوبها صعب تكـوينهـا وتقويتها وتحصينهـا. والبناء لايتم إلا على أسس صلبـة، فان لم تـوجد هـذه الأسس انهار البنيان.

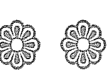
وظيفة الأديب المسلم هي التعبير عن قيم الإسلام ومثله ومحاولة الرجوع بالأدب إلى مفهومه الأصلي، الذي يتحـدد في كونه على مكارم الأخلاق والسلوك القويم.

إذا كان الأديب المسلم يعرف وظيفة أدبه والهدف منه، فان الاديب الغربي يعيش في ضبـابيـة وضلال عن وظيفتـه بعيـدا عن هدفه، يقول أحـد أدباء الغرب المشهورين وهـو (ألان روب غـــرييي) أحـد أقطـاب مدرسـة الرواية الجديدة في فـرنسا، معبرا عن هذه الحالة:

(ان الكاتب نفسه لايملك حلـولا جاهزة، فهـو يبحث، لكنه يجهـل حقيقة مـايبحث عنـه) (٤). ويضيف في الصفحـة نفسهـا قائلا: (لكن الجمهور الـذي اعتاد أن تقدم لـه الأشيـاء سائـــغةيســتاء من كـون روايتنا غير مفهـومة فهـو يسـألنا: مـاذا يعني كل هـذا؟ مـاذا أرت ان تقـول في روايتـك (Lagalouis) ما الهـدف من كتابتك لشريط : (LANNEE DER-MIERE A MARIENBAD) ؟

هنـا، نشعـر بحرج شـديـد، فنضطـر إلى

■ الأدب الملتزم أحد عناصر البناء الحضاري والدعوة من خلال الفكر والأسلوب، وهو بهذا المعنى عنصر هداية لا عنصر هدم



الاجابة: بصراحة نحـن لانعرف بعد. لقد حفزنا دافع مـا إلى انجاز هذا العمل. حتى ولو كان يبـدو عديم الجدوى وغير نافع. لكنتـا نأمل في الحين نفسـه، ان يصلح العمل المنجز لكل الأشياء..) (٥)

أمـا الأدب الإسـلامي، فإن له أهـدافـا مرسومة شأنه في ذلك شأن الإسلام الذي ينبني عليه عقـديا وفكـريا. ومـادامت له أهـداف، فليس هنـاك عبث لأن الانسـان الذي يبـدع هذا الأدب، ويوجهـه إلى اخيه الإنسان، هـدفه من وجـوده واضـح، ومن ثم فكل مـايصـدر عنه يجب ان يكـون ذا هدف وغاية. والاسلام يوجه الانسان هذه الـوجهة، وهي التسـاؤل دائما عن مـدى مشروعيـة مايقـولـه ويفعله، لأنـه لايحل لامرىء مسلم ان يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيـه كما هو منصـوص عليه في أصول الشريعة الإسلامية، والتساول عن فائدة مايفعله ويقوم به، حتى لايسقط في العبث والـــلاجـدوى والضـــلال، واللـه سبحانـه وتعالى يذكـر بني الانسان كلما سمعـوا القـرآن أوقرأوه، مخاطبـا إيـاهـم بقـــوله ﴿ أفحســبتم أنما خلقـــناكم عبثــا وأنكم إليـــنا لاتـــرجعـــون ﴾ [المؤمنـون:١١٥] وقـــولـه: ﴿ أيحسب الإنسان ان يترك سدى ﴾ [القيامة:٣٦].

ولكون الأديب المسلم يقوم بدور تربوي وتعليمي، تثقيفي وحضاري، عليه ان يفهم جيـدا مخاطبيه – كما سبقت الاشـارة إلى ذلك – ويخاطبهم بما يفهمـون وبما هم في حـاجـة اليـه. فـالضروريـات أسبق على الكماليات، والأولويات أسبق على الثانويات وان يكـون إمتـاعـه لهم فنيـا على قـدر مايفيدهم فكريا.

ونورد في الختام قـولة لنجيب الكيلاني جامعة للكثير من الأفكار والمعاني المرتبطة بموضوعنا هذا يقول:

(وإذا كـان الأديب يعبر عـن الحيـاة من خــلال نفسـه وفكره، ويبـدع لها صـورة مؤثرة أخاذة، ترتبط بـذاته وخصوصياته، فتبـدو متفـردة جديـدة تضيف إلى عـالم المتلقي كـائنـات وعـلاقـات وانفعـالات مستحدثـة جذابة، فلابـد ان يكون الهدف من وراء ذلك تفجير طاقـات بناءة في داخل الإنسـان، وإشعـاره بالـرضى والامتـاع، وإثراء وجوده بحيـوات اخرى قد لاتتيسر له في واقع الحياة التي يعيشها.

وهكذا لايقعد بـه الخيال كسيرا كسيحا بل ينهض بـــه إلى آفـاق أسمى وأروع، وبذلك تتوثب الطاقـات الإنسانية وتتحفز، وتلعب دورها الفعال في صنع حياة أفضل، ولايتيسر ذلك إلا من خلال تصور صحيح للانسان والكون والحياة، والعلاقات التي تنسق مسيرة المخلوقات والقيم الأصيلـة التي ترسخ خطا السائرين في طريق الخير والنماء والحق والحرية والجمال) (٦) ■

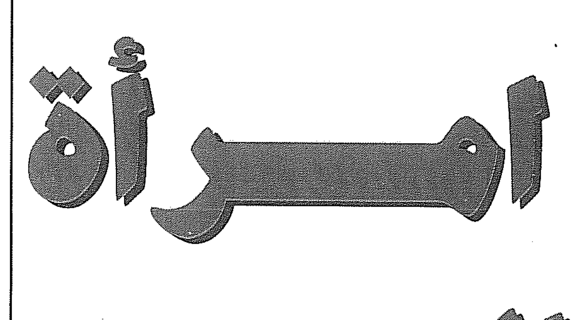
الهوامش:

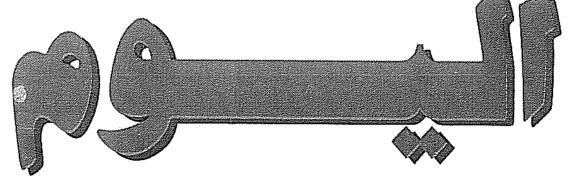
١) مـدخل إلى الادب الإسـلامي، د. نجيب الكيلاني، سلسلة كتـاب الأمة، عدد ١٤. ط١، الدوحة، قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣٦.
٢) المرجع نفسه، ص١٣٦.
٣) خواطر عن القصـة في القرآن الكريم، د. مصطفى السيد، مجلة البيان، لندن، العدد ٣٣، ربيع الآخر ١٤١١هـ، ١١/ ١٩٩٠م. ص ٤٧.
٤) الـروايـة والـواقع، ألان روب غـــرييي وآخـرون، ترجمة رشيـد بنحدو، منشـورات عيون المقالات، ط١، الدار البيضاء، ص٣٣.
٥) نفسه، ص٣٣.
٦) مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص٣١.

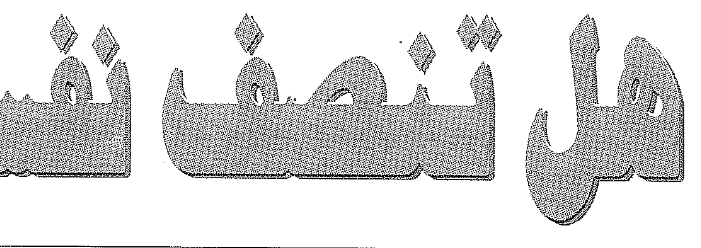
أصابع الاتهام لامرأة اليوم لا تخلو من المبالغة



أصابع الاتهام تشير إليها كلما حصل تقصير أو تغيير، يقولون إنها نقضت عهود جداتها، وقطعت لنفسها مسارا تقاذفته أمواج العصر حتى انقلبت سفينة القديم وانقلبت معها عادات وتقاليد قيل إنها عقد نفيس حرمت نفسها منه استبدلته بآخر مزيف جمعت حباته من رياح التحرر والمساواة، لكن بينها وبين نفسها نراها تغوص وتغوص علها تعثر على بعض ما فرط من ذلك العقد حتى ترضي ضميرها وترضي الجميع.







امرأة اليوم هل تنصف نفسها!؟

تحقيق السيدة:
نبال نخّال

كاتبة لبنانية مقيمة في الكويت

«رحلت أيام البركة، أيام أجدادنا وآبائنا، ورحلت معها موروثات نفتقدها في جيلنا الحاضر ويمكن أن تضمحل وينتفي حتى ذكرها عند الأجيال القادمة، والمؤسف في الأمر هو مرور الجميع مرور الكرام أمام مسألة تستحق الاهتمام».. هذا أول ما خطر على بال السيدة «فريدة» عندما علمت هدفنا من هذا الموضوع ثم لتعبر فيما بعد عن وجهة نظرها خاصة فيما يتعلق بالاختلاف الشاسع بين ما كانت عليه المرأة في الأمس وبين ما هي عليه اليوم لتقول:

«المرأة هذه الأيام ليست امرأة بمعنى الكلمة، لأنها أخذت كثيرا من صفات وأعمال الرجل، حيث نراها تقود السيارة وتعمل خارج المنزل، ولا تعرف ما يدور داخل منزلها حيث تسلمه للخدم والطباخين».

وإذا سألناها كيف تقضين وقتك؟ تجيب بالعمل خارجا أو السوق أو الزيارات المملة.. وكيف تكون النتيجة، تعود إلى المنزل لتجد زوجها بالانتظار، أو ربما تناول طعامه وحده ونام، والخادمة تعتني بالأطفال مما ينعكس سلبا على حياتها الأسرية، وهذا ما نلاحظه من خلال ارتفاع نسبة الطلاق بين الشباب.

* ألا ترين أن في حديثك ظلما لامرأة العصر؟ فليست كل النساء كما تفضلت؟

** لا شك أن هذه الصورة

لا تنطبق على غالبية النساء، إلا أننا نشهدها على الأقل في مجتمعنا الخليجي، ولذلك ترين أن أبناءنا واخواننا أخذوا يتزوجون من خارج مجتمعهم، لأن الرجل يبقى رجلا يحب أن يرى جدته وأمه في زوجته وابنته في الاهتمام به ورعاية أولاده وإدارة شؤون منزله من طهي وتدبير منزلي وحتى الحياكة، وللأسف سيأتي علينا زمان لن نجد في بيت المرأة إبرة وخيطا، ففي هذه الأيام ليس هناك أسهل من شراء الثياب الجاهزة، ورميها في حال احتاجت لبعض التصليحات والاستعاضة عنها بثياب جديدة.

* أيمكن للوفرة المالية أن تكون من إحدى الأسباب التي دفعت بامرأة العصر إلى مثل هذه الأمور؟

** يمكن أن تكون إحدى الأسباب، لكن تربية الفتاة اختلفت كثيرا عما كانت، فمثلا كانت أمي - رحمها الله - تعلمني الاشغال اليدوية، تحضير «المؤونة» من موسم لآخر. كصنع المربيات وصلصة البندورة والكبيس على أنواعه.. لكن اليوم وصل الحد بالمرأة أن تشتري حتى العجينة من السوق وتضعها في الفرن وانتهى الأمر!

* هل علمت بناتك كل ما ورثتيه عن والدتك؟

** حاولت جاهدة، لكن كما قلت لك هذا الجيل مختلف تماما، كل شيء متوفر لديه وعلى قول البعض «شرايته ولا تربايته»، يعني شراء الشيء دون بذل العناء في صنعه.

* أخبرينا عن أيامك، كيف أنشأت أطفالك وكيف كنت تستغلين وقتك؟

** ياسبحان الله! حتى الوقت كان كله بركة، ويعود ذلك إلى الخيرة في البكور حيث كنت أصحو مع صلاة الفجر، أعجن العجين بيدي، ثم أخبزه، وأحضر فطور الصباح للعائلة، وبعد أن أطمئن على خروج زوجي إلى عمله وأولادي إلى مدارسهم، ألتفت إلى طفلي الصغير أرضعه من حليبي، ثم أفكك عنه ثيابه ليلعب قليلا، وعندما يهضم طعامه أعطيه حماما دافئا وإلى النوم.

بعدها أبدأ بتنظيف المنزل وغسيل حفاظات الطفل يدويا، حيث لم يكن على أيامنا حفاظات القطن القابلة للرمي، ثم أطبخ، وكنت أركز على الوجبات الصحية الطازجة، واستقبل عائلتي ظهرا، وأبقى في المنزل ادرس الأولاد، وفي المساء كنت أحيك الصوف أو أقوم بأي عمل مفيد، وأحاول النوم باكرا لأصحو نشيطة في اليوم التالي، يعني كان اهتمامي كله منصبا على عائلتي وكذلك كانت بقية النساء.

وتضيف السيدة فريدة: صحيح انني كنت أذهب إلى السوق من وقت لآخر، لكن لقضاء الحاجيات بالفعل وليس لتبذير المال أو لملء الفراغ كما تفعل امرأة اليوم.

* ألم تكن عندك صديقات؟

** ومازلن عندي حتى الآن، كانت الطيبة والعفوية الصادقة من سمات الصداقة، فلا غيبة ولا تفاخر أو تظاهر، ولا غيرة ولا حسد. كنا كالاخوات في الأفراح والأحزان، تجمعنا المحبة واللقمة الهنيئة..

وإذا ما نظرنا إلى الصداقة العصرية نجدها صداقة مصلحة، فكل امرأة عندها صديقة حميمة أو اثنتين على الأكثر، وكل ذلك يعود إلى عدم توفر السمات التي كانت موجودة على أيامنا.

* بم تنصحين امرأة اليوم؟

** أقول لها عودي إلى الجذور وتخلصي من الشباك التي نصبتيها لنفسك علك تفوزين بحب زوجك ورضى أهلك وأصدقائك.

تطور يقابله تخلف الرجل أيضا اختلف

السيدة «أمينة .ج» من نساء الجيل المخضرم بين القديم والجديد، وهي من أنصار مقولة: «المرأة مكانها البيت»، لكنها توعز التغيير الذي طرأ على حياة المرأة عبر الأزمان إلى التوتر النفسي والأمني والصحي الذي يجتاح العالم، وترى أن التطور التكنولوجي يقابله تخلف عقلي يمكن أن يسلخ الأجيال القادمة عن جذورها.

** إن اللفتة الواضحة في هذه المسألة تعود إلى كون المرأة القديمة تتمتع «بطول البال»، وهدوء الأعصاب، وكانت تحافظ على ضرورة التئام أسرتها حول مائدة الطعام لتناول الصحي منها و«تحسب لزوجها ألف حساب» حيث تجعل منه قدوة لأبنائها، وتجعل هيبته فوق كل هيبة بشرية، كما كانت تدخر مصروفها لمساعدته في الأزمات حتى يبقى رأسه مرفوعا أمام الجميع، يعني كانت تضحيتها لا متناهية قياسا بما يقال عن التضحيات الإنسانية.

وتتساءل: «أين المرأة اليوم من كل ذلك؟ إننا نراها في حالة قلق دائم، تريد السباق مع الرجال لتتبوأ مراكز مثيلة لمراكزهم، خاصة بعد أن نالت الشهادات العلمية العالية وخرجت لمضمار العمل، فلم يعد اهتمامها منصبا على بيتها وأولادها، بل تشعب إلى شعب كثيرة مما أنساها مهمتها الأساسية حتى انقلبت طباعها وانقلبت معها موازين الأسرة وخير دليل على ذلك التفكك الأسرى والفساد وضياع الشباب هذه الأيام».

وتضيف السيدة أمينة قائلة: «لكننا لا نستطيع تفادي دور الرجل أيضا في هذه المسألة، حيث كان الأب يهتم بأسرته ويرعاها ويمشي على الصراط المستقيم كما يقال، وكان يتحمل المسؤولية منذ بداية نشأته، فعندما تزوجت كان عمر زوجي آنذاك ٢٢ سنة وكان حاصلا على شهادة جامعية ويعمل جاهدا لإنشاء أسرة سليمة، لكن هذه الأيام نرى ابن الثلاثين مازال يأخذ مصروفه من أهله، ومازال عقله يعمل بعمر ابن العشرين».

* نرى بعض القساوة في كلامك على النساء والرجال والجيل الصاعد، لأن الجميع يتعلم ويكافح، وعمل المرأة ضروري، خاصة بعد أن اثبتت جدارتها في أكثر من ميدان بالإضافة إلى مساندة الزوج لمجابهة صعوبة الحياة.. فهل برأيك لو أن المرأة عادت إلى بيتها وتركت عملها، يمكن للمشكلة أن تحل؟

** لا شك أن الغلاء وصعوبة الحياة يتطلبان المشاركة في الإنتاج، فالمرأة التي ترى أن الراتب الذي تقبضه سوف يساعد زوجها دون أن يكون ذلك على حساب تربية أولادها، يمكنها الاستمرار في عملها، أما بالنسبة للمرأة التي تعمل لمجرد التسلية والهروب من المنزل، فأنصحها بالعودة إلى بيتها لاحتضان أطفالها واستقبال زوجها بالكلمة الحلوة والطاعة السموحة تيمنا بعادات أمها وجدتها.

ويمكن بذلك أن تحل مشكلة بطالة يعاني منها رب أسرة حيث

امرأة اليوم هل تنصف نفسها؟!

يمكن ان يكـون مـوظفا مكـانها ويحتـاج للراتب لإطعـام عائلـة بأكملها».

تنمية التوجهات هي الأساس

أمـا السيدة «نـاهـد ع» فإنها تلقي بالمسؤولية الكاملة على الأم خـاصـة في تربيـة ابنتهـا حيث تقـول: «أحيانـا نرى أن الفتـاة موهوبة وعندها طاقة قوية لتعلم أي شيء جـديـد والاعتماد على نفسها في أمور كثيرة، لكن خوف الأم عليهـا أو ربما تماديها في تـدليل ابنتهـا قـد يغير من شخصيتهـا وبالتـالي يقضي على اندفاعها لتقع فريسة الضياع».

وتضيف : «لا يمكننـا إلقـاء اللـوم على الفتاة بل على التربية التي تلقتهـا، ولا يمكننـا الجزم بأن أمهات الامس كلهن جيدات وأمهات اليـوم كلهن جـاهلات، ففي كـل عصر نجـد الأفضل والأسوأ..

بالنسبة لي عندي ابنة واحدة، كـان يمكن أن تأخـذ كل الـدلال والرخـاء، لكن والحمدللـه عملت على تحميلهـا المسؤولية منـذ الصغـر وكنت أعـاملهـا كفتـاة ناضجة عليها واجبات، وعندما لمست استعـدادها التـام للتعلم، واظبت على مـواكبتها وإفسـاح المجال أمـامهـا لتكـوين شخصيتهـا على أكمل وجـه، واستطيع القول بـأنها قد تبنت الكثير من العـادات والمبادىء التي ورثتها أنا نفسي عن والدتي وجداتي..».

* لو كانت ابنتك ذات عقلية مختلفـة عما هي عليـه لوجـدت صعوبة في جعل شخصيتها على النحو الذي تريدين؟

** بالطبع، ففي هذه الحالة سيــذهب كل تعبي سـدى، فأحيانا نجد أن الأم تفني حياتها في تـربية بنـاتها كما تريد دون جدوى، وعلى العكس فإننـا نرى بأن هنـاك بعـض الأمهـات لا يعطين بنـاتهن الـوقت والـدافع لتكوين شخصيتهن التي يجب أن يكن عليها، ممـا يجبرهن على التـوجه إلى الأقـارب أو الجيران لصقل مواهبهن.

* يعني يمكننا الجزم من خـلال حـديثك بأن العصر هـو الذي تغير نسبة لما طرأ عليه من تطورات ساهمت إلى حد بعيد في تسهيل أمـور المرأة، وبأن المرأة لم تتغير طـالما أنها تحمـل بالوراثة منهج جداتها؟

** هـذا صحيح ، ويمكننا التماسه أيام الأزمات، فمثـلا في فترة الحروب تـرجـع دواليب الحيـاة إلى الـــوراء فتنقطع الكهربـاء والماء، وينعدم أحيـانا وجود اتفه مستلـزمات الحياة.. وهنـا نستطيع أن نعـرف مـدى قـدرة المرأة على تحمل الصعـاب والـوقوف مـع زوجها جنبـا إلى جنب، وفي اعتقـادي ان السـواد الأعظم من النساء سوف ينسين الرفـاهية ويقمن بـالواجب حتى ولـو تطلب ذلـك منهن مجهـودا مضاعفـا نسبة لعـدم اعتيادهن على هذا النمط الجديد من الحياة.

امرأة اليوم محظوظة

عدنـا مـع السيدة «أم بدر ع.» إلى أيام العشرينـات لتتحدث عن هـذه المرحلة وكأنها كـانت فترة استعباد للمرأة، حيث اعتبرت أن صباها قد هدر ظلما، وبأن امرأة اليوم محظوظـة جدا لأنها تتمتع بحياتها على أكمل وجه من تعليم وسفـر وحرية في انتقاء الـزوج وإبداء الرأي وكل الأمور الأخرى التي صـارت طبيعيـة بالنسبـة للجميع.

** كانت حياة المرأة بيتها فقط، وكـان الـزوج يتركها عنـد أهلـه عدة شهـور عنـدما كـان يسافر للغوص، أو للتجارة ولا تعرف عنـه شيئا، وكـان يتركها عروسا وليعـود ليجد على يديها طفلهما الأول. أمـا اليوم فـالمرأة تسافر وحدها وتترك الأولاد عند زوجها، كل شيء أصبح عاديا.

والفتاة نـالت قسطا كبيرا من التعليـم وأصبحت طبيبـــــة ومحاميـة وسفيرة ونائبة، لكن على أيامنا كنا نذهب إلى الشيخة لتعلم القـرآن الكـريم، والتي تختمه ترتدي فستانا كالعروس ويـدور بها أهلهـا على الأقـارب والجيران فتأخذ منهم القرقيعان والهدايا البسيطة وهذا أقصى ما يمكن أن تعـرفـه أو بـالأحـرى تعيشه.

وتضيف: الفتاة اليوم صاحبة القـرار في الـــزواج، وليس لـولي أمرهـا أن يجبرها عليه وهـذا ما نص عليـه ديننـا الحنيف، لكن على أيامنا لم تكن الفتاة تعرف انها مخطوبة، حيث يعقد قرانها غيـابيا ويقـال لها قبل العـرس بساعات اليـوم سوف تزفين إلى فلان ولا تراه إلا في العرس. حتى جهازها كان يحضر غيابيا، حيث كان الأهل يأخـذون فستانا من عنـدها ويخيطـون الجهـاز على قياسه دون أن تـدري بذلك. من قبل لم يكن يعرف ان فلانا عنده بنات مـن كثرة مـا كان يمارس عليهن من ضغوطات فلا خروج ولا وقوف حتى على عتبة المنزل.

* إنك تركزين على الانفتاح الذي تشهده المرأة لكن، ما رأيك في التأثير الذي أحدثه في حياتها؟

** كل ما أود قوله هو أن المرأة كانت مظلومة لكنها راضية لأنه لم يكـن بيدهـا حيلة، والآن أصبحت إنسـانـة مثلهـا مثل الـرجل وقـد اثبتت جدارتها في ميادين شتى لكنها بدأت تخرج من الإطار المحدد لها لتعتدي على مكانـة الرجل وتسيء بـالتالي إلى رسالتها التي خلقها الله لتأديتها وهـذا مـا يمكن الوقـوف عنـده لتنبيهها إلى أن الأجيـال القادمـة أمـانـة في رقبتهـا، فإن صلحت صلحت باقي أعمالها.

إنني مظلومة

السيدة هيام محمد من نساء هذا الجيل، لكنها تشعر بأنها من «ستـات أيـام زمـان»، لأنها تزوجت صغيرة ولم تنل القسط الـوافي من العلم، وحياتها بيتهـا وأولادهـا وزوجها فقط: أشعـر بأنني مظلـومـة من بين نسـاء جيلي لأنني لا أملك القـرار في أي شيء حتى في تربيـة أولادي حيث يستلم زوجي هذه المهمة ويقول لي أنت «ابقي على جنب»، هكـذا تـربيت وهكـذا أريـد أن أربي أولادي.

* ماهي الصورة التي تريدين أن تكوني عليها؟

** امرأة اليوم غير نافعة، ٢٤ ساعة خـارج المنزل إذا صح الكلام، أقصد أنها حرة التصرف تشتري ما تـريد وتأكل ماتـريد وليس لأحد حـق التسلط عليها، وأنا لا أريد أن أكون مثلها بل ان أنال بعض مـا عندهـا من قوة في الشخصية على الأقل داخل بيتي.

الصراحة فضيلة

صحيح ان كل النساء اللواتي

تحدثن حول هذا الموضوع يرجحن كفة امرأة الأمس، مثنيات على الدور المقدس الذي كانت تقوم به، مع إعطاء التبريرات المستجدة والتي أدت إلى تغير طباع وشخصية امرأة اليوم، إلا أن السيدة «إقبال س.» ترفض التحدث عن المرأة بشكل عام لأنها لا تستطيع فهم أغوار كل النساء، وارتأت تصنيف نفسها بينهن على صورة محاكمة ضميرية، معتبرة كلامها فضيلة لأنه اعتراف بخطأ تحاول الخروج منه لكن لا تدري متى!

«اعترف بكل صراحة أنني إمرأة تنقصني الشجاعة للتخلص من خصال لا أحبها في المرأة بشكل عام».

وتضيف: «كانت المرأة بركة المنزل والزوج والأولاد، وأنا أجد ذاتي بعيدة عن ذلك لأنني بعيدة عن منزلي بسبب عملي خارجه، واتكل في كل أمور البيت على الخدم مع أن زوجي يحب حضوري وخاصة لتحضير وجبات الطعام له وللأولاد. وقد حاولت مرارا أن ألبى طلبه لكن عادتي القديمة تغلبني، وأصبح وجود الخادمة عندي إدمان لا مفر منه، وعلي «قولتهم: من كيس كيالها».

* هل تشعرين أنك تتعبين زوجك؟

** «جدا» فهو من الصابرين لأن اهتمامي منصب على التفكير في نفسي، ودائما أقول له لماذا فلانه عندها كذا وأنا ينقصني ذلك مع أنها ليست أفضل مني في شيء ودائما عندي طلبات لا اقنع بالقليل ولا بالكثير.

* الا ينعكس ذلك على تربية أبنائك؟

** أحاول قدر استطاعتي إبعادهم عن هذه الخصال السيئة، وأزرع فيهم القناعة والرضى على ما قسمه الله، لأنني أدرك تماما أنهم لو أخذوا صفاتي لتعذبوا في حياتهم كما أتعذب الآن.

* لماذا لا تحاولين تعديل مسار حياتك الزوجية والعودة إلى الصفات الحميدة التي كانت تتحلى بها نساء الأمس؟

** لقد توفيت أمي منذ صغري ولم أجد من يغرس عندي الأصالة، لكنني تعلمت من خالتي والدة زوجي الصبر والاستعانة بالله في كل أموري، وأنا أضعها في مرتبة والدتي، وقد عاهدت نفسي أن أسلم لها أمري بعد الله علها تهدىء من ثورتي وترشدني إلى الطريق الصواب لأن المثل يقول: «من ليس له كبير ليس له تدبير».

إنها امرأة اليوم، دعوناها للشهادة في محكمة تطالب فيها امرأة الامس ردا لاعتبارها المفقود!

* ما هي أولى الخطوات التي تنوين القيام بها؟

** أن أقوم بتوبيخ نفسي كلما أسأت التصرف مع التعهد بعدم تكرار ذلك، وأنصح كل امرأة ترى نفسها في خصالي أن تحذو حذوي وذلك بأن تنفض كل ما يمكن أن يسيء إلى أنوثتها ويخل بمكانتها، وينسيها بالتالي رسالتها في هذه الدنيا.

وتضيف السيدة إقبال: إن المرأة التي تقف لزوجها ندا وتتشبث بعنادها ظنا منها انها صاحبة القرار والتحدي، قد تودي بحياتها الزوجية للهلاك، لأنه في النهاية يجب أن تكون السيادة بيد الرجل إذا كان على قدر المسؤولية وياليتني أفعل ما أقول.

أحسد امرأة الأمس

«نستطيع أن نصف امرأة اليوم بالمرأة الحديدية، إنها المسؤولة عن كل شيء، فقد خففت كثيرا من مهام الرجل، عكس المرأة القديمة التي لم تكن مطالبة إلا بالمكوث في المنزل لتحضير الطعام وتربية الأولاد».

هكذا ترى السيدة (رندة م.) الفرق بين امرأة الماضي وامرأة الحاضر وتعلل كلامها هذا بالتحدث عن نفسها قائلة:

«زوجي لا يعترف بشيء اسمه مسؤولية الرجل، فهو إنسان يحب الرفاهية الذاتية وإلقاء الثقل على كاهلي. إنني المسؤولة الوحيد عن البيت وتربية الأطفال وشراء الأغراض من السوق وأخذ الأولاد إلى الطبيب، وحتى حضور الاجتماعات المدرسية والتسجيل فيها. هذا فضلا عن أمور أخرى أساسية وثانوية، مع أنني موظفة أعمل نصف دوام، والحقيقة انني لا أجد الوقت الكافي لممارسة أي نشاط شخصي، كل همي عملي ومنزلي والأولاد، وزوجي يخرج إلى عمله في الصباح ويعود ظهرا ليتناول غداءه ثم يأخذ قيلولة «طويلة» وفي المساء يذهب إلى الديوانية وياليته راض عني بل غالبا ما يوبخني لو قصرت بمهامي و يقول لي «أين أنت من أمهاتنا.. عندك خادمة وسيارة وتتذمرين»؟

إنني أحسد أمهات «أيام زمان» فبالرغم من صعوبة معيشتهن إلا أنهن كن محدودات المهام ولا يتعرضن لضغوطات العصر وأيضا كانت تربية الأبناء أسهل من هذه الأيام لأن الطفل كان يقنع بثياب وألعاب أشقائه أما طفل اليوم فيريد السيارة قبل زجاجة الحليب وحقيبة المدرسة.

وأخيرا اتمنى لو أنال بعضا من الراحة وهدوء البال الذي كان يسود حياة امرأة «أيام زمان».

التغيير عمومي

وللرجال رأيهم أيضا في هذا الموضوع، فمنهم من أثنى على التغيير الذي طرأ على حياة المرأة لأنها تعلمت وتفتحت، وأصبحت واعية لبيتها وأولادها مع دعوتها للرجوع إلى العادات والطباع الجميلة، والتحلي بالصبر والأخلاق التي جبلها عليها الله، لتكون سكنا حقيقيا للرجل.

ومنهم من يرى أن رياح التغيير قد عصفت بكل شيء حتى الرجل والأولاد، وهذا بطبيعته سوف ينعكس على حياة المرأة فضلا عن الانفتاح الإعلامي الذي يشهده العالم والتطور الفكري والعلمي، لكن تبقى هناك لمسات يجب علينا المحافظة على حلاوتها وبهائها، ولنورثها لأجيالنا القادمة لأنها تحمل كل الخير والبركة على حد قولهم!

ومهما طال الحديث حول هذا الموضوع، يبقى الشعب سيد الموقف، لأن الآراء تتضارب وتتفرع من امرأة لأخرى، إلا أن الرأي السائد لدى معظم اللواتي تحدثنا معهن هو «ترجيح كفة» طبيعة المرأة القديمة بكل ما تحويه من أصالة وبركة. لكن لا يمكن لأحد الجزم في هذا الشأن لأن الانقلاب الذي يشهده العالم اليوم لم يرحم حتى الحيوان والنبات فكيف الحال بالنسبة للبشر؟ ■

المصلحة العامة في مذهب مالك بن أنس

من المعلـــوم أن أصحـــاب المذاهب في تشريعهم لايتحـــدون جميعا على الأسس التي بنوا عليها تشريعاتهم، فبينما نرى صاحب مذهب يعتمد كل الاعتماد على ماورد في الكتاب والسنة ولايعير لغيرهما كثيرا من الإصغاء نرى آخر يعتمد عليهما ولكنه يحتكم الى الاستنتاج العقلي بجانبهما ولربما حكم عقله حتى فيما ورد في المشكلة الفقهية من مأثور السنة أو نص الكتاب.

■ ليس الاعتماد على العقل مخلوقا للمعتزلة في المسلمين وانما نجده مبكرا في بعض المسائل عند الصحابة

بقلــم: راجـــي مليكـــة*

وبين النوع الأول والثاني تتفاوت الأنظار في الأخذ بأحد الاساسين: النصوص، الرأي.

واذا أردنا أن نضع خطا بيانيا يمثل لنا طوائف أصحاب المذاهب المشهورة وموضعهم العمومي من الطرفين فإننا نستطيع، مبتدئين بالنصوص ومنتهين بالرأي، أن نضع في أول الخط:

- المذهب الظاهري.
- المذهب المالكي.
- المذهب الشافعي.
- المذهب الحنفي.

خصائص مذهب الامام مالك

وبناء على هذا الخط البياني فإننا نجد مالكا وسطا بين اصحاب المذاهب المشهورة في الأخذ بوجهتي نظر مختلفتين. وهذا الوضع الذي وضعناه فيه إنما هو باعتبار العموم وليس هو بهذا الموضع في كل نظراته التشريعية كما سنرى فيما بعد في هذه المسألة بالذات: مسألة المصلحة العامة، أو مسألة «المصالح المرسلة» أو «الاصطلاح» كما يسميها أصحاب المذهب.

ولنقف الآن عند مذهب مالك والخطوط التي ارتسمها فيه حتى نكون على بينة في دراستنا لموضوع المسألة التى عنون بها البحث.

إمامنا مالك بن انس في منحاه الاجتهادي لايشترط في الحديث الذي يأخذ به ماشترطه أبو حنيفة من الشهرة وغيرها بل يعمل به حتى ولو كان خبر الواحد إذا ماصح عنده أو حسن مع التزام التحري الشديد في الحديث الذي يعتمده فهو مثلا لايأخذ الحديث من سفيه أو من داع إلى بدعته أو من كاذب في حديثه العادي مع الناس بل هو لايأخذ الحديث حتى من شيخ قد اتصف بالفضل والصلاح والعبادة ولكنه لايعرف مايحمل ومايحدث به معرفة تامة.

فمالك كما نرى لايتساهل في رواية الحديث والعمل على مقتضاه، حتى يخلو من تلك الشبهات التي يتعرض إليها من جراء الرواة السالف ذكرهم، فاذا توفرت تلك الشروط فإنه في داخل نطاقها يتوسع توسعا لاينتهي إليه أبو حنيفة وإلى جانب الأخذ بهذه الأحاديث فإن مالكا يعتمد كذلك على عمل أهل المدينة ملاحظا فيهم أنهم سكان دار الهجرة النبوية ومهبط جل القرآن المتعلق بالاحكام فهم لهذا الاعتبار افقه الناس بالسنة واعلمهم بأحوالها وماتعرضت إليه من النسخ في بعضها ببعضها الآخر فأهل المدينة اذا اتفقوا على مسألة وعمل بها علماؤهم على اتفاق فيما بينهم فعملهم هذا حجة يقدم على القياس بل انه يقدم حتى على الحديث الصحيح لانهم بصفتهم التى كانت لهم أدرى الناس بالاحاديث واعمال النبي عليه الصلاةو السلام من غيرهم.

هذا اذا كان العلماء قد اجمعوا على قضية ما – كما سبق – وعملوا على وفقها. اما إذا لم يقع منهم إجماع ولو بخروج الأقلية منهم عن الأكثرية فإن عملهم حجة ولكنها لاتقدم إلا على خبر الواحد في رواية الحديث ويتقدم عليها الحديث الذي روي من عدة رواة ذلك انه ينزل عمل أهل المدينة منزلة الرواية، فعمل الأكثرية بمنزلة رواية الأكثر، فإذا جاء خبر واحد يخالفهم وهم كثرة فلامناص أن هذا الخبر على صحته منسوخ كما هو واضح بين.

على أننا إذا قلنا بعمل أهل المدينة وإجماعهم فعلينا ان نفرق في هذا الإجماع بين الأعمال

*رئيسة جامعة محمد الخامس بالمغرب

النقلية التي رووها من أقوال النبي عليه الصلاة والسلام أو افعاله والاعمال الاجتهادية التي ليست فيها رواية ولانقل. وإنما هي اجتهاد – من علماء المدينة – اتحدوا فيه وحصل منهم اجماع عليه فالإجماع الذي حصل منهم على النقل حكمه ماسلف اما الاجماع الذي حدث منهم في الاجتهاد فهذا اختلف أهل المذهب فيه فمنهم من يتخذه حجة ويعمل به عمله بالنوع الآخر حيث إنه يرى ان هذا الاجماع منهم على هذا الاجتهاد لم يكن إلا لأن مؤهلات الاجتهاد واسسه كانت قائمة على ما توفرت فيه الشروط في المنقولات ومنهم من يرى غير هذا وان للقوم عقولا اجتهدوا بها ولنا عقول كذلك يمكن ان نجتهد بها ولايلزمنا اجتهادهم.

ومن مسالك التشريع عند مالك العمل بقول الصحابي اذا كان ذا مكانة ممتازة ولو لم يكن من اهل المدينة وذلك كالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ولكن مالكا لايلجأ إلى عمل هؤلاء الأعلام من الصحابة الا اذا لم يرد في المسألة نص.

هكذا نجد مالكا مقيدا بالنصوص سواء الواردة منها عن النبي عليه الصلاة والسلام أو عن اكابر الصحابة ثم هو الى جانب ذلك مقيد كذلك بعمل أهل المدينة على الاعتبارات والدرجات التي تقدمت ولم تذكر من بين النصوص نصوص القرآن لأن هذه لايختلف فيها مذهب عن مذهب الا باعتبار الاخذ بالظاهر أو التأويل في فهم النص أو الاطلاع على النسخ فيه.

أذن فمالك من هؤلاء الذين يقفون عند «حرفية القانون» ولكنها وقفة طويلة متزنة يؤيدها المنطق الحصيف والرأي السديد وليست وقفة داود الظاهري ولاوقفة احمد بن حنبل فهو في الحقيقة لم ير تقليد هؤلاء فيما رووه أو رأوه لمجرد كونهم رووه ورأوه ولكنه يرى طبيعة الأشياء تفرض عليه هذه الوقفة: مثلا إذا اعتمد على عمل أهل المدينة فإنما ذلك الاعتماد قائم على تحفظه الشديد وتحريه أن يصيب الهدف في أحكامه الشرعية. وكل منصف يؤيده في هذا الاتجاه إذا ماراعى مكانة أهل المدينة ومقدار اتصالهم بصاحب الشريعة ومداخلتهم إياه مداخلة المكان والزمان.

ولهذا فمالك ليس – تماما – كما يفهم من وصفه بأنه يتبع حرفية القانون وانما هو يعمل في الغالب بروح القانون لا بحرفيته. اذا أمعنا النظر فهو في وقفته عند النصوص يتصرف بعقله تصرف القانوني المخلص لروح القانون والمتزن في أحكامه وعلى أساس هذا التصرف وعلى إدراك هذه الروح في القانون يخرج لنا مالك مصدرا هاما من مصادر التشريع المالكي أو الإسلامي عموما هذا المصدر الهام هو «المصالح المرسلة» أو المصالح العامة كما نسميها فهذه المصالح التي كانت النظرة عميقة فيها تؤهل الفقيه المالكي أن يكون له إدراك متسع الأفق ولباقة قانونية، بل تفضي به إلى أن يقف في مصاف المجتهدين ولكن نصوص القوانين ليست كافية أن تخرج لنا رجال القوانين.

إن فقه مالك أخرج لنا الشافعي نعم! اخرج الشافعي لأن شخصية الشافعي القوية ومؤهلاته العديدة استطاعت أن تتبلور بتلك الثقافة وأن تبدو للناس بمظهر الخلق والابتداع.

لو استمر العمل حسب ما تمليه – المصالح المرسلة – بين أصحاب مالك لكان فقه مالك أغنى فقه في الإسلام ولكن العمل لم يستمر وبقيت مسألة الاستصلاح أو المصالح مسألة تاريخية عرفت عند مالك ولم يجر بها العمل الا في بيئة دون بيئة وفي مسألة دون أخرى ثم هي مع هذا كله تتعثر في سيرها وتتجاذبها الأيدي حتى من أصحاب المذهب أنفسهم.

المصالح المرسلة

ولعل القارىء يصيح: ما هذه «المصالح المرسلة» حتى تكون بهذه المثابة؟!

«المصالح المرسلة» مسألة لها اتصال وثيق بما عرف عند الحنفية بمسألة «الاستحسان» لهذا نرى لزاما علينا أن نتعرض لهذه المسألة أولا بشرح وجيز ثم ننتقل الى مسألتنا هذه.

مسألة الاستحسان قائمة على الاعتبار الاعتزالي القائم على التحسين والتقبيح العقليين عند التشريع والمعتزلة عرفوا بين الناس بأنهم يحتكمون الى العقل كما قال فيهم ابن السبكي في جمع الجوامع «وحكمت المعتزلة العقل» ونظريتهم هذه تدور على ان في الأفعال نفسها التي تتعلق بها الأحكام صفات من حسن يحبذه العقل أو قبح يتجانف عنه. فعلى هذين الأساسين قام التحليل والتحريم فكل حكم معقول المعنى ولامقابل وكل مسألة محللة لابد ان يلتمس لها وجه من الحسن، وكل مسألة محرمة لامناص لنا ان نلتمس صفة من القبح.

فالتحسين والتقبيح كما ترى لايقومان على النقل اول ما يقومان وانما النقل نفسه يقوم عليهما والا لما كان هناك وجه لذلك التحليل وهذا التحريم فلو لم يوجد الشارع لكان العقل السليم وحده كافيا في ان يستحسن ما حلله الشارع وأن يستقبح ما حرمه بالاحكام الشرعية خاضعة إلى سلطان العقل مهتدية بالنور الذي وضعه الله فيه بالحسن والقبح كلاهما محور يدور عليه التشريع الإسلامي فالاحكام تدور على العلة وجودا وعدماً كما يقول الفقهاء خذ مثلا الصدق والكذب فما من عقل سليم ينكر مافي الكذب من مضرة وهلاك فالقيمة الخلقية فيهما ذاتية عقلية والا لما كان الشارع حلل الأول وحرم الثاني.

وإذا فالمعتزلة يخالفون الواقفين عند الأوامر والنواهي لالشيء إلا لأنها أوامر ونواه وردت عن الشارع ولكنهم يتعقلون ما في الأوامر من مصلحة يفرضها العقل وما في النواهي من مضرة يحذر منها العقل فالنظرة العقلية والاستجابة إلى مايفرضه العقل هي التي جعلت في القرآن والسنة ناسخا ومنسوخا لأن النظرة العقلية إلى طبيعة الأشياء وتطورالحيثيات هي التي رفعت ذلك الحكم وأقامت هذا، فالعلة مثلا في تحريم زيارة القبور ارتفعت لرجحان علة أخرى ذكرها الشارع فقال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الدار الآخرة».

والعلة في القصاص ذكرها القرآن فقال: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ [البقرة/١٧٩] والعلة في تحريم الخمر والميسر ذكرها الله فقال: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ [المائدة/٩١].

وهكذا نجد الكتاب والسنة في كثير من المحللات والمحرمات يبينان لنا وجه التحليل في ذلك على أساس عقلي كما يبينان لنا وجه التحريم في هذا على أساس العقل كذلك فالمعتزلة إذن لم يحكموا العقل من غير مايكون لهم مستند في هذا التحكيم بل المعتزلة في الحقيقة يصح أن نعدهم في طبقة التجريبيين من الفلاسفة ولا نعدهم في طبقات العقليين بكل دقة، المعتزلة يحتكمون إلى العقل بعد الاستقراء وما تاريخ قدمائهم وفطاحلهم وما الإمعان في صنيعهم إلا مؤيد لهذه القولة ويكفي دليلا على هذا «النظام» وتلميذه

المصلحة العامة في مذهب مالك بن أنس

«الجاحظ». إذاً هم في مسألة التحسين والتقبيح لم يبتدعوا فيها ولم يقتحموا خطوطا كانت محظورة أو مبهمة من الشارع وإنما اخذوا بمبدئه في تبيين العلل وزادوا أو استمروا في هذا الخط في التماس العلل للأحكام وتوسعوا في ذلك توسعا لايحده إلا حدود العقل الطليق المتصرف تصرفا حكيما رشيدا وفي القرآن الكريم في حق الدين: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ [الروم/٣٠] وفي حق المهملين لعقولهم تنديد عليهم في مثل قوله: ﴿أولو كان أباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون﴾ [المائدة/١٠٤] وفيه حض على الاستقراء وبناء الحكم العقلي عليه في قوله تعالى: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وماخلق الله من شيء﴾ [الاعراف/١٨٥]. جعل القرآن إكراه العاقلين على اتباع الحق غير الإكراه في قوله تعالى:﴿لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ﴾ [البقرة/٢٥٦] فحيث تبين الرشد من الغي بطريق التفكير العقلي فلا إكراه على الحقيقة.

القول بالحُسْن والقبح

المهم أن الحنفية وعلى رأسهم إمامهم أخذوا بمبدأ التحسين والتقبيح وارتكنوا على الرأي والعقل بفطرته السلمية التى تستطيع أن تدرك ما في الشيء من صفات حسن فتتبعها ومن صفات قبح فتتنكب عنها وان الانسان لو لم تبلغه دعوة من رسول مرسل فلا عذر له في الجهل وفي إهمال هذه القوة التي اودعها الله فيه ليدرك بها الصالح والسيء وهو من أجل هذا ملزم بفعل الحسنات وترك السيئات ولأمر ما كان الصبي ومن لاعقل له غير مكلف لانه فاقد لتلك الاداة التى يدرك بها القبيح من الحسن.

وفي الحقيقة ليس الاعتماد على العقل مخلوقا للمعتزلة في المسلمين وانما نجده مبكرا في بعض المسائل عند الصحابة كعمر مثلا ثم نجده قد التزمه بعض فقهاء المدينة فيما بعد مثل «ربيعة الرأي» الذي لكثرة اعتماده على الراي اضيف اليه فقيل «ربيعةالرأي» وهو احد المؤسسين للمدرسة التي تخرج منها مالك بن أنس وقد تردد على العراق موطن الراي وتوفى سنة ١٣٦هـ. على اننا لانجعل الحدود فاصلة بين العقليين والنقليين وانما نقول ان العقليين لايهملون العقل وانما يؤيدونه بالنقل ففرق بين اولئك وهؤلاء، ان اولئك ينظرون إلى السر العقلي في المسألة المنصوص عليها ويقيسون على ذلك السر وتلك العلة، وهؤلاء ينظرون الى المسألة التي نص الشارع على تحليلها وتحريمها ويقيسون عليها والأولون يبنون على الكلي المبني على القضية العقلية في جزئية من الجزئيات والآخرون ينظرون الى الجزئية الوارد فيها الحكم ويبنون عليها ويجعلونها المبدأ فيقيسون عليها ماكان شبيها بها. فالكل متصرف بعقله فيما بعد ولكن تصرف الاول كان في حدود اوسع وفي نطاق اشمل لأنه خرج من الجزئي الى الكلي بينما الآخرون يتصرفون بعقولهم ولكن تصرفهم لايتعدى حدودا ضيقة تحوم حول المسألة التي نص عليها الشارع.

ولانريد ان نتوسع فيما راج بين هؤلاء وخصومهم وكل مانريد ان ننبه عليه هو ان أصحاب الرأي فيما بعد وجدنا من بينهم من توسط في المسألة حيث إنهم قسموا الأحكام إلى قسمين: أحكام تتعلق بأمور العبادات فلسنا ملزمين لأن نلتمس لها تحسينا أو تقبيحا عقليين. وأحكام تتعلق بشؤون الدنيا فلابد للعقل أن يقول كلمته فيها وهي نظرة قيمة تجعلنا ننظر إلى سير الحياة في خطوطها الطويلة سيرا سريعا متبصرا ونشرف فيها على آفاق بعيدة المدى.

هذه هي مسألة الاستحسان. أما مسألة المصالح المرسلة فما هي؟

المصالح المرسلة

المصالح المرسلة هي ماتسمى الآن بالمصالح العامة وهي مسألة – كما تقدم – قال بها مالك وظلت في مذهبه يعمل بها في حدود ضيقة إلى العصر الذي خبا فيه ضوء العقل وتحجرت المدارك ولم نعد نجد لها ظلا شاخصا إلا في بعض الجزئيات التي حتمتها الضروريات القاسية وقلما تظفر بها وهي في الحقيقة ليست – كما يدعي – مصدرا زائدا على مصادر التشريع الأول: «الكتاب والسنة والاجماع والقياس». وانما هي مستخرجة من نفس المصادر الاربعة فلابد أن ننظر فيها بعيون جديدة النظر غير زائغة البصر. هذه المصالح تقوم على تقديم الصالح العام على الصالح الخاص اذا تعارضا وعلى ارتكاب اخف الضررين لو اجتمعا ولو كان بجانب كل واحد نص يؤيده او ينهى عنه. ذلك أن اصحاب المصالح المرسلة نظروا إلى لب الشريعة والغرض الأساسي منها فانتهوا الى هذه الكليات الخمسة التي بنى الشارع عليها أحكامه وهي كليات استقرءوها فوجدوها خمسة أمور: «حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال». فلو استعرضنا أمور الشرع ونواهيه لما وجدناها تتعدى هذه الأسس الخمسة، وعلى هذا فاذا نظرنا إلى أية مسألة وأردنا أن نصدر فيها حكما لم ينص عليه فإننا يلزمنا ان ننظر إلى نتائجها وإلى ماسيترتب عليها من مصالح أو مضار فندقق في هذه النظرة ونقدر كل النتائج ونوازن فيما بينها إن تواردت أو تعارضت مستعينين في ذلك بمسار العقل وبالمقاصد الشرعية التي هدفت إليها الشريعة فاذا ما انتهينا من ذلك كله فلايبقى علينا إلا أن نصدر الحكم اعتمادا على المصالح والمفاسد أو الصالح والأصلح والفاسد والأفسد عند التعارض.

من مسائل المصالح المرسلة

خذ مثلا مسألة اتى بها صاحب المصلحة المرسلة: لو تترس العدو بجماعة من أسرى المسلمين وقعوا في يده هل نقاتل العدو ويكون في قتالنا له قتل الاسرى المسلمين الذين تترس بهم العدو أم نترك العدو خوفا من أن نصيب مسلما ونزهق روحا بريئة؟

هنا تعارضت المصلحتان كما تعارض النصان العدو يأمرنا الدين بقتاله:﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا﴾ [البقرة/ ١٩٠] والمسلم ينهانا الدين عن قتله ضمن قوله: ﴿ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ [الأنعام /١٥١] فماذا نصنع؟

لننظر إلى المصلحة ولنقدر المضرة. المصلحة العامة تقضي بقتل العدو والمصلحة الخاصة تقضي بعدم قتاله ابقاء على الأسرى المسلمين: المضرة في عدم قتال العدو عامة فهي مضرة ثقيلة والمضرة في قتاله تنال جماعة الأسرى ولكنها مضرة خفيفة اذن فليرتكب اخف الضررين لأننا لو لم نرتكب أخف الضررين لمكنا العدو من الفرصة ولغلب علينا فلا نستطيع بذلك أن نحفظ مقاصد الشرع أو بعضها من نحو الدين والنفس والمال مما وجدنا الشرع حريصا على حفظه.

وهناك مثال آخر أتى به مالك في مسألة الضرب. فالتهمة عند الاستنطاق بالسرقة مثلا: المصلحة العامة تقضي بهذا الضرب او الحبس.

والمصلحة الخاصة لاتقضي به: المصلحة العامة هو اننا بهذه الوسيلة نستطيع ان نتوصل إلى حسم هذا الفساد الذي حل بالمجتمع من ضياع أمواله وتعريضها للهلاك فعلينا أن نستعمل الوسائل التي نستطيع بها أن نطمئن الناس على أموالهم وأن نجعلها في الحفظ الذي هو مقصد من مقاصد الشريعة والمصلحة الخاصة أن لانوقع أذى بذلك المتهم لأنه لربما كان بريئا فنظلمه: ﴿والله لايحب الظالمين﴾ [آل عمران/٥٧]. والمضرة العامة في ترك المتهم وهي مضرة ثقيلة والمضرة الخاصة في ضربه أو سجنه وهي مضرة خفيفة إذن فلنرتكب أخف الضررين وهو الضرب أو الحبس أو ما إلى ذلك من العقوبات، والشرع إنما يقدر الكلي ويهمل الجزئي. وهكذا أتى مالك وأصحابه بأمثلة للمصلحة العامة. ثم عرضت لأتباعه فيما بعد مسائل من هذا القبيل فوجدنا منهم من يجيب فيها بناء على قانون المصلحة المرسلة ومنهم من يتوقف فيها أو يعارضها، لا من ناحية المبدأ ولكن من ناحية الاتجاه حتى مات العمل بالمصالح العامة أو كاد. ولم يلتفت إليه الا تحت ضغط السلطان فيما تحدث من مشاكل تجابه الدولة مثل فرضه الخراج على الرعية والضرائب وما الى ذلك. والمواقف فيها كانت عنيفة سواء في الاندلس أم في المغرب إلى زمن يسير.

وبهذه المصلحة المرسلة لا تجدها وليدة لمالك كما لانجد مذهب الرأي وليدا لأبي حنيفة وانما نجد لها بذورا في عهد الصحابة كما في مسألة حد الشارب اربعين أو ثمانين وقد كانت على عهد النبوة ضربا بأطراف الثياب أو النعال كما حدث في أيام عمر من مسائل نزع الملكية ممن امتنع عن بيع داره لهدمها في سبيل المصلحة العامة بل اننا نجدها حتى في بعض الاحكام التي نص عليها القرآن الكريم ووجد فيها كثير من القساوة ولكن المصلحة العامة كانت تقتضيها من مثل حد الزاني لأن فيه حفظا للنسل وصونا من الفوضى الاجتماعية ووعيا لكيان التربية العامة.

موقف الإمام الشافعي من المصلحة المرسلة

وإذا كنا نفاجأ بشيء في العمل بالمصلحة المرسلة فإننا نفاجأ بمعارضة الشافعي فيها كما نفاجأ بمعارضته في التحسين والتقبيح.

فهذا الشافعي المتحرر من كثير من القيود والمرن في تشريعه والمتمعن في احكامه حتى انه كان المتفرد من اصحاب المذاهب بتغيير مذهبه وجعله مذهبين في الحقيقة لامذهبا واحدا استجابة للظروف ومرونة مع ماتقتضيه الأحوال وتستدعيه البيء المختلفة حيث كان له مذهب في العراق وآخر في مصر ولو أن الزمان كان قد امتد به ولو أن المكان كان قد اتسع به فأتى مثلا إلى المغرب او الأندلس أو قدر لعمره أن يطول لما كان يتردد في أن يحدث له مذهبا أو مذاهب أخرى تمشيا مع مايجد في مكانه أو زمانه وتنفسا بما يتأرج في هذه البيء المختلفة بل اننا وجدناه قد خرج عن مذهبه الأصلي المالكي لما تجدد على عقليته بحكم تردده على العراق واتصاله بأجواء مختلفة وممارسته لقضايا لم يكن قد سبق له أن مارسها لما كان بالمدينة بجانب استاذه مالك رحمهما الله فكان من اختلاف هذه المناهج المتعددة والمتلونة بألوان متباينة أن استقل بمذهبه ودعا إليه في سنة ١٩٣م. والشافعي أديب فيه مرونة الاديب ورياضي فيه دقة الرياضي فلا غرو أن يكون لهذين العاملين اثر قوي في توجيهه نحو ذلك الاستقلال في التشريع بعد أن ادرك غور الأشياء وانحدر الى اعماق اسرارها وبذلك استطاع وحده أن يخلق لنا علما هاما في أصول التشريع «أصول الفقه» التي تشرف بالفقيه على أن يدرك الكليات ويقيس عليها الجزئيات وهو مطمئن كل الاطمئنان إلى أن بيده أداة فعالة وأقنوما دقيقا يسجل به الاشياء ويقدرها حق قدرها.

هذا الشافعي الذي استطاع وحده من زمن وجيز وفي وقت مبكر أن يهيىء أصحابه بمصر لأن يصبحوا مجتهدين في تشريعهم ومحاولين هم أنفسهم ان يخلقوا مذاهب خاصة لهم سواء في ذلك الرجل من اتباعه أو النساء، هذا الشافعي بهذه الصحيفة الإشراقية نجده يرفض مسألة المصالح المرسلة كما يرفض مسألة «الاستحسان» ويضرب بكلتيهما عرض الحائط ويقول في الاستحسان مثلا، من حسن فقد شرع، وهي وقفة نستغربها منه كما نستغربها من ابن المقفع قبله في الرأي وهو من هو يرفع صوته بنداءاته العديدة أن ينظم الفقه الإسلامي نظاما دقيقا وقد ضاق بالفوضى التي كانت على عهد ابن المقفع، هذا نجده يقول في الرأي فصل بين الدين والرأي،ان الدين يسلم بالإيمان وان الرأي يثبت بالخصومة فمن جعل الدين خصومة فقد جعل الدين رأيا ومن جعل الدين رأيا فقد صار شارعا ومن كان يشرع لنفسه فلادين له.

وهكذا ينفر ابن المقفع على الرأي كما نفر الشافعي بعده من الاستصلاح والاستحسان ولم يلتفت الى اصحاب الاستحسان حتى في ادلتهم التي اتوا بها من القرآن لتشفع لهم في هذا مثل قوله تعالى: ﴿واتبعوا احسن ماأنزل اليكم﴾ [الزمر/٥٥] وقول:﴿الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله﴾ [الزمر/١٨] فالشافعي في هذه المسألة بالذات لم يكن من اصحاب الذوق القانوني ولم يلزم موضعه الذي وضعناه فيه من الخط البياني السابق وانما رجع فيه الى ناحية ابن حنبل كما قفز مالك الى ناحية ابي حنيفة متعديا مكان الشافعي منه. ولعل القارىء الكريم يسألك اذا كنت قد قلت في حق الفقه المالكي انه قد اخرج الشافعي وانه بالاضافة الى مؤهلاته استطاع ان يستقل بمذهبه الخاص ونوهت في ذلك بمسألة «المصالح المرسلة» فجعلتها تقريبا روح المذهب او هي أهم شيء يمتاز به هذا المذهب فما بال الشافعي قد استطاع ان يخلق له مذهبا مع انه لم يقل بهذه المسألة التي امتاز بها المذهب المالكي؟ والجواب على هذا في منتهى البساطة:

فالشافعي لم يقل بهذه المسألة بالذات ولكنها بلا شك قد أثرت في عقليته ونشاطه التشريعي ومثله في ذلك مثل ابي حنيفة الذي تشبع بالمذهب الاعتزالي تشبعا كبيرا او بطريقة الكلاميين في جدالهم حتى قد حدث عن نفسه بقوله:كنت رجلا أعطيت جدلا في الكلام فمضى دهر فيه اتردد وبه اخاصم وعنه أناضل وكنت اعد الكلام افضل العلوم.

ثم بعد ذلك رفض – كما يقول – رفضا تاما مذهب الكلاميين واصحاب الجدل، فهل هذا يكون كافيا في ان ابا حنيفة لرفضه ذلك لم يتأثر به في توجيه تشريعه؟ كلا، فإن أبا حنيفة بفضل الكلاميين وجدلهم ولتأثره بذلك استطاع ان يبني مذهبه على الرأي وان يأخذ من المعتزلة مسألة الاستحسان وان يتبناها بكل عطف ويدافع عنها بكل حرارة ثم هو بكل ذلك استطاع كما استطاع الشافعي ان يكون من اتباعه من كان على ابواب استقلال في مذهبه.

ومن المعلوم في كتب الأصول أن أقوال اتباع أبي حنيفة لاتعتبر كلها أقوال ابي حنيفة، فالحنفيون كثيرا ما يخالفون إمامهم في فقههم.

هذا عرض سريع لمسألة المصلحة العامة في المذهب المالكي وموقف غيره منها وعمل اصحابه بها وعسى الايام ان تتيح لنا فرصا اخرى نرجع فيها إلى هذا الموضوع بأكثر دراسة فيه توسعا واعمقها بحثا ان شاء الله□

يا أمتي

شعر: عبد الغني أحمد ناجي

يا أمتي هتف الزمان مناديا
أين الألى تخذوا السماء مراقيا
أين الذين بهديهم، وضيائهم
كانوا مشاعل للأنام هواديا
أين الذين ترسموا نهج السما
ء مناهلاً كالنبع يعذب صافيا
أين الألى نطقت حضارة عهدكم
هم أطلعوا فجر الحضارة زاهيا
وتحدث التاريخ عن أمجادهم
فسلوه ليس مداهنا أو غافيا
فمن الذين علومهم قد نورت
أفق الحياة، وكان أظلم ساجيا
ومن الذين نهارهم بهر الدنا
ما أبشع الإظلام يعتم قاسيا!!
فالشرك ليل حالك لف الوجود
قتامة، وضلالة، وغواشيا
حتى أتى التوحيد نهجك أمتي
بالضوء للإظلام يسطع ماحيا
ومن الذين بعدلهم سعد الأنا
م وما اشتكوا، فالعدل يسعد حانيا
ومن الألى بفم الزمان شعارهم
الله أكبر كالسيوف مواضيا
ومن الألى هز العروش صليلهم
ثلت عروش الظلم منه بواكيا
ومن الألى دانت لهم صيد الجبا
برة القساة الملحدين مواليا
فهم الأباة لأمتي، وبأمتي
نطق الزمان مفاخراً، ومباهيا

*****

يا أمتي عودي إلى دين الإله
تبوئي تلك المكانة ثانيا
وتوحدي حتى تعودي قوة
تعلى بنود المجد فيك روابيا
ودعي الخلاف لكي تعودي أمة
تهب الزمان المجد يزهو ساميا
فالحلبة الجوفاء تنشد فارساً
كالخالدي؛ أصالة ومباديا
والعالم المكدود ينتظر النجاة
لديكمو بالنهج يشرف هاديا
والعالم المطحون في جوف الوغى
يرنو إلى حقب الزمان خواليا
يرنو إلى عهد الرسول: «محمد»
وصحابه الأبرار ظلا دانيا
يا أمتي، هيا امنحيه مآربا
كالواحة الخضراء تنجد ضاحيا
هذا النداء سمعته يا أمتي
من ذا الزمان، فلا تردي شاديا
بل رددي شدو الزمان لعلنا
بعد التخلف نستعيد معاليا

جولات في روضات الجنات

ولدان مخلدون

بقلم: محمد رشيد العويد*

هل شدّ نظرك يوماً، وجه طفل فائق الجمال، كأن وجهه البدر، ووجدت شفتيك تسبحان الله تعالى وترددان: سبحان الله.. ما هذا الجمال.. سبحان من صوّر!

وهل تاقت نفسك إلى مداعبة الطفل وملاعبته، فإذا بك تجد مع هذا الجمال البديع، لغة طفولية عذبة.. يرددها لسان هذا الطفل الجميل، مع رقة لطيفة، وبراءة محببة.

ولعلك تمنيت أن ترزق طفلاً مثله.. إذن لامتلأ بيتك بهجة وسعادة، وأنساً وحبوراً، ورقة وعذوبة.

بل ربما كنت أنت أبا هذا الطفل، وتعيش حقاً أمتع الساعات في صحبته، وملاعبته، وأنت تحنو عليه حنواً بالغاً، وتسمع حديثه الطفولي العذب.. فيفيض قلبك بعاطفة دفاقة جياشة.

وأنت أختي الكريمة، أنت تدركين هذه المعاني، وتعيشين هذه المشاعر، أكثر من الرجل، وتعشقين الأطفال الذين آتاهم الله جمالاً فاتناً عشقاً فُطرتِ عليه، حتى لتضحين من أجلهم، وتفخرين بهم، إن كانوا أولادك، أعظم تضحية وأبلغ فخر.

وحين يبدؤون المشي على أقدامهم، تتملككم فرحة غامرة، وأنتم تتابعون مشيهم، وتنقلهم بين غرف البيت. وإذا ما طلبتم منهم شيئاً وأحضروه لكم.. فإذا سعادة لا توصف تشيع في حناياكم.

ولكن هذه البهجة بالأطفال في الدنيا تبقى ناقصة، ونقصها آت من التالي:

١) لا يضمن أحد عدم موتهم، فكم من الآباء والأمهات فجعوا بموت أطفالهم، وبكوهم وحزنوا عليهم، بقدر ما أحبوهم وفرحوا بهم.

٢) حتى وإن عاش هؤلاء الأطفال، فإنهم سيكبرون ويفقدون نعومتهم وبراءتهم وعذوبتهم.

٣) يبقى عدد الأطفال الذين يرزقون جمالاً أخّاذاً.. قليلاً، ولا يتمتع به إلا قليل من الآباء والأمهات.

٤) مرض الأطفال بأمراض عارضة أو مزمنة، ينغص كثيراً، ويذهب بكثير من بهجتهم.

هذه البهجة الناقصة في الدنيا.. كاملة تامة في جنة الآخرة، فأولاد الجنة جميعهم يتمتعون بجمال فتّان، وهم يحافظون على سنهم الذي هم فيه، فلا يكبرون ولا تذهب نعومتهم وعذوبتهم، وهم خالدون لا خوف عليهم من موت.

يقول الله تعالى في وصفهم: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب وأباريق وكأس من معين. لا يصدّعون عنها ولا ينزفون﴾ [الواقعة ١٧-١٩]. ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون. إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ [الإنسان:١٩].

جاء في تفسير ابن كثير: «أي يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة [مخلدون] أي على حالة واحدة، مخلدون عليها لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن. ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾. أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤاً منثوراً. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن. قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو: «ما من أهل الجنة من أحد إلاّ يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه»(١).

ويقول سيد قطب رحمه الله في ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون﴾: «لايفعل فيهم الزمن، ولا تؤثر في شبابهم وصباحتهم السن، كأشباههم في الأرض»(٢).

ويقول في آية سورة الإنسان ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾: «وزيادة في المتاع، فإن الذين يطوفون بهذه الأواني والأكواب بالشراب هم غلمان صباح الوجوه، لا يفعل فيهم الزمن، ولا تدركهم السن، فهم مخلدون في سن الصباحة والصبا والوضاءة. وهم هناك كاللؤلؤ المنثور»(٣).

وفي تفسير الماوردي: «الولدان: جمع وليد وهم الوصفاء». و«المخلدون» الباقون على صغرهم لا يموتون ولا يتغيرون. ويحتمل أنهم الباقون معهم ولا ينصرفون عنهم بخلافهم في الدنيا»(٤).

ويشير القرطبي إلى فائدة هامة أخرى لكونهم ولداناً، وهي: أنهم أخف في الخدمة، وأنشط في التلبية. يقول رحمه الله في تفسيره: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ بيّن من الذي يطوف عليهم بالآنية، أي ويخدمهم ولدان مخلدون، فإنهم أخفّ في الخدمة. ثم قال: «مخلدون»، أي باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن، لا يهرمون ولا يتغيرون، ويكونون على سن واحدة على مر الأزمنة. وقيل: مخلدون لا يموتون. وقيل: مُسوّرون مُقرّطون. أي محلّون (بالأساور والأقراط)، والتخليد التحلية ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ أي ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم، لؤلؤاً مفرقاً في عرصة (ساحة) المجلس. واللؤلؤ إذا نثر على بساط كان أحسن منه منظوماً. وعن المأمون أنه ليلة زُفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل، وهو على بساط منسوج من ذهب، وقد نثرت عليه نساء دار الخليفة اللؤلؤ، فنظر إليه منثوراً على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال: لله درّ أبي نواس كأنه أبصر هذا يقول:

كأن صُغري وكُبري من فقاقعها
حصباءُ درّ على أرضٍ من الذهب

وقيل: إنما شبّههم بالمنثور لأنهم سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين، إذ شبّههن باللؤلؤ المكنون المخزون، لأنهم لا يُمتهن بالخدمة»(٥).

ويؤكد الإمام الرازي هذه المعاني ويزيد عليها فيقول: «والأقرب أن المراد بـ (مخلدون) دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يراد في الخدم أبلغ منها، وذلك يتضمن دوام حياتهم، وحسنهم، ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة.

﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾، وفي كيفية التشبيه وجوه:

أحدهما: شُبّهوا في حسنهم، وصفاء ألوانهم، وانتشارهم في مجالسهم ومنازلهم عند اشتغالهم بأنواع الخدمة باللؤلؤ المنثور، ولو كان صفاً لشبهوا باللؤلؤ المنظوم، ألا ترى أنه سبحانه قال: ﴿ويطوف عليهم﴾ فإذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين.

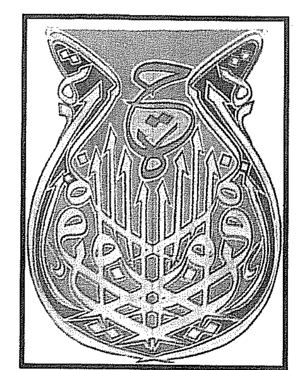
ثانيهما: أنهم شُبهوا باللؤلؤ الرطب إذا انتثر من صدفة: لأنه أكثر وأحسن ماء.

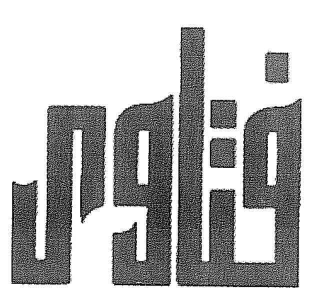
ثالثهما: قال القاضي هذا من التشبيه العجيب: «لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على البعض.. فيكون مخالفاً للمجتمِع منه» (٦)□

الهوامش:

(١) تفسير القرآن العظيم، المجلد٤، ص٤٥٦.
(٢) في ظلال القرآن، المجلد٦، ص٣٤٦٤
(٣) في ظلال القرآن، المجلد٦، ص٣٧٨٣.
(٤) النكت والعيون، ج٤، ص١٦٧.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص١٤٣و١٤٤.
(٦) التفسير الكبير، ج٢٩، ص٢٥١.

*مدير تحرير مجلة (النور) - الكويت





منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

حكم بيع الحمام بالمزاد

* يقوم بعض الشباب أصحاب هواية تطيير الحمام ببيع الحمام ذي الأصول العريقة بمبالغ كبيرة قد تصل في بعض الأحيان إلى أربعين ألف دينار كويتي أو أقل من ذلك أو أكثر بقليل، والتبايع والبحث عن الحمامة الأصيلة هو هم الكثير من أصحاب هذه الهواية والتي فيها حكام يحكمون، ومزادات للبيع. والسؤال هنا هو.

١ – ما حكم هذه المزادات التي تصل فيها الحمامة الواحدة أو مجموعة بعض الحمام الى أربعين ألفا؟

٢ – ما حكم التحكيم في مثل هذه المزادات؟

٣ – ما حكم هذا المال المأخوذ من بيع هذه المزادات؟

■ وبعد أن استمعت اللجنة إلى أفادة المستفتي حول طبيعة التحكيم، والمزادات التي تتم على الحمام، وأسباب ارتفاع أسعار الحمام. أجابت: بأنه بناء على ما أفاد به المستفتي في بيان صورة ما يتم التعامل به فإن الأصل: أن هذه المزادات جائزة، لأنها واردة على مال متقوم على أن يكون البائع مالكا للحمام ملكا مشروعا، ويجوز للمشتري أن يبيع ما تم شراؤه وإن لم يسلم الثمن حالا، ثم هو يبيع مفرقا ثم يسلم قيمة ما اشتراه أولا، على أن لا يكون هناك شرط بين البائع والمشترى بأن يرجع بأقل أو بأكثر.

واللجنة ترى: أن هذا البيع والمزاد رغم جوازه إلا أنه مكروه لما فيه من التغالي في الثمن من غير حاجة أو ضرورة، ولما فيه من إسراف وتبذير، فالأولى الترفع والتنزه عن هذه المعاملات والاهتمامات.

لا تجوز الرقى بالطلاسم

* نرجو منكم الاطلاع على الحجاب المسمى (الحصن الحصين) وهو عبارة عن صندوق صغير يعلق في السيارة، يحتوي على كتيب صغير فيه سورة الفاتحة وبعض سور وآيات قرآنية، ومقدمة، يدّعي جامعه أن هذا الحصن ينفع في توقّي وعلاج الأمراض، وينفع للدخول على الملوك والسلاطين، ويجلب المحبة ويبطل السحر، وينفع من لدغة العقرب والحية، ويجلب الرز، وينفع لقضاء الديون، وينفع للخروج من السجن، ولإسكات الأطفال عند البكاء. كما يدّعي جامعه أن هذا الحجاب إذا وضع في الدكان فإنه لا يقربه لص ولا يحترق، علما بأن هذا الحصن اشتمل في آخره على طلاسم وأرقام ومربعات لا يفهم معناها ليست في كتاب اله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فهل يجوز تعليق هذا الحجاب؟ وهل يجوز بيعه وشراؤه تداول؟ وهل تنصح الجنة بالتحذير منه؟

■ اطلعت الجنة على حجاب (الحصن الحصين) المرفق مع السؤال، ورأت عدم جواز تعليقه وبيعه وشرائه وتداوله، لأن فيه طلاسم لا يعرف معناها، ولأن فيه نوعاً من البدع الإضافية، إذ خصصت آيات من الكتاب الكريم لعلاج حالات مخصوصة لم يقم دليل صحيح على تخصيصها..

وتنصح اللجن بتجنب تداول أمثال هذه التمائم صيانة لعقائد الناس من الشوائب، والاكتفاء بما هو مشروع من الرقى بآيات الكتاب الكريم، وبذكر الله مطلقاً.

التبرع بربا المصارف

* تقدم أحد المتبرعين إلى (لجنة الدعوة الاسلامية) وعرض تبرعه للجنة باستقطاع مبلغ شهري من فوائد حسابه في أحد البنوك غير الاسلامية، فهل يجوز ان تقبل اللجنة مثل هذا التبرع للانفاق على مشاريعها؟

■ وقد أجابت اللجنة بالآتي: يجوز لـ(لجنة الدعوة الاسلامية) أن تنفق الاموال التي تصل اليها من فوائد البنوك الربوية وغيرها لإغاثة البلاد المتضررة وغيرها من وجوه الخير والبر العام، ولا ينفق منها شيء في مجال المساجد او نشر المصاحف، وأولى ما تنفق فيه هذه الاموال هو الحالات الاضطرارية في الجوائح والمجاعات والكوارث العامة والخاصة.

(الزار) بدعة مأخوذة عن الوثنيين

* ما حكم الإسلام بالنسبة للزار، وهو عبارة عن اجتماع للنساء يضرب فيه بالدف، ويوقد على البخور، ويقال فيه بعض التعاويذ بقصد إخراج الجنّ من المرأة الممسوسة؟

■ وردت بعض الأحاديث الصحيحة التي تدل على أن لجن قد يتسلطون على ضعاف الناس ويسببون لهم أحوالاً مرضية لا يجدي فيها العلاج الطبي، وورد ان بعض هذه الحالات عولجت بتقوية نفس المصاب وذلك بالتعوذ والادعية وزجر الجني المتسلط عليه، ولا يقوى على ذلك إلا من كان قوي الإيمان والعزيمة، وحتى يكون سلطانه على النفس الشريرة أقوى من سلطانها، فإذا تخلص المصاب مما كان يعانيه دل ذلك على جدوى العلاج..

هذا؛ وإن درجة هذه الأحاديث تصلح للأخذ بها عملا، ولو لم تصل إلى درجة أن يبنى عليها اعتقاداً. أما ما ينشأ من تسلط الجن، فهو الصرع في بعض حالاته وكذلك بعض الأمراض النفسية كالقلق، والوسوسة، والاضطراب في التصرفات المعاشية.

وأما معالجة ذلك عن طريق الزار ففيها أمور منها:

– الزار تعتريه محرمات كثيرة منها اختلاط النساء بالرجال على صوة محرّمة.

– إيراد بعض التعاويذ والتمتمات الغامضة المشبوهة التي لم يرد فيها نص.

– الاعتقاد الجازم بأن ذلك هو الطريق الوحيد لإخراج الجني من الممسوسة، وهو أمر لم يشهد له نص قاطع.

– الزار بدعة محدثة لم يثبت عن أحد من السلف، القول أو العمل بها، وأغلب الظن أنه مأخوذ من أمم وثنية سابقة.

لهذا كله رأت اللجنة حرمة الزار على الوجه المتقدّم والاستعاضة عنه بالرقية الشرعية المشروعة بالإضافة إلى ما سبق التنويه عنه في مقدمة هذه الفتوى. والله تعالى أعلم. وصلى آله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اشتراط الرجوع عن البيع

* رجل باع عقارا لشخص آخر وحرر هذا البيع بالدوائر الرسمية الحكومية ولكن المشتري تعهد في عقد البيع بأنه إذا رجع له البائع قيمة العقار ومصاريف التسجيل قبل ستة أشهر من تاريخ البيع فيرجع المشتري العقار وأن تأخر البائع عن المدة المحددة ولو بيوم واحد فلا حق له بالرجوع، وكان هذا البيع في سنة ١٩٥٤م، وكان بمبلغ ٣٨٠ جنيها. وبعد مدة ثمانية وثلاثين سنة أراد البائع أن يرجع الثمن وهو مبلغ ٣٨٠ جنيها ويتسرد العقار. فأرجو من سيادتكم الإجابة على الآتي:

١ – هل عقد البيع المشترط بالرجوع جائز شرعا أم لا؟
٢ – هل للبائع الحق في الرجوع بعد مضي الفترة المحددة؟
٣ – هل للبائع الحق في ترجيع المبلغ بعد فترة ٣٨ سنة؟
٤ – هل قيمة العقار في سنة ١٩٥٤م تتناسب اليوم مع الفرق المتضاعف؟

■ وقد أجابت اللجنة: ان خيار الشرط عند جمهور الفقهاء لا يجوز أن يزيد على ثلاثة أيام لقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن كان يخدع في البيوع: (ثم أنت بالخيار في كل سلعة ابتعتها ثلاث ليال) رواه البيهقي وابن ماجه. وعليه فإن عقد البيع في الحالة المعروضة على اللجنة يعتبر لازما، وليس للبائع حق الرجوع فيه بعد مضي المدة المحددة لخيار الشرط.

تنظيم مسابقة لسباق الخيل

* هناك جهة تنظم مسابقة سنوية لسباق الخيل، وجرى العرف في السابق أن يكافأ الفائزون الأوائل بمبلغ ٦٠٠٠ دينار كويتي مقدّمة من الحكومة يضاف إليها المبالغ المتحصّلة من رسوم اشتراك المتسابقين.. وحصل أن جرى السباق هذه السنة من غير الاعلان عن قيمة الجائزة وتم تأخير الاعلان عن قيمة الجائزة لما بعد الدخول في السباق، ومولت الجائزة من قيمة الاشتراكات دون التأكيد من استلام النادي للمبلغ المرصود من الحكومة لهذه الجائزة..

علما بأنه قد تم السباق بعد اضافة مبلغ بسيط من النادي الى قيمة الاشتراكات لدفعه الى الفائزين، وكان المتسابقون يعتقدون ان الجائزة هي المبلغ المرصود من الحكومة مضافا اليه قيمة الاشتراكات، والذي تم هو خلاف المتعارف عليه في السباقات السابقة. فما حكم ذلك؟

■ يجوز في سباق الخيل دفع العوض (الجائزة) بأحد الطرق الآتية:

– أن يدفع العوض أحد المستبقين دون الآخر على أنه لو سُبق لا شيء له، وإن سبَق الآخر أخذ العوض لنفسه.

– أن يدفع العوض شخصٌ ثالث لا يشترك في السباق ويعطى العوض لمن سَبق.

– أن يدفع العوض كلا المستبقين ويدخلان بينهما مستبقا ثالثا ويسمى (المحلل) لا يدفع شيئا، فإذا سبقوا جميعا أحرز كل من المستبقين ما دفعه ولا شيء للمحلل، وإن سبق المحلل وحده أحرز ما دفعاه، وإن سبق أحد المستبقين وحده أحرز ما دفعه هو والمستبق الآخر ولم يأخذ المحلل شيئاً، وإن سبق أحد المستبقين والمحلل، أحرز السابق مال نفسه ويكون ما دفعه الآخر نصفين بين السابق والمحلل.

ويشترط في فرس المحلل أن تكون مكافأة لفرسي المستبقين الآخرين.

وبناء على ذلك ففي الصورة الواردة في السؤال يجوز أخذ الجائزة في السباق إذا كانت الحكومة، أو طرف خارج السباق هو الدافع للجائزة، فإذا أضيف إليها اشتراكات المستبقين أو كانت الجائزة كلها من اشتراكاتهم لم يجز قبض شيء منها لأنها حينئذ قمار محرم.





■ حكمة الله الواسعة اقتضت تهيئة كلا من الرجل والمرأة لتأدية دورهما في الحياة نفسيا وجسديا

بقلم: سعد عوض المر

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ [البقرة:٢٢٢].

حقا لقد تنزلت تلك الآية المباركة رحمة من الله تعالى للرجل والمرأة على حد سواء: فلقد بينت بصورة واضحة جلية أن الحيض ضار ضررا مطلقا، كذلك أمرت باعتزال المرأة من الناحية الجنسية فقط طوال فترة حيضها، كذلك نهت عن اتيانهن بعد فترة الحيض إلا بعد أن يتطهرن مما علق بهن من دم ورائحة لأن الله يحب الطهارة ويحب المتطهرين.

لماذا المرأة وليس الرجل؟!

فاذا تساءلنا: ولماذا تحيض المرأة دون الرجل؟ أجبنا: بداية هي مشيئة الله تبارك وتعالى وقدرته في اختلاف خلقه والتي لا نعلم منها إلا القليل القليل، لقد فطر الله المرأة على هذا الحال ليكون ذلك اعلانا بحدوث الحمل من عدمه وحتى تتخلص المرأة من البويضة – التي لم يتسن تخصيبها – أي التي لم يتم تلقيحها باختراق الحيوان المنوي لها واستقراره فيها وذلك تمهيدا واستعدادا لنضوج وقدوم بويضة أخرى من الجهة الأخرى للمبيض بعد ٢٨ يوما، كذلك حتى لا تختلط الانساب في حالة طلاق المرأة إذ يحرم عليها الزواج من رجل آخر إلا بعد حدوث ثلاث حيضات للتأكد من عدم حدوث حمل، حيث انه بعد تلك الفترة يستبان نهائيا توقف التبويض – نضوج وسقوط البويضات في قمع فالوب – ومن ثم لا يكون هناك أي احتمال لحدوث حمل آخر من الزوج السابق.

كذلك جعل الله الحيض للأنثى رحمة ونعمة بها لأنه الوسيلة الوحيدة للتخلص من إفرازات الرحم وسمومه الضارة التي تتمثل في سوائل ومركزات يتم طردها خارج الجسم بتلك الوسيلة حيث انها تزيد يوما بعد يوم وفي حالة استمرار وجودها يضيق الرحم بها وتنعدم مقاومته لها.

أما لماذا لا يحيض الرجل؟ فعلاوة على أن طبيعته الجسدية – جهازه التناسلي الموجب القاذف عكس جهاز الأنثى السالب المستقبل – فانه لا توجد إفرازات كتلك التي تحدث في الأنثى اللهم إلا عكس تلك المرأة التي لا تنتج إلا بويضة واحدة في كل دورة شهرية، فلو كان للرجل دورة شهرية – مثلا – لتعذر وتعسر حدوث التلاقي والمطابقة بين أيام خصوبتها وخصوبته فتضيع بذلك فرص كثيرة للأنجاب.

معنى ﴿ أذى ﴾

وهنا نقترب من السؤال الذي لخصت اجابته كلمة واحدة في الآية المباركة. إنها كلمة ﴿ أذى ﴾ أظنك عرفته: لماذا نهى الله عز وجل عن مجامعة الحائض والنفساء؟ إن ذلك جاء رحمة من الله تعالى لدرء الضرر عن الرجل والأنثى في نفس الوقت: أما من ناحية الرجل فلأنه باقترابه من المرأة للجماع فانما يضع اداة تناسله في وسط دموي تسكنه آلاف الميكروبات السبحية والعنقودية التي تؤدي إلى التهابات في قناة مجرى البول نظرا لقابليتها وضعفها بالنسبة لمقاومة الميكروبات، وقد تصل الالتهاب إلى (البروستاتا) نتيجة غزو تلك المكروبات بعد تكاثرها وبعد انتقالها إلى الحويصلات المنوية ثم إلى كل جزء في الجهاز البولي والتناسلي والتي قد تؤدي إلى عقم الرجل.

علاوة على ذلك فان الجماع في وقت الحيض يكون أذى للرجل من الناحية النفسية لأنه يعايش رائحة كريهة تنبعث من دم الحيض كذلك من ناحية لونه القاتم المتغير فيتقزز من ذلك فيصطدم شعوره بالاقبال مع شعوره بالادبار فيتصارع احساسان متضادان في نفس واحدة خاصة إذ أحس أو راود النفس احساس بان موضع الفرج مليء بالاضرار والأخطار، بالإضافة إلى عدم طهارة المرأة أو تجاوبها أو ميلها للجماع نتيجة للوهن الذي تكون فيه بسبب كثرة فقد الدم وفقره فينشأ عن ذلك كله إحباط وتردد وشعور بالنفور الذي قد يمتد إلى ما بعد فترة

الحيض.

أما من حيث كون الحيض أذى للمرأة فهذا يرجع إلى عدة أمور: أولها وأخطرها ذلك الضعف الذي تكون فيه نتيجة لاستمرار نزيف الرحم الذي قد يتعدى الخمسة أيام مما يؤدي إلى انخفاض حرارة الجسم وما يتبعه من فقد قدر كبير من الطاقة والحركة بسبب ضعف التمثيل الغذائي وقلة الإفرازات الحيوية فينشأ عن ذلك إحساس بالكسل والخمول والفتور والميل إلى النوم.

كذلك يكون الرحم في وقت الحيض في حالة غير مهيئة لاستقبال أي جسم خارجي نظرا لما يعانيه من تقلصات والتهابات علاوة على أن شرايينه النازفة تكون مفتوحة ينبثق منها الدم إلى خارج الجسم، فإذا تعرض الرحم لأي تلوث في ذلك الوقت مما قد يحمله عضو التناسل في الرجل فان ذلك يكون نذير شر وشؤم، فإذا سأل سائل: ولم لا يحدث هذا التلوث في الأوقات الأخرى؟

نجيب: إن الافرازات الحمضية في المهبل تقوم بابادة أية ميكروبات قد تتسلل محمولة بعضو الرجل. أما في وقت الطمث فيكون المهبل نفسه ملوثا بالسائل الدموي الذي يناسب تكاثر الميكروبات المهاجمة التي لا تجد وقتذاك الوسط الحمضي المركز الذي يقتلها بسبب استمرارية نزيف الرحم. كذلك يتسع معنى ﴿ أذى ﴾ بالنسبة للمرأة بسبب ما تعانيه من متاعب شديدة ناتجة عن آلام متعددة تشتد في منطقة الظهر واسفل البطن علاوة على معاناتها من تقلصات .... كل هذا ينعكس على حالتها النفسية بصفة عامة فتكون مضطربة المزاج سريعة الغضب شديدة الحساسية متوترة قلقة ينتابها الاحساس بالضجر والضيق لاتفه الأسباب، إن هذا بالطبع يؤثر على قدرتها العقلية والفكرية والعاطفية ومدى قابليتها للتجاوب الجنسي. اننا نستطيع ان نصف حالها في جملة واحدة (ذلك الضعف الجنسي الناتج عن انعدام القدرة عليه) لهذا كانت محاولة مضاجعتها أو جماعها ﴿ أذى ﴾ لها من رجلها الذي هو اقرب الناس لها والذي تربطه بها وتربطها به ربطة المودة والرحمة، خاصة وان عملية الجماع ذاتها في ذلك الوقت ماهي الا عبث لا يجدي بسبب انفجار وموت البويضة في رحمها الذي اعلن نبأ هلاكها ببكائه عليها.

جدل وجواب

فاذا جادل مجادل بعد ذلك مستنكرا قدر المرأة في تلك الدورة مثيرا شفقته عليها مشيرا إلى ما تعانيه من آلام وما تلاقيه من نفور وفتور.. نقول: وهل أنت ارحم بالمرأة من رب المرأة؟ إن حدوث تلك الدورة ليس من اجلها فقط بل من أجل نقاء وطهارة المجتمع الاسلامي بأكمله.

فان لم تتذكر ماسبق ان اشرنا إليه في عجالة عن الحكمة من تلك الدورة التي منها عدم اختلاط الانساب ندعوك لتتدبر قول الله: ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ [البقرة:٢٢٨]. انك ستلمس بها رحمة ربنا بنا في ذلك التوجيه الإلهي الذي يأمرنا فيه بعدم زواج المطلقة بآخر إلا بعد انتظار انقضاء ثلاث حيضات.

لقد جاء ذلك حتى يستبان على وجه اليقين وجود حمل من عدمه، حتى يبرأ الرحم الأم قبل الأب بل قبل الجميع حين يمزق الصمت باعلى صوت معلنا خلوه من أي جنين، فاذا كان هناك حمل فلا مكان أو مضجع لزوج آخر حتى تضع الحامل حملها، وإن لم يكن جاز لها أن تتزوج بعد تلك العدة فاذا حدث ميلا قبل اتمام التسعة أشهر – وهذا احتمال قائم بسبب اكتمال نمو الجنين في نهاية الشهر السادس – فإنه لا يكون هنالك أدنى شك في نسب بنوة المولود للزوج الجديد.

فأي تشريع هذا الذي وهبه الله لتلك الإنسانية الحائرة على يد محمد الأمين المبعوث رحمة للعالمين ﷺ فاذا ازداد المجادل صلفا وأشار إلى امكانية اتباع اسلوب المجتمع الغربي في ذلك الموضوع وعلى وجه التحديد المجتمع الامريكي وذلك باللجوء للمعامل الحديثة لتحليل دم المولود لمقارنته بدماء هؤلاء الرجال الذين عاشروا أمه خلال الفترة التي سبقت حدوث الحمل وذلك لتحديد ايهم يشاركه في صفات الدم لامكان صدور حكم أو قرار انتساب الابن لواحد منهم، نرد: وهل كل المجتمعات تملك من وسائل التكنولوجيا ما تمتلكه امريكا الآن؟

الرحمة الربانية

وهل من العدالة أو يليق بالرحمة المهداة ان تترك تلك المجتمعات في ظلمات تلك الحيرة لحين قيام الانسانية باكتشاف قارة امريكا ثم قيام امريكا باكتشاف تلك الطريقة؟ وهل في هذه الطريقة طمأنينة أو راحة بال طوال فترة الانتظار: انتظار انتهاء مدة الحمل وخروج الجنين عكس مانجده في طاعة الله تعالى في ترقب حدوث ثلاثة قروء؟ ومع ذلك فان هذه الطريقة محفوفة بالظنون والهواجس لان دماء البشر لا تزيد في تنوعها عن بضع أنواع فقط حيث تشترك مجموعة من الناس في فصيلة متشابهة عكس مانراه في بصمات الأصابع التي لا تورث.

وفي هذا المقام هل لنا أن نستدير بوجوهنا تاركين أقصى الغرب متجهين إلى أقصى الشرق حيث تقبع اليابان ذات الحضارة الحديثة والانطلاقة العملاقة لنطلع على دراسة قامت بها وزارة العدل لادخال بعض التعديلات الجديدة على قانون الأحوال الشخصية الخاص بشئون الزواج. إن ذلك القانون الجديد المزمع اصداره سيتم بمقتضاه السماح للمرأة المطلقة بالزواج بعد مرور مائة يوم فقط بدلا من الستة أشهر المنصوص عليها في القانون الحالي.

فهل يا ترى كان الاقدام على هذه الخطوة من منطلق معرفة هؤلاء اليابانيين بالآية الكريمة التي حددت عدة المطلقة بثلاث حيضات التي تنقص قليلا عن المائة يوم؟

من اعجاز الآية

وأخيرا أي اعجاز هذا الذي نرى في الآية الكريمة: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ [البقرة:٢٣٤]. نعم لقد زادت مدة الارملة حوالي اربعين يوما عن عدة المطلقة، ترى لماذا؟ لأن المرأة المطلقة تكون كارهة لزوجها مبغضة لكل مايصدر عنه ومنه، محبة متلهفة لسرعة انهاء الارتباط به، وهذا بالطبع يؤثر على تلهف الرحم في العودة لحالته العذرية المترقبة، أما تلك التي مات زوجها فانها تكون كارهة لفراقه محبة متمسكة بذكراه وهذا يؤثر بالطبع على كل جزء من جسدها ومن ثم يحتاج الرحم إلى فترة أطول حتى يتخلص من آثار الارتباط به ورجوعه لحالته العذرية الجديدة ■



الاصولية الانجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الامريكي

عرض: الشيخ /
طه الولي
باحث وكاتب لبناني

الكاتب: محمّد السّمّاك
الناشر: مركز دراسات العالم الإسلامي - مالطا

الكتاب يقع في حوالي تسعين ومائة صفحة من القطع الصغير، بدأه المؤلف بكلمة تحت عنوان (مدخل) وفيها بيان لما تقوله اليهودية في المسيحية وماتقوله المسيحية في اليهودية وما يقوله الاسلام في اليهودية والمسيحية معا.

ولابد لنا من القول بأن المؤلف الكريم كان مصيبا وأحسن صنعا حين بادر قارىء كتابه بما يساعده على أن يتعامل مع موضوع هذا الكتاب من خلال المفارقات التي تتحكم في المعطيات التوجيهية لكل من الاديان الثلاثة الاسلام واليهودية والنصرانية بالنسبة لكل واحد منها نحو الآخر.

مفاهيم ذات منطلق ديني

في هذا المدخل يلقي محمد السماك الضوء على المفاهيم التي يعتمدها المسلمون واليهود والنصارى في تعاملهم بعضهم مع بعض، انطلاقا من المبادىء الدينية، على لسان انبيائهم في

الكتب السماوية الثلاثة: القرآن الكريم عند المسلمين والتوراة عند اليهود والانجيل عند النصارى.

ولعل الاستاذ حين جعل هذه المفاهيم الاسلامية واليهودية والنصرانية مدخلا لكتابه، أراد أن يضع قارئه في جو الخلفيات العقائدية التي حددت، بشكل أو بآخر، الاسلوب أو النهج، من ايجابيات أو سلبيات العلاقة بين المسلمين واليهود والنصارى، كما كانت هذه العلاقة فى الازمنة القديمة المتباعدة وكما هى متصلة ومستمرة ومتمادية حتى ايامنا المعاصرة، وكأن الكاتب الكريم اراد أن يترك لقارىء كتابه أن يقف بنفسه على الاسباب الكامنة وراء دهشة أهل زماننا وهم يتابعون الغزل المتبادل في ايامنا بين اهل الانجيل واهل التوراة بالرغم من انهما، كلاهما، مازالا يقرآن في كتابيهما، التوراة والانجيل، وماتنضح به كلمات هذين الكتابين من ريبة وشحناء واثارة للعداوة والبغضاء لدى كل منهما نحو الآخر.

(يسمح لليهودي أن يكذب ويشهد زورا للإيقاع بالمسيحي، فاسم الرب لايدنس ولايجدف به، حين نكذب على المسيحيين)، (يجب على اليهود السعى الدائم لغش المسيحيين). هذا ما تقول اليهودية في المسيحية.

اما المسيحية فانها تقول عن (اليهودية): (يعتبر اليهود خطرا على جميع شعوب العالم، وخاصة على الشعوب المسيحية). (يتضمن التلمود كل الكفر والالحاد والخسة).

وجدير بالذكر أن المؤلف الكريم شاء أن يوثق ماروله عن رأي اليهود بالنصارى وبالعكس، فحرص أن يحيل القارىء على المصدر الذي اعتمده في اثبات ماوراه، بما لايدع مجالا لقول قائل في صحة وفي واقعية السلبيات المتبادلة بين اليهود والنصارى وذلك وفقا لما جاء عن لسان المرجعين المذكورين في مدخل الكتاب.

اذن، فان الغرام المتبادل اليوم بين الصليبية العالمية وبين الصهيونية العالمية لايتصل من قريب ولابعيد بالعداء الذي كان متبادلا بينهما ايام زمان..

العداوة التي استحالت إلى تحالف

ولكن كيف استحال العداء القديم بين النصرانية واليهودية إلى غرام حديث، فان المؤلف اعطانا الجواب على هذا السؤال بالجرأة والصراحة والأدلة الثابتة، وذلك في كل سطر خطته يمينه في كتابه الذي بين ايدينا، الذي جعل عنوانه معبرا بايجاز وبلاغة عن (الصيهونية المسيحية) وهو عنوان جمع في كلمتين اثنتين ماجاء في هذا الكتاب عبر صفحاته التي ناهزت المائتين، من النصوص المدعومة بمصادرها مايلقي ضوءا كشافا على العوامل الفعالة التي ابعدت التباعد وقربت التقارب بين الاصولية الانجيلية والاطماع التلمودية تحت شعار (الصيهونية المسيحية) برعاية الموقف الأمريكي.

ويمكن القول بأن هذا التحول الجذري في العلاقات بين المعطيات التلمودية والمؤسسات الكنسية سببه، كما يقول المؤلف انه (كان اليهود يتعرضون للاضطهاد والتحقير في المجتمعات الاوروبية وهى في مراحلها المختلفة، حاول اليهود معالجة هذه المشاعر بشتى الوسائل، وكان الدين انجحها فسربوا إلى الكنيسة عبر حركة الاصلاح الديني معتقدات تقول انهم شعب الله المختار وان الله يحب من يحسن اليهم ويعاقب من يعتدي عليهم.

غيبيات ومصالح استراتيجية

ويتابع السماك كلامه في الاجابة على السؤال المتقدم قائلا: فالذين تأثروا بتهويد الكنيسةالبروتستانتية(وخاصة من الكلفانيين والتطهريين) آمنوا بتفسير وضعي لنبوءات توراتية تقول: إن المسيح سيطر للمرة الثانية،وان ظهوره سيتم بين اليهود وفي صهيون، وانه لابد من اجل ذلك من اقامة صهيون ومن اعادة تجميع اليهود فيها، حتى اذا ظهر المسيح يخلص المؤمنين من العذاب بعد معركة هرمجدون، ويتربع على عرش العالم مدة الف سنة (الالفية) إلى أن تقوم الساعة..

والاستراتيجيون الاوروبيون من الانكليز والفرنسيين ثم الامريكان، ربطوا بين مصالح امبراطورياتهم في المشرق العربي وبين هذه المعتقدات، فانطلقت الصهيونية كحركة سياسية تقول باقامه وطن يهودي في فلسطين، من الكنيسة المسيحية البروتستانتية..

الى أن يخلص السماك إلى تقرير الحقيقة الصادعة التي تشكل في الواقع لب الجواب على سبب التعاطف الراهن بين الكنيسة وبين اليهود اخصامها السابقين والتقليديين، وهذه الحقيقة هى كما قال:

(كان العداء للاسلام، والرغبة في قهر العرب من العوامل الرئيسية التي شجعت (الصهيونية المسيحية)

في هذه الجملة الأخيرة يبدو لنا المؤلف وكأنه ألف كتابه عن (الصهيونية المسيحية) لكي يستوقف الرأي العام العربي بله الاسلامي، وكذلك العالمي، عند رأيه في أن القاسم المشترك بين العوامل الفعالة التي اقامت اللحمة التعاضدية والتعاونية بين المؤسسات الكنسية والمؤسسات الصهيونية هو الاندغام العضوي والتقاء المصالح المشتركة بين هذه المؤسسات وتلك، من اجل مكافحة المد العقائدي والحنين التراثي والتوق الحضاري للعروبة والاسلام في عقر موطنه في الشرق، بعد أن اصبحت هذه الظاهرة تشكل باستفحالها خطرا حيقيا داهما على المصالح المتداخلة والمتبادلة بين نهم الاستعمار الغربي وبغي العدوان الصيهوني.

محطة تاريخية بارزة

في الصفحات التالية لمدخل الكتاب، قدم لنا المؤلف الكريم شريطا من الاحداث التي دارت كلها في فلك الإعداد اليهودي للرأي العام النصراني في التمهيد لتسخير هذا الرأي العام، بحكامه وشعوبه، في تحقيق مايعتقده اليهود بأنه وعد من الله لهم في التوراة بالعودة إلى فلسطين واعادة بناء هيكل سليمان الذي يقولون بأنه كان قائما حيث يقوم المسجد الاقصى اليوم.

وشريط الاحداث الذي قدمه لنا المؤلف إن هو في واقع الامر الا ملف ينطوي بما فيه من اشارة إلى تاريخ زمان الاحداث والاسماء والعناوين التي التصقت بها المؤامرة التي استهدفت العرب والمسلمين بخلفياتها الاستعمارية والصهيونية عبر مئات السنين حتى وجدت – اي هذه المؤامرة – في ايامنا ذراعها الضاربة في (الصيهونية المسيحية) المتمثلة،

أو بالاصح، المتجسدة في حكام الولايات المتحدة الامريكية المتربعين على ارائك البيت الابيض في واشنطن واحلافهم الدائرين في فلك سياستهم المنتشرين في ارجاء العالم وآفاقه.

قدم لنا الأستاذ السمّاك شريط تسلسل المؤامرة (الصهيونية المسيحية) تحت عنوان(محطات تاريخية بارزة) في هذه المحطات تبرز بصمات الذين تعاونوا على الاثم والعدوان لتنفيذ الوعد التوراتي على حساب الكيان العربي الاسلامي في فلسطين، واننا لنجد في هذه المحطات آثار اقدام الجناة في مسيرتهم الآثمة المعتدية على امتنا وتراثنا وتاريخنا وديننا.

بدأت القائمة السوداء (للمحطات التاريخية البارزة) كما جاء في كتاب (الصهيونية المسيحية) سنة ١٤٥٣م. عند سقوط القسطنطينية بيد الأتراك المسلمين، ولعل المؤلف الكريم حين جعل سقوط العاصمة الشرقية للنصرانية في رأس القائمة، انما أراد ربط الاحداث العدوانية التي افرزتها(الصهيونية المسيحية) بالهزيمة التي الحقها الاسلام بالنصرانية عندما طواها المسلمون الاتراك تحت علمهم.

ثم كانت خاتمة القائمة المذكورة سنة ١٩٩٠م. عند فتح ابواب الهجرة اليهودية امام يهود الاتحاد السوفياتي إلى اسرائيل(فلسطين)، واذا كان السماك ختم القائمة السوداء من المحطات التاريخية البارزة بهذه الهجرة التي تدفق بها شلال المستوطنين اليهود من روسيا إلى فلسطين فاننا نعتقد بأن مسرحية الصهيونية المسيحية لم تتم بعد فصولا بهذه الهجرة التي يراد بها اغراق الوجود العربي الاسلامي في فلسطين تحت لجة الفيضان اليهودي الآتي الينا بسيله الجارف تحت المظلة الحمراء للدولة السوفياتية (الصديقة).

وهنا، افلايحق لنا أن نتساءل لماذا لم يجعل محمد السماك للاصولية الماركسية نصيبا في عنوان كتابه إلى جانب الاصولية الانجيلية، ومادامت السحب الحمراء في الاتحاد السوفياتي قد اصابتنا اخيرا بوابل من امطارها اليهودية التي على غير انتظار (جاءتنا ضغثا على إبالة)..

توقف واعتبار

والمحطات التاريخية البارزة في كتاب (الصهيونية المسيحية) جديرة بأن تستوقف القارىء العربي المسلم عند كل محطة على حدة حيث يجد نفسه امام خط بياني يتجه من بدايته حتى نهايته في الطريق الذي رسمته الصهيونية العالمية للوصول إلى ماوصلت اليه اليوم متوكئة على ذراع الانجيلية الاصولية متجلببة برداء الكنيسة البروتستانتية التي اعلنت (ان المجتمع الانجيلي حليف لطموحات اسرائيل) كما جاء في المؤتمر الاول للمعمدانيين الجنوبيين في امريكا الذي انعقد سنة ١٩٧٢م.

اجل إن المؤلف محمد السماك وضع قارىء كتابه امام خطوات الجريمة التي نفذتها (الصهيونية المسيحية) اخيرا في فلسطين وبين لهذا القارىء بأن جريمة التحالف العدواني بين الصهيونية و النصرانية، كما وضعتها دوائرهذا التحالف في اوروبا وامريكا، انما هي جريمة متمادية – اي متواصلة ومستمرة حسب الاصطلاح القانوني – وقد كانت بالامس، ومازالت اليوم، تستهدف العروبة في ارضها وكيانها، والاسلام في عقيدته ومقوماته. امسها كيومها. وما اشبه الليلة بالبارحة، فهل من مدّكر؟

يهود الاندلس نقلوا الثروة والعلوم

ثم يتجاوز الاستاذ السماك حديث المحطات التاريخية إلى الكلام عن (الصهيونية المسيحية) الاوروبية، فيقرر أن يهود اسبانيا (اندلس العرب) عندما هجروا بلادهم إلى قلب اوروبا نقلوا معهم ثروتين، احداهما علمية والاخرى مالية، وهما – الثروتان معا – اسستا قاعدة التغلغل اليهودي في المجتمعات الاوروبية والذي وصل إلى الكنيسة نفسها، حتى أن الادبيات الدينية اليهودية احتلت الموقع الممتاز في معركة الاصلاح الديني في أوروبا.

واستشهد على ذلك بأن مارتن لوثر، زعيم حركة الاصلاح ورائد المذهب البروتستنتي نشر كتابا في عالم ١٥٢٣م. باسم عيسى ولد يهوديا، قال فيه: (ان الروح القدس انزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك كان علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة اسيادها، كالمرأة الكنعانية تماما).

الفكر اليهودي يهيمن على النصرانية

وقد لخص المؤلف الايحاءات الدينية التى ادخلها اليهود في ضمن المفاهيم العقائدية لنصارى اوروبا بأمور ثلاثة، سماها الادبيات اليهودية والتي تسربت إلى صميم العقيدة المسيحية، وهذه المفاهيم، والأدبيات كما يقول المؤلف هي:

١– إن اليهود هم شعب الله المختار، وانهم يكونون بذلك الامة المفضلة على كل الامم

٢– إن ثمة ميثاقا إلهيا يربط اليهود بالارض المقدسة في فلسطين وان هذا الميثاق الذي اعطاه الله لابراهيم (النبي) هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

٣– ربط الايمان المسيحي بعودة المسيح بقيام دولة صهيون اي باعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم.

وبرأي المؤلف، أن هذه المفاهيم، أو الادبيات الثلاث، ألفت في الماضي وهي تؤلف اليوم قاعدة (الصهيونية المسيحية) التي تربط الدين بالقومية،و التي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية.

وكما يقول المؤلف معقبا على ماتقدم، بأنه من خلال هذه الامور الثلاثة تغلغل الفكر اليهودي إلى قلب الحركة الدينية (النصرانية) حتى أن الفيلسوف اليهودي (هوغرويتوس) نشر كتابا عنوانه(حقيقة الدين المسيحي) سفه فيه التحقير المسيحي لليهودية، وابرز الجوامع المشتركة بين اليهودية والنصرانية الجديدة؛ اي البروتستانتية.

وهكذا، اصبحت المفاهيم العقائدية الثلاثة المذكورة جزءا من عقيدة الكنيسة البروتستانتية. ومن جوهر طقوسها، ومن خلالها تحولت إلى قاعدة عامة للتربية الدينية المسيحية، يقول مؤلف الكتاب:

(من هذه التربية الفكرية نبتت جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود في العام

١٨٠٧م.. وكان نابليون بونابرت اول رجل دولة اوروبي يدعو اليهود إلى اقامة وطن لهم في فلسطين خلال الحملة التى قام بها على مصر والشرق العربي سنة ١٧٩٨م. كذلك كان نابليون أول رجل دولة اوروبي يتبنى موقفا سياسيا من نبوءات دينية يهودية وردت في سفر اشعيا ويوئيل).

ولقد عكست السياسة الانكليزية المفاهيم التي تغلغلت في الفكر الديني الاوروبي تحت تأثير التوجيه اليهودي الفكري والادبي، وان اللورد بلفور الوزير البريطاني، صاحب الوعد المنسوب اليه، بلغ في ايمانه بالصهيونية المسيحية انه اعد لحكومته مذكرة حول موضوع الوطن القومي لليهود في فلسطين،قال فيها:

(ليس في نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين، مع أن اللجنة الامريكية تحاول استقصاءها. إن القوى الأربع الكبرى (امريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا) ملتزمة بالصهيونية، وسواء أكانت الصهيونية جيدة ام سيئة، على حق ام على باطل، فانها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد، والحاجات الحالية وآمال المستقبل، وهي ذات اهمية تفوق رغبات وميول السبعمائة ألف عربي الذين يسكنون هذه الارض القديمة؛ اي فلسطين.

مصالح استراتيجية متبادلة

وفي سياق الحديث عن (الصهيونية المسيحية) كان للاستاذ المؤلف مطالعة موثقة عن هذه الشراكة ذات المنافع المتبادلة بين الحكام الامريكان في البيت الابيض وبين حاخامات اليهود الموزعين على مراكز القوى والفعاليات النافذة في الولايات المتحدة الامريكية، ومن المفارقات العجيبة أن نجد الرئيس الامريكي وودرو ولسن الذي شغل المجتمع الدولي في اعقاب الحرب الكونية الاولى(١٩١٤-١٩١٨م) بمبادئه الأربعة عشر، كأساس للسلام العالمي، نقول من المفارقات العجيبة، أن يبادر في ١٩١٨/٨/٣١م. إلى ارسال مذكرة إلى الحاخام ستيفن وايز يبلغه فيها موافقته على وعد بلفور - يقول فيها:

(راقبت باهتمام مخلص وعميق العمل البناء الذي قامت به لجنة وايزمان (اول رئيس للوكالة الصهيونية في فلسطين) بناء على طلب الحكومة البريطانية، وأغتنم الفرصة لأعبر عن الارتياح الذي احسست به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة، والدول الحليفة (اي انكلترة وفرنسا) منذ اعلان السيد بلفور باسم حكومته عن موافقتها على اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين).

على أن الذي يخفف من دهشتنا لهذا الموقف المستهجن لولسن والمناقض لمبادئه السلمية، هو ماذكره لنا السماك من أن والد هذا الرئيس الامريكي كان قسيسا انجيليا رباه على الايمان بأن الله اعطاه فرصة تاريخية لتحقيق الارادة الالهية بمساعدة شعب الله المختار (؟) على استعادة الارض المقدسة(فلسطين) التي خصه الله بها.

وهكذا تكون (الصيهونية المسيحية) كما سماها السماك وراء هذه المفارقة العجيبة التي بدرت من رجل السلام وودرو ولسن.

الاعلام وحسن الظن!!

في الصفحات الاخيرة من كتاب (الاصول الانجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الامريكي)، نجد مؤلف هذا الكتاب محمد السماك يدلي بدلوه مع الذين يحسنون الظن بدور الاعلام في تحويل الصهيونية المسيحية عن دروب العدوان على الحق العربي واقناعها بموالاة هذا الحق.

انه مع اقرارنا بدور الاعلام في ازاحة الباطل واقرار الحق، ومع تقديرنا لما اخذ المؤلف به نفسه في النظرة المتفائلة بالنسبة للمجهود الاعلامي في داخل امريكا الموبوءة بداء (الصهيونية المسيحية).

نقول، اننابالرغم من ذلك، نرى أن وباء (الصهيونية المسيحية) قد اخذ بخناق جميع القوى والفعاليات الامريكيةوأن الامر بلغ بهذه القوى والفعاليات إلى درجة يصح معها القول انه (فالج لاتعالج)..

وبكل محبة ندعو الصديق محمد السماك لقراءة ماكتبناه عن التلازم العضوي الوثيق بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين المؤسسة الصهيونية العالمية تحت عنوان: (الاستعمار الامريكي والحركة الصهيونية توأمان متلازمان) وذلك في كتابنا الذي اصدرناه سنة ١٩٧٨م تحت عنوان: (الامريكان في الميزان) لكيلا يقال انه يحرث في البحر.

اما بعد

وقد قمنا بجولة افق تكاد تكون كاملة وشاملة لكتاب الاستاذ محمد السماك (الاصولية الانجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الامريكي)، فانه من حق هذا الكاتب الالمعي علينا أن نشيد بالمجهود الكبير الذي عاناه في متناول موضوعه من كل النواحي التي تجعله كتابا وثائقيا من شأنه أن يهدي العرب والمسلمين سواء السبيل في تعاملهم مع الصهيونية العالمية والذين يقفون معها علانية أو من ورائها تحت اسماء وعناوين مختلفة. وانني لا اكون مبالغا اذا انتهزت هذه المناسبة وأعربت عن قناعتي الاكيدة بأن هذا الكتاب، بالرغم من صغر قطعه وقلة صفحاته يصلح لان يكون مرجعا لايستغنى عنه في مجال التوعية القومية من اجل معرفة افضل المسالك للوصول إلى مصادر العدوان على حقنا المشروع في فلسطين، جبرها الله وردها للعروبة والاسلام..

فالى المزيد من هذه الكتابات الموثقة الواعية أيها الاخ الكريم، وحفظك الله يراعا مرهف الاحساس بقضايا العروبة والاسلام وفكراً نيرا عاملا على كشف اللثام عن أباطيل الدعايات الاجنبية التي تريد اغراقنا بالاكاذيب والاوهام. والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل ■

اللفتات النابهة ١٠

إن نجاح أي مؤسسة، إنما يعتمد - بعد توفيق الله - على روح الفريق الواحد الذي تشتغل فيه المجموعة، حيث كل واحد منهم يسعى بجهده، فهذا بماله، وذا بوجاهته، وذاك بفكره وحسن تدبيره، ومن لم يملك مايعطي فبدعائه وضعفه: «هل تنصرون الا بضعفائكم» (١) ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ﴾ [الفتح/ ٢٥]. وهذا الفريق تحكمه علاقات سنحاول أن نلقي الضوء على بعضها من خلال سير سلفنا في القرن الثامن.

علاقة الداعية والعالم مع أبنائه وإخوانه

للشيخ جاسم بن مهلهل الياسين

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٢) هكذا كان الاهتمام بالأخلاق عن طريق الحق، ولم لا يكون هذا؟ وحسن الخلق مع الله يزيد في محبته؟ وكذلك التجمل مع الخلق يقربهم إلى بعضهم، فما أصبح الناس يطمع بعضهم ببعض بمال وجاه، فقد انتشر هذا بين الخلق، حتى استغنى الناس عن طلبهما، وظل الخلق يطلبون ما هو نادر من الأخلاق، ولأهميته وتميزه، كان الوصف من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم/٤]. والأخلاق يتفاضل بها الناس:

وما هذه الأخلاق إلا طبائع
فمنهن محمود ومنها مُذمم

فالفاضل من غلبت فضائله رذائله، فقدّر بوقور الفضائل على قهر الرذائل، فسلم من شَيْن النقص، وسعد بفضيلة التخصيص (٣) وحسن الخُلق عندما يضاف إلى غزارة العلم، يجتمع الخير بعضه إلى بعض، فهذا يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف الحلبي الأصل، المزي أبو الحجاج، جمال الدين الحفاظ، كان كثير الحياء والاحتمال، والقناعة والتواضع والتودد إلى الناس، قليل الكلام جدا حتى يسأل فيجيب ويجيد، وكان لا يتكثر بفضائله، ولا يغتاب أحدا، ويتوجه إلى الصالحين ماشيا، وفيه حياء وحلم، وسكينة واحتمال، وقناعة وترك للتجمل، وصبر على من يؤذيه، وكان طويل الروح، رصين الخلق جدا، لا يرد بعنف، ولا يتكثر بفضائله، ولا يكاد يغتاب أحداً، وكان ذا ديانة وتصون من الصغر. وسلامة باطن وعدم دهاء، حسن الصحبة، خيّر الطوية (٤).

هذه مجموعة من الأخلاق، جمعت بين علاقة الإنسان مع نفسه وإخوانه وتلامذته، قائمة على حسن الأدب وصفاء الطوية، وهذا ما جمع عليه في حياته ووقت جنازته، فقد كانت وفاته يوم السبت ١٢ صفر سنة ٧٤٢ بين الظهر والعصر وهو يقرأ آية الكرسي، ودفن بالقرب من ابن تيمية، وكان الجمع في جنازته متوفراً جداً (٥).

هذا هو منهج العمالقة في جمعهم بين العلم والأخلاق، وليتنا نستفيد اليوم من طريقتهم، ونتخلى عن طريق الجمع بين الجهل وجلافة الأعراب، وإن كان المزي لا يكفي دليلا، فهذا سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن قدامة المقدسي، القاضي تقي الدين، مسند العصر، قال الذهبي: كان محبا للرواية، كثير التلاوة، طيب الأخلاق، صاحب ليل وتهجد وصيام وإيثار وسماح، حليم النفس، منبسطا لقضاء الحوائج، لين العريكة، وكان لا ينهر أحدا، ويصمم على مراده بعقل وسكون، وفيه برّ بأقاربه، ولطف بالناس، وكان من حلمه أنه لما وقعت محنة ابن تيمية في سنة ٧٠٥، وألزم الحنابلة بالرجوع عن معتقدهم وهددوا، تلطف بهم وترفق، إلى أن سكنت القضية ولم يك شيئا (٦).

ولو أردنا أن نقف عند كل واحدة منها، لطال الحديث، ولكنها ومضة خير حول حلمه، وعدم نهره لأحد، مسألة يحتاجها قادة الدعوة والعلماء اليوم، فطيش الشباب وتصرفاتهم الحماسية وأغلاطهم المتكررة، تحتاج من أهل العلم والتربية إلى سعة صدر، وعدم النهر، حتى لا تكسر روح الشباب عندهم، ولا توهن جذوة الحماس في نفوسهم، ولكن في الوقت نفسه، لا تعالج المشاكل والمحن بروح الاندفاع عند الشباب، بل برجاحة عقول الكبار وتصميمهم، وسكونهم، إلى حين تجاوز المحنة والمشكلة، حيث بها حافظ قاضي الحنابلة ابن قدامة على العقيدة الصحيحة والتمسك بها في محنة أصحابها، من غير أن يورد مجاميع الحنابلة السجون والمذابح.

ومجاميع الشباب اليوم، يحتاجون إلى قيادة تأخذ بأيديهم، ليجتازوا المؤامرة الدولية على الإسلام والمسلمين وعلى الصحوة الإسلامية، وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء، ونتيجة لسعيه رحمه الله لحفظ مجامع الحنابلة، عجّل الله له بالثواب من جنس عمله، فعندما اشتد عليه الأمر في وقت «غازان التتاري» وأوذي كثيراً، وخرج من بيته بطاقية على رأسه، وعليه فروة ما تساوي خمسة دراهم، وفي رقبته حبل، فغاب إلى العشاء وجاء فسئل فقال: أوقدوا لنا نارا ليقدمونا، فإذا بصوت وصياح، فذهبوا فنظرت، فإذا أنا وحدي فرجعت إليكم (٧) وهكذا كان سببا في نجاة تلاميذه، فانقذه الله بصوت وصراخ!!

الصلة وعدم القطيعة في المخالفة

الاختلاف كما أننا ندعو إلى تقليله، ومن ثم قطعه، إلا أننا لا ننكره، ونعترف به كواقع بشري، نعمل على التعامل معه في أقل الخسائر، وهذا يحتاج إلى خلق وأدب خاص، يسمى بأدب الخلاف، كان سلفنا رضوان الله عليهم يتعاملون معه سجية وطبعاً، فهذا إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفراري الصعيدي الأصل، كان مع مخالفته لشيخ الإسلام ابن تيمية لا يهجره، ولما مات شيع جنازته وقعد لعزائه (٨).

وهذا محمود بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر شمس الدين أبو الثناء الأصبهاني سمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، فبالغ في تعظيمه، وقال مرة: أسكتوا حتى أسمع كلام هذا الفاضل، الذي ما دخل البلاد مثله (٩).

والتجاذب الذي كان بين ابن تيمية والمزي دليل آخر، فعندما تولى المزي «دار الحديث الأشرفية» بعد ابن الشريشي وباشرها، قال ابن تيمية: لم يلها من حين بنيت إلى الآن أحق بشرط الواقف منه لقول الواقف، وفي المقابل لما وقعت المناظرة بين ابن تيمية والشافعية، وبحث مع الصفي الهندي ثم ابن الزملكاني، قام المزي يقرأ كتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وفيه فصل في الرد على الجهمية، فتحرك من هو على مذهب التعطيل ضده، وأكثروا الوشاية فسجن، فتوجه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وأخرجه من السجن. وهكذا كانوا يتناصرون مع أنهم قد يختلفون فيما بينهم من المسائل، وهم لا يصرون على الخطأ إن تبين، فنرى أن الإمام المزي كان قد صحب التلمساني الصوفي، فلما تبين له ضلاله هجره (١٠).

العلماء الكبار رحمة على إخوانهم العلماء

العلماء والدعاة الكبار، يحتاجون إلى من يعينهم على مواصلة الطريق، ويخفف عنهم الوحشة الحاصلة من الغربة التي يعيشها المسلم، كلما ابتعد عن القرون الخيرة «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء» (١١).

وهذه المعادلة عرفها الكبار من سلف الأمة رحمهم الله، والذين منهم عمر بن عمران بن صدقة البلالي بن هشام بن عبدالله بن مروان الأموي زيد الدين البدوي، مع قوة إيمانه وعبادته وصلته بالله سبحانه، لدرجة أن ملك التتار اتهمه بمكاتبة المصريين بإخبارهم، فألقاه إلى الكلاب ومعه آخر، فأكلت الكلاب رفيقه ولم تؤذه، وكان في تلك الحالة ملازما للذكر(١٢) فعظم في أعينهم، وأكرموه وأقام معهم مدة يجاهد المبتدعة، ثم قدم دمشق، وعملت له مكيدة،

فسجن بقلعة دمشق حين كان شيخ الإسلام ابن تيمية بها، وهنا بدأ شيخ الإسلام بدوره كأخ كبير في التخفيف عن أخيه، فكان مما قاله له:

لا تفكرن وثق بالله إن له
ألطاف دقت عن الأذهان والفطن
يأتيك من لطفه ما ليس تعرفه
حتى تظن الذي قد كان لم يكن (١٣)

والاستفادة منهم متبادلة، قال المزي: ما التقيت مع ابن قدامة إلا استفدت منه (١٤)، وحتى إن كان بينهم نقد، فإنما يؤخذ كدافع للإتقان والإبداع، فهذا محمد بن علي بن عبدالواحد الدكالي ثم المصري، أبو أمامة بن النقاش، وعندما شرع في إلقاء التفسير في الجامع الأزهر في شهر رمضان فأكمله، بلغه أن بعض الناس استقصر علمه، ففهم أن هذه رسالة له للإبداع والإتقان، فشرع في إملاء تفسير على الفاتحة، فأقام فيه مدة طويلة، ثم شرع في كتاب التفسير، والتزم ألا ينقل فيه حرفا عن كتاب تفسير أحد ممن تقدمه (١٥). وهكذا كانت الملاحظة على تفسيره دافعا لأن تستفيد الأمة من غزارة علمه وفضله.

علاقة الود تحكم العالم والمتعلم

إن العلاقة القائمة بين العالم وطلبته، وقائد الدعوة وتلامذته، مبنية على الاستفادة والنماء، وهذه لكي تتحقق، لا بد من وجود الألفة بين الطرفين، وعدم الكلفة، كما قال جعفر الصادق رضي الله عنه: أحب إخواني إليّ من إذا كنت معه كنت مع نفسي، وهذا نراه واضحاً في سير سلفنا رضوان الله عليهم، فهذا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحراني المعروف بابن القزار جاء في ترجمته أنه كان زاهدا كثير التلاوة، صاحب نوادر ودعابة (١٦).

والعالم يهتم بالجميع فلا يدري أي التلاميذ من الممكن أن يحمل علمه وينشره، وبه يدخل الجنة، فقد يكون الضعيف اليوم غنيا صاحب جاه في الغد، يروج للمذهب وللعلم الذي أخذه، وينشره بماله وجاهه، وحقا بيّن التاريخ ﴿ وما يدريك لعله يزكى ﴾ [عبس:٣].

ولهذا وجدنا أن الإمام عبدالرحمن بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأموي الأسنوي، صاحب التمهيد والكواكب، كان فقيها ماهراً، ومعلما ناصحاً، ومفيدا صالحاً، مع البر والدين والتودد والتواضع، وكان يقرب الضعيف المستهان، ويحرص على إيصال الفائدة المعروفة، فيصغي إليه كأنه لم يسمعها، جبراً لخاطره، وكان مثابراً على إيصال البر والخير لكل محتاج، مع فصاحة العبارة وحلاوة المحاضرة، وقد أورثه هذا الخلق قبولا في الأرض واضحا، قال بدر الدين الزركشي: كانت جنازته مشهودة تنطق له بالولاية (١٧).

والعلماء مع هذا الاهتمام العام بكل الطلبة كانوا يخصّون النابهين بشيء عن الاعتناء، لأنهم هم القادة الكبار في المستقبل. فهذا الصفدي يتحدث عن محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، أبو حيان الأندلسي المولود في أواخر شوال سنة ٦٥٤ فيقول عنه: لم أره قط إلا يسمع أو يكتب أو ينظر في كتاب ولم أره على غير ذلك، وكان له إقبال على أذكياء الطلبة يعظمهم وينوه بقدرهم (١٨).

ونحن نرى أن التحصيل والتمكن من العلم، لكي يسهل عليهم التدريس والتعليم، وإيصال المعلومة إلى المتعلمين، كما أن محمد بن شرف بن عادي الكلائي، كان حسن التعليم جداً، منطرح النفس على طريق السلف، يقرّب المساكين ويعلمهم، وكان أعجوبة في تعليم العربية، يعلمها للطالب بسرعة، بحيث يرتفع عن درجة من يلحن، ومن نظمه:

سألت الله خلاقي
بنور جماله الباقي
بأن يغفر زلاتي
ويحسن سوء أخلاقي (١٩)

وعلاقة الود هذه تستلزمْ من العالم بقاء مواطن القدوة وتحملها، فهذا محمد بن علي الأنصاري الحفار الغرناطي، بقي نحوا من عامين أو يزيد، يخرج للصلوات الخمس يهادي بين رجلين لشيء كان برجله، حتى كان بعض أصحابه يقول: الحفار حجة الله على من لم يحضر الجماعة (٢٠). وحقا فعل الحفار يغني عن مائة موعظة عن أهمية ووجوب صلاة الجماعة، عامين كاملين! بالتأكيد أن الأمر لم يكن تصنعاً، بل أصبح سجية وطبيعة له في حياته، كالمنام والطعام، وهكذا مواطن القدوة مكلفة لصاحبها، مربحة في نتيجتها، مؤثرة في بنائها.

زاد في الطريق

العالم أو الداعية يحتاج إلى زاد يعينه على مواصلة الطريق، فالتحرك في المجتمعات التي خالطتها الجاهلية، في كثير من ميادينها، ينحت من زاده الإيماني وحصيلته الروحية، لذلك هو يحتاج إلى الاستمرارية في عملية التزود، ليظل العطاء الدعوي والعلمي مغلفا بإطار تربوي روحي، يعطي للكلمة أثرها، وللتوجيه جماله، والزاد الإيماني له ميادين كثيرة، وطرائق مختلفة يستفيد منها العالم، ومن هذه الميادين التفكر في خلق الله، وبديع صنعه كما بين الله جل وعلا: ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران: ١٩٠ و١٩١] آيتان عظيمتان ووقعهما كبير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال: «ويل لمن قرأها يا بلال ولم يتفكر».

هذا الكون الفسيح الذي يعيشه المسلم، في كل نظرة عبرة وآية على عظيم صفات الله سبحانه، فلو شغل المسلم تفكيره دائما بما يراه من حوله، لكان زاده عظيما من غير جهد ولا وقت، فهو يأكل الفاكهة في كل يوم، فلو نظر إلى الثمرة وكيف كانت بذرة، ثم كانت شجرة ثم جاءت الثمرة، ثمار مختلفة سقيت بماء واحد، فضل الله بعضهما على بعض في الأكل، ومثل ذلك كثير حول الإنسان وفيه وبهذا قال شرف الدين محمد بن الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب بهاء الدين رحمه الله، يقول: كان ابن دقيق العيد يقيم في منزلنا بمصر في غالب الأوقات، فكنا نراه في الليل إما مصليا، وإما ماشيا في جوانب البيت، وهو مفكر إلى طلوع الفجر، فإذا طلع الفجر صلى الصبح، ثم اضطجع إلى ضحوه (٢١).

كما أنه من المعين الصافي، الذي يعين المرء على مواصلة الطريق. المحافظة على العبادة، وسير سلفنا في ذلك كثيرة، فهذا محمد بن علي بن أبي بكر بن الأصفر قال ابن الخطيب عنه: كان فقيها ورعاً زاهدا، كثير العبادة على سنن الصالحين، مات في آخر سنة ٧٤٤ عن مرض أصابه أنهك جسمه، ولم ينقص من وظائف العبادة شيئا، حتى إنه انصرف من بعض الصلوات، فسقط واحتمل خطى يسيرة، وقضى نحبه (٢٢).

وهذه العبادة هي زاد العلماء الكبار، و لتأكيد ذلك، لننظره في وصف ابن كثير لابن القيم رحمهما الله قال: كان ملازما للاشتغال ليلا ونهارا، كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق، كثير التودد، لا يحسد ولا يحقد، ولا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه، وكان يطيل الصلاة جدا، ويمد ركوعها وسجودها، وكان إذا صلى الصبح، جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول ابن القيم عن هذه الفترة من الذكر: هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي (٢٣).

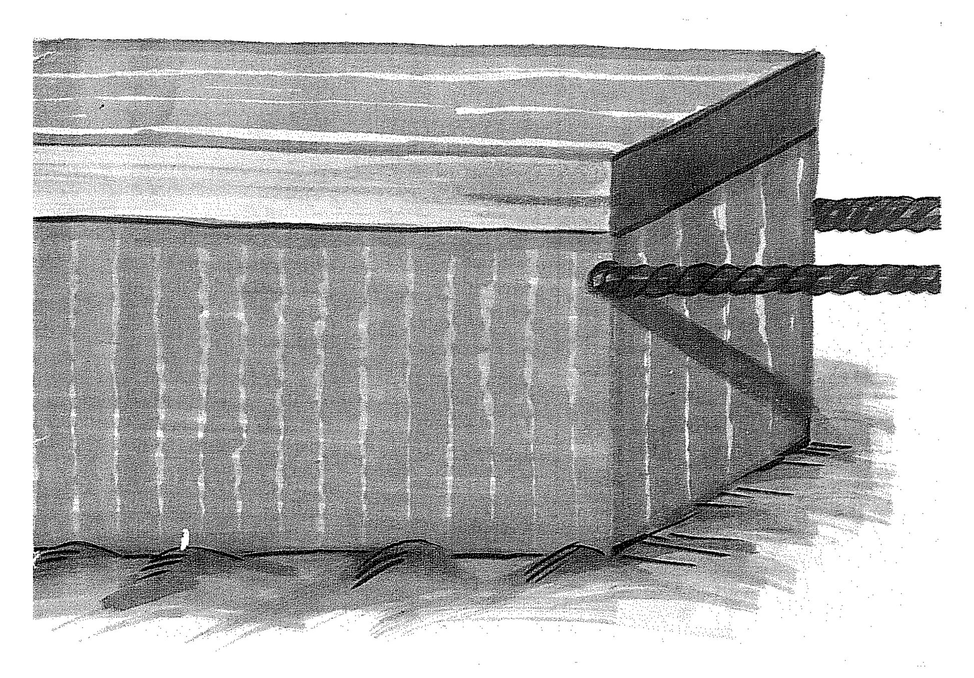
وهذا الذكر كما هو نافع للإنسان في الدنيا كذلك له أنس في حياة الوحشة والانفراد في القبر، قال سيد الدين بلبان الحسامي: خرجت يوما إلى الصحراء، فوجدت ابن دقيق العيد في الجبانة واقفا يقرأ ويدعو ويبكي، فسألته عن حالة فقال: صاحب هذا القبر كان من أصحابي، وكان يقرأ عليّ فمات، فرأيته البارحة فسألته عن حاله فقال: لما وضعتموني في القبر جاءني كلب أنفط كالسبع، وجعل يروعني فأرتعبت فجاء شخص لطيف في هيئة حسنة، فطرده، وجلس عندي يؤنسني فقلت من أنت، فقال: أنا ثواب قراءتك سورة الكهف يوم الجمعة (٢٤). وهذه الصلة بالله سبحانه أوجدت نوعا من العزلة عن الدنيا وبهرجها فهذا محمد بن صالح الحموي: كان يلازم العبادة لا يعبأ بالدنيا، وأقام مدة لا يأكل لحما ولا فاكهة، ومات على ذلك سنة ٧٣٤هـ (٢٥).

وهذا الزاد يتحصل للمسلم بصفاء نيته لله سبحانه ومن سيرة محمد بن علي بن عمر بن يحى الفسّاني نعرف ذلك ابن الخطيب: كان من أهل العلم والدين كثير الحياء وحسن السمت له عناية بالقراءات والعربية مبارك النية والتعليم (٢٦).

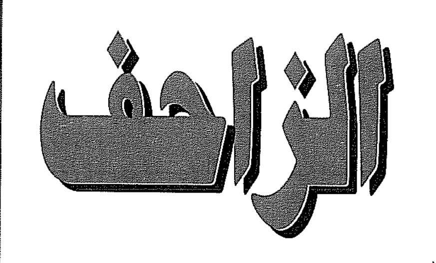
الهوامش:

١) أخرجه البخاري، فتح الباري، رقم ٢٨٩٦.
٢) الأحاديث الصحيحة، رقم ٤٥.
٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، ٦-٧.
٤) الدرر الكامنة، ت: ٥١٢٢، ٥/٢٣٣-٢٣٦.
٥) الدرر الكامنة، ت: ٥١٢٢، ٥/٢٣٦-٢٣٧.
٦) الدرر الكامنة، ت: ٨٣٧، ٢/٢٤٢.
٧) الدرر الكامنة، نفس الترجمة، ٢/٢٤٢.
٨) الدرر الكامنة، ت: ٨٨، ١/٣٥.
٩) الدرر الكامنة، ت: ٤٧٥٢، ٥/٩٤.
١٠) الدرر الكامنة، ت: ٥١٢٢، ٥/٢٣٤.
١١) أخرجه مسلم، رقم ١٤٥.
١٢) حدثني الثقات أن مثل هذا الأمر مع الكلاب حدث للحاجة زينب الغزالي عندما تعرضت للتعذيب وأطلقت عليها الكلاب في السجن.
١٣) الدرر الكامنة، ت: ٣٠٤٧، ٣/٢٥٧.
١٤) الدرر الكامنة، ت: ٣٠٤٧، ٣/٤٢٢.
١٥) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٧٣، ٤/١٩٠.
١٦) الدرر الكامنة، ت: ٣٤٥٤، ٣/٤٤٤.
١٧) الدرر الكامنة، ت: ٢٣٨٦، ٢/٤٦٤.
١٨) الدرر الكامنة، ت: ٤٦٩٣، ٥/٧٠.
١٩) الدرر الكامنة، ت: ٣٧٣٩، ٥/٧٣.
٢٠) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٨٧، ٥/١٩٩.
٢١) الدرر الكامنة، ت: ٤/٢١٣.
٢٢) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٩٧، ٤/٢٠٣.
٢٣) الدرر الكامنة، ت: ٣٥٨٦، ٤/٢١.
٢٤) الدرر الكامنة، ت: ٤/٢١٤.
٢٥) الدرر الكامنة، ت: ٣٧٤٩، ٤/٧٧.
٢٦) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٨٢، ٤/١٩٦.

قال الراوي: وكأن ريح الجنة هبت على رهبان الليل وفرسان النهار، من جند يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.. لقد خرجوا غزاة في سبيل الله الى أرض الروم.. فراح كل منهم يتنسم أريجها.. لاتكاد تسمع منهم إلا حمحمة الخيل وقعقعة السلاح.. وشيخ جليل يركض به جواده العربي الاصيل ركضة الشباب.. ربما ناء جسده النخيل بما يحمله من سلاح.. ولكن قسمات وجهه تحمل إصرار جيش بأسره.. ويالبريق عينيه!!







التابوت الزاحف

بقلم: محمد محمود عبد المجيد

ها هو ذا على صهوة جواده يكاد يسبق من حوله.. بل يمد قامته بين الحين والحين، وكأنه يتحدى مايحمله كاهله من سنين، فإذا ماحدث جند الله من حوله.. أفاض عليهم بوجهه الملائكي المضيء أمنا وإيمانا.. لا تملك معهما إلا أن تقول: هذا رجل كان يوما ما صاحب النبي!!

هو خالد بن زيد بن كليب.. أو كما تسميه كتب السيرة «أبو أيوب الأنصاري» رضى الله عنه، صاحب رسول الله ﷺ.. كم هفت نفسه ان يموت تحت ظلال السيوف.. وقد كان.. هاهو ذا يخرج مجاهدا في سبيل الله مع هذا الجيش الزاحف الى الشمال.. وقع سنابك الخيل لم يصرفه عن عالمه الخاص.. عن عالم الذكريات بعيدا هناك..

إنه مايزال يذكر يوم تعطرت أجواء المدينة المنورة بأنفاس حبيبه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في هجرته المباركة.. نعم راح يذكر موكب الهجرة وما كان له أن ينساه..

وذرفت عيناه.. ياطالما متع ناظريه بمرأى حبيبه صلوات الله وسلامه عليه.. وكأن الشمس تجرى في جبينه..

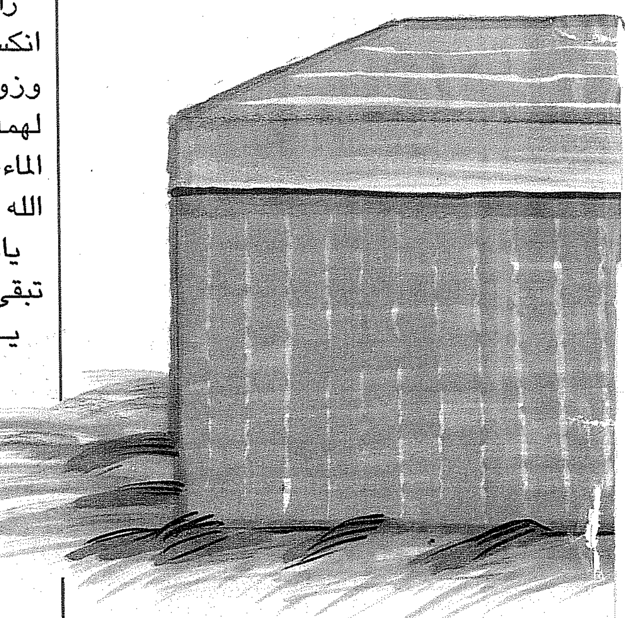
هذه ناقة رسول الله ﷺ.. يكاد يراها الآن مائلة أمام ناظريه..

صوته الحبيب يأخذ بمجامع نفسه.. لقد هزه الشوق والحنين.. الصوت الحبيب الآن ملء فؤاده.. يا سبحان الله! حتى جواده الأصيل كأنه يصيخ السمع!!

الناقة القصواء الآن على مشارف المدينة.. إنها تمضي تخفق من حولها القلوب وقد استنار بصاحبها المكان كله.. وكل يريد ان يكون رسول الله ﷺ ضيفه.. الصوت الحبيب مازالت تردده السهول والجبال حوله: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة».. هاهي ذي الناقة المباركة قد تجلجلت ووضعت باطن عنقها عند بابه.. عندبابه هو !!بخ بخ لك ياأبا أيوب!!إنه يذكر ذلك تماما..

يذكر كلماته ساعتها لحبيبه عليه الصلاة والسلام: «ائذن لي يارسول الله ان انقل رحلك الى داري «فيجيبه الصوت الحبيب..

«نعم.. يا أبا أيوب!! والمرء مع رحله!! وفاضت به الذكريات.. دمعه الآن يجري غزيرا على وجهه الحبيب.. يالله!! حتى بنات بني النجار يكاد يسمع أنشودتهن من جديد عبر خمسين عاما من عمر الزمن.. يكاد يسمع قرع دفوفهن!! الكلمات ماتزال في أذنيه غضة طرية كأنها حديثة



العهد بنسمات النبوة الطاهرة..

نحن بنات من بني النجار..

ياحبذا محمد من جار..

ويعود الصوت الحبيب يلح عليه.. يقول لهن: «أتحببنني؟»..

فيقلن: «نعم!! نحبك يارسول الله».. فيجيب وكأن وجهه فلقة بدر: «وأنا والله أحبكم..وأنا والله أحبكم»..

راح أبو أيوب يربت على كاهل جواده الذي شارك صاحبه شوقه وحنينه فعلا شهيقه وزفيره.. وثقفت خطاه..والصحابي الجليل هناك بعيدا بعيدا مع الذكريات.. خمسون عاما من عمر الزمان.. ضيفه الحبيب ساعتها يساكنه داره سبعة أشهر كاملة.. يالتواضعه صلوات الله وسلامه عليه.. ينزل أسفل الدار!! الصحابي الجليل يذكر كلماته ساعتها: «بأبي أنت وأمي يارسول الله.. هذا والله لن يكون! إني أكره أن أكون فوقك وتكون أسفل الدار». فيجيبه بكلماته الحانية وإنها الآن لتلح عليه من جديد «ياأبا أيوب إنه أرفق بنا أن نكون في أسفل لما بغشانا من الناس!!»..

راح يذكر هذا كله.. يذكر جرته وقد انكسرت.. رحم الله أم أيوب.. قام وزوجه ساعتها بقطيفة لهما ليس لهما من لحاف غيرها ينشفون بها الماء، فرقا من أن يصل منه الى رسول الله مايؤذيه..

ياطالما تيمما موضع أصابعه، فيما تبقى من طعامه، يتلمسون بركته.. ياللذكريات!! بل يذكر طعاما أهدياه إليه فيه بصل وثوم.. لقد عاد كما هو لم تمسه يده الشريفة.. وليقول صاحب أزكي نفس حين سألاه: «إني وجدت ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه!!»..

ومضى الركب.. وجند الله تطوى لهم الصحراء تحت سنابك الخيل وقد اشتدت حمارة القيظ..

وأغفى إغفاءة!! لقد كاد يسقط بها من على ظهر جواده، ولكنه ظل متشبثا بالركاب.. وتوقف ركب الذكريات لتكون ذكرى حبيبه اخر عهده بدنيا الناس!!وراح الجواد الأصيل وكأنه ينعى صاحبه بصهيل كان أقرب الى تحية وداع!! وصاحبه هناك في النزع الأخير..

قال الراوى:

ويمضى جند الله في عزم وإصرار.. والقائد الشاب يزيد بن معاوية يشق بهم كبد الصحراء..

صاح أحدهم في هدأة من الليل: أيها الأمير.. أدرك أبا أيوب..

لقد راح مكبا على قربوس فرسه من الحمى!!

وسارع اليه يزيد.. فلما حاذاه قال: «ياصاحب رسول الله ألم أكن قد خلفتك ورائي؟» وانتزع الشيخ المهيب الكلمات انتزاعا لتكون آخر ماقال: «سامحك الله يابني!! اكنت تحرمني شرف الغزو في سبيل الله؟ أنسيت قول الله عز وجل ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ والله ماأجدني إلا خفيفا أو ثقيلا!!

يابني: اذا انا مت فسغ بي بعيدا.. سغ بي بعيدا في أرض العدو ماوجدت مساغا..وادفني هناك.. دعني أسمع حوافر الخيل وأنا في رحاب الله..

يايزيد!! لقد سمعت ان رجلا صالحا يدفن تحت أسوار القسطنطينية فأنا أرجو.. أرجو أن أكونه.. «وأسلم الروح»..

وصاح القائد الزاحف: «إلى رحمة الله ..والله لئن لم تبلغها حيا لتبلغنها ميتا!!ياجند الله..غسلوه وكفنوه.. وضعوه في تابوت يمضي أمام الجيش..ناشدتكم الله ان تقاتلوا دونه حتى يدفن حيث أراد!!» وذرفت عيناه!!

قال الراوي:

وأطل جند الرومان من فوق أسوار القسطنطينية على أغرب ما تراه عين: جيش المسلمين القادم يتقدمه تابوت زاحف، والجميع حوله يكبرون!!

إنهم يتدافعون الى حمله وقد حمى الوطيس، كلما سقط دونه شهيد قام مكانه أخوه..

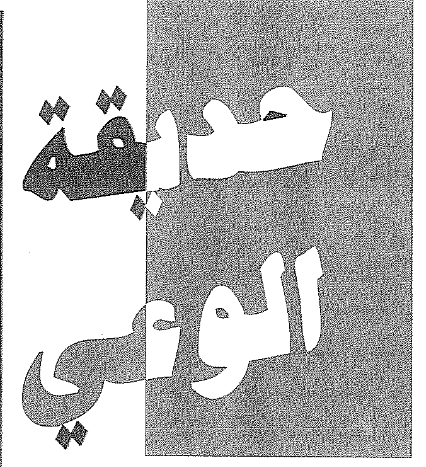
واشتد الحصار..ونزل الرومان على شروط الصلح مع يزيد..

وعند أسوار القسطنطينية رقد الصحابي الجليل.. وقد سعدت روحه بوقع حوافر الخيل وتكبيرات الجند..

وحين أشرف أهل القسطنطينية على المكان يقولون لأصحاب التابوت: لقد كان لكم الليلة شأن !!

قالوا: نعم!! هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا ﷺ.. وأقدمهم في ديننا.. لقد نذر ان يدفن عند أسواركم فكان ما رأيتم..

قال كبيرهم: «لن نكون أقل وفاء منكم بصاحب نبيكم.. والله لنسرجن له ماحيينا.. وسجل التاريخ خبر التابوت الزاحف! تابوت أبي أيوب□



إعـــــداد:
حسين كتاب العتيبي

فرصة

قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في كل يوم، مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك» [اخرجه البخاري].

ارشادات وحكم

١- قال تعالى: ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف/٦٧].
٢- «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم» [رواه الطبراني باسناد حسن].
٣- «الكلمة الطيبة صدقة» [أخرجه ابن حزيمة وابن حبان وصححه].
٤- لا تَعد بما لا تقدر عليه.
٥- لا تقل بغير تفكير ولا تعمل بغير تدبير.
٦- أصلح نفسك يصلح لك الناس.
٧- لا خير في لذة بعدها النار.
٨- لا تغتر بحلم الله.
٩- من عرف الله خافه.
١٠- لا تقدم على عمل لا تطيقه.

صور من مزاح الصالحين

● قال أحد الصالحين عن محمد بن سيرين - رحمه الله - «كان يداعبنا ويضحك حتى يسيل لعابه، فإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك».
● كان الصحابة رضي الله عنهم يتحاذفون البطيخ فيما بينهم، ولكن إذا جد الأمر كانوا الرجال. وسئل النخعي: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ: يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي.
● جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق.

دعوة إلى

أنا العبد الذي كسب الذنوبا
وصدته الأماني أن يتوبا
أنا العبد الذي أضحى حزينا
على زلاته قلقا كئيبا
أنا العبد الذي سطرت عليه
صحائف لم يخف فيها الرقيبا
أنا العبد المسيء عصيت سرا
فمالي الآن لا أبدي النحيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمري
فلم أرع الشبيبة والمشيبا
أنا العبد الغريق بلج بحر
أصيح لربما ألقى مجيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا
وقد أقبلت ألتمس الطبيبا
أنا العبد المخلف عن أناس
حووا من كل معروف نصيبا
أنا العبد الشريد ظلمت نفسي
وقد وافيت بابكم منيبا
أنا العبد الفقير مددت كفي
إليكم فادفعوا عني الخطوبا
أنا الغدار كم عاهدت عهدا
وكنت على الوفاء به كذوبا
أنا المقطوع فارحمني وصلني
ويسّر منك لي فرجا قريبا
أنا المضطر أرجو منك عفواً
ومن يرجو رضاك فلن يخيبا
فيا أسفي على عمر تقضى
ولم أكسب به إلا الذنوبا
وأحذر أن يعاجلني ممات
يحير هول مصرعه اللبيبا
ويا حزناه من حشري ونشري
بيوم يجعل الولدان شيبا

سابقة للرجال

عن الشعبي ، قال: قدمت أسماء من الحبشة، فقال لها عمر: يا حبشية سبقناكم بالهجرة.
فقالت: لعمري، لقد صدقت: كنتم مع رسول الله ﷺ : يطعم جائعكم. ويعلّم جاهلكم، وكنا البعداء الطرداء، أما والله لأذكرن ذلك لرسول الله. فأتته. فقال: «للناس هجرة واحدة، ولكم هجرتان» [صححه الحاكم].

حكم وأمثال

- إذا جاء القدر عمي البصر.
- ان غلبت على القول لم تغلب على السكوت.
- لا ينطق لسانك إلا على ما يتسع به بنانك.
- حفظك مافي يدك خير من طلبك مافي يد غيرك.
- إذا جهل عليك الأحمق، فالبس له سلاح الرفق.

نعمة بلقمة

كان لامرأة ابن فغاب عنها غيبة طويلة، وأيست من رجوعه فجلست يوما تأكل فوقف بالباب سائل يستطعم فامتنعت من أكل اللقمة وحملتها مع تمام الرغيف فتصدقت بها، وبقيت جائعة تلك الليلة، وماهي إلا أيام يسيرة حتى قدم ابنها وأخبرها بشأنه كيف أن الله أنجاه من أن يكون فريسة لذلك الأسد الذي اعترض طريقه حتى إذا أنشب مخالبه في مرقعته وبرك عليه يفترسه قيض له سببا فقام الأسد عنه مهرولا، يقول فلحقت بالقافلة التي كنت فيها.
فنظرت المرأة – الأم – فإذا هو الوقت الذي أخرجت اللقمة من فيها، وتصدقت بها وصدق الرسول ﷺ : «صدقة السر تقي مصارع السوء».

مفاتيح الخير والشر

- مفتاح العلم: حسن السؤال وحسن الإصغاء.
- مفتاح الإجابة: الدعاء.
- مفتاح الإيمان: التفكر في آيات الله ومخلوقاته.
- مفتاح الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوى.
- مفتاح كل إثم: الخمر.
- مفتاح الخيبة والحرمان: الكسل وحب الراحة.
- مفتاح البخل وقطيعة الرحم: الشح والحرص.

نيل المعالي

لا يرهب المرء مالم تبد سطوته ... لولا السنان استوى الخطيّ والقصب
ان النهوض إلى العلياء مكرمة ... لها التذاذان: مشهور ومرتقب
والملك صنفان: محصول وملتمس ... والمجد نوعان: موروث ومكتسب
والناس ضدان: مرزوق ومحترم ... تحت الخمول ومعضوب ومغتصب
والطاهر النفس لا ترضيه مرتبة ... في الأرض الا إذا انحطت لها الرتب
والفضل كسب فمن يقعد به نسب ... ينهض به الافضلان: العلم والحسب

الولد شبيه أبيه

كان لمحمد بن بشير الشاعر ولد جسيم، فأرسله في حاجة فأبطأ عليه، ثم عاد ولم يقضها، فنظر إليه، ثم قال:
عقله عقل طائر * وهو في خلقه جمل
فأجابه:
مشبه بك أبي * ليس لي عنك

صورة الشيطان

قال الجاحظ: أتتني امرأة وأنا على باب داري فقالت: لي إليك حاجة وأريد أن تمشي معي، فقمت معها إلى أن اتت بي إلى صائغ وقالت له: مثل هذا! وانصرفت، فسألت الصائغ عن قولها، فقال: إنها أتت إليّ تسألني أن أنقش لها على خاتم صورة شيطان. فقلت لها: مارأيت الشيطان لأنقش صورته! فأتت بك وقالت ما سمعت!

هل قلت

قيل إن أبا بكر (رضي الله عنه) رأى رجلا بيده ثوب فقال له: هو للبيع؟ فقال الرجل لاأصلحك الله. فقال الصديق: هلا قلت لا، وأصلحك الله، لئلا يشتبه الدعاء إليّ بالدعاء عليّ!

أدرك قومك

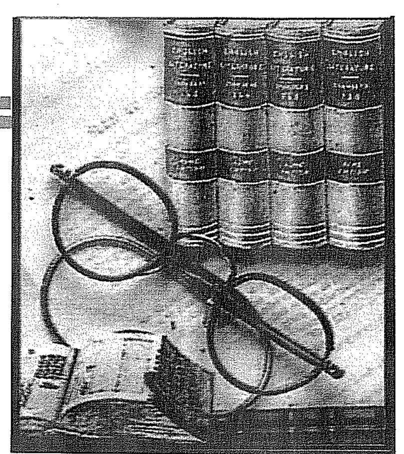
يقال: إنه أقبل رجل على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: ما اسمك؟ فقال الرجل: شهاب بن حرقة، قال: ممن؟ قال: من أهل حرة النار، قال: وأين مسكنك؟ قال: بذات لظى، فقال له (رضي الله عنه): أدرك قومك فقد احترقوا، فكان كما قال.

بيوت العرب

قال المبرد: بيوت العرب ستة: قبة من أدم، وظلة من شعر، وخباء من صوف، وبجاد من وبر، وخيمة من شجر، وقنة من حجر.

تعبير الرؤيا

رأى الحجاج بن يوسف في منامه كأن جاريتين من الحور العين نزلتا من السماء، فأخذ الحجاج احداهما، ورجعت الأخرى إلى السماء، فبلغت رؤياه ابن سيرين، فقال هما فتنتان يدرك إحداهما.. ولا يدرك الأخرى، فأدرك الحجاج فتنة ابن الأشعث ولم يدرك فتنة ابن المهلب فكان كذلك.



ثمرات المطابع

إعداد: التحرير

فصول في أدب الطفل المسلم

○ عبد التواب يوسف

○ النادي الأدبي الثقافي – جدة

○ الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

الكتابة للأطفال ليست شيئا جديداً، منذ (هانز أندرسون).. أما (ثقافة الأطفال) فهي قبل (عبدالتواب يوسف) كانت تعني مجرد تعليمهم وتعريفهم ببعض الأولويات، وكانت تهدف إلى تهذيبهم وترتيبهم، داخل المدرسة وخارجها، وجاء هو لكي يبلور فكرنا تجاه هذه القضية التي أعطاها عمراً..

إن التعليم لا يكفي، والتربية ليست كل شيء، بل لابد من تثقيف عقل الطفل ووجدانه، يجب أن نثقف عينيه بالجمال، وأذنيه بالنغم، ويديه بالعمل واللعب، لكي نصنع من عقله شيئا جديداً، وفي وجدانه نخلق عالما فريداً.. فذاً..

كان هناك برامج للأطفال في الإذاعة، وكتب تصدر لهم، ثم أصبحت لهم أفلام تعرض على الشاشة الكبيرة والصغيرة، وأضحى لهم مسرحهم؟ العرائس والبشرى، إلى جانب المجلات والصحف والكتيبات التي تصدر لهم.

وهذا الكتاب فصول متناثرة – كما يذكر المؤلف – حول أدب الطفل المسلم.. إذ إنها تحتوي على أفكار لتكون منهاجاً للكتابة الدينية للأطفال، وتكون هادية للآباء على وضع الأبناء على طريق الإيمان.

الاسلام في الحاضر

○ فيرنز ايندني (كاتب ألماني)

○ ميونخ – المانيا

○ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

يتضمن الكتاب دراسة تاريخية تحليلية للاسلام وتطور مسيرة العالم الاسلامي في المراحل الحضارية المختلفة وذلك من خلال: الجغرافيا والسياسة والثقافة والاقتصاد. وقد قسم الكاتب موضوعه إلى عدة اقسام تسهل له حصر دراسته المقارنة منها: التاريخ السياس للاسلام، ودور الاسلام السياسي المعاصر، والثقافة المرتبطة بالحضارة الاسلامية.. وقد عقد الكاتب مقارنة بين الثقافة الاسلامية (مراعيا تنوعها) وثقافات الادب الفرنسي والالماني..

الطب الروحاني

○ تأليف: ابو الفرج، جمال الدين ابن الجوزي

○ تحقيق: عبد الله بدران

○ دار الخير – بيروت / دمشق

○ الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م

يتكامل بناء الشخصية الإسلامية ما بين حاجات الروح وحاجات الجسد، وبالتوازن بينهما ينشأ المجتمع الإسلامي الفاضل، الذي يقيم حياته على أرفع مستوى من التعامل، وعلى أرسخ الأسس في التنزه..

ومن اطيب ما ترك السلف للخلف كتب الاخلاق والتزكية والتربية، ومهمتا تهذيب سلوك الانسان، وتقويم اعوجاجه، وإيقاظه من غفلته ورقاده، وإصلاح نفسه ظاهراً وباطناً، وتوجيهه نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

وكتاب (الطب الروحاني) للإمام ابن الجوزي صاحب (صيد الخاطر) و(اللطائف) و(المدهش) و(تلبيس إبليس) غيرها مما جعل له قصب السبق في ميدان التربية والتزكية،

وهو يعرض فيه خفايا النفس البشرية وأمراضها ووساوسها وخطراتها، ويفصّل عللها، ويفسّر مراميها وغاياتها، ويحلل طباعها وتصرفاتها، ولا يكتفي ابن الجوزي بالعرض بل يتجاوز ذلك ليضع الحلول ويصف الأدوية المعينة على تهذيب النفس والتخلص من شرورها مما يجعل الكتاب احد غايات المهتمين بعلل النفوس وأدوائها..

النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية

(اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية)

○ أبو سليمان، عبدالحميد أحمد

○ نقله إلى العربية وعلق عليه وراجعه: ناصر أحمد البريك

○ ط ١- الرياض: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

يتطرق هذا الكتاب كما يذكر المترجم إلى الطرق والمناهج التقليدية التي ناقشت وحللت الظروف والعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مر بها التاريخ الإسلامي الأول «في صدر الإسلام»، وما لحق بالأمة الإسلامية ودار الإسلام وسلطة الخلافة من تغيرات، بيد أن هذه المناهج لم تعد لها القيمة العلمية والدور البناء التي كانت تقوم به في السابق نتيجة لأسباب عديدة وعوامل مختلفة آخذين في الحسبان عاملي الزمان (التاريخ والبيئة) والمكان (الموقع الجغرافي)، وبالتالي حدثت الأزمة والتي تعني بمعناها الواسع أزمة الفكر الإسلامي بما في ذلك الفقه السياسي والدولي.

ولذا فإن هذا الكتاب يسد نقصا شديدا في المكتبة العربية والإسلامية لا من حيث تطرقه، وبشكل علمي تحليلي، للمفاهيم الإسلامية المتعلقة بموضوع العلاقات بين الدول فحسب. والمسمى تاريخيا بفقه السير، بل إنه أيضاً يعطي نظرة موضوعية وفاحصة لما هية العلاقات الدولية الإسلامية حاضراً، ومايجب أن تكون عليه مستقبلاً.

كما تدور معالجة الكتاب حول قضية التجديد والمعاصرة التي تشغل بال الكثير من المسلمين المستنيرين في مسايرة ومواكبة الواقع المعاش والمتغيرات الطارئة المستمرة بطريقة أكثر ملاءمة وأعم فائدة من أجل تحقيق علاقات دولية تربط فيما بين الدول الإسلامية ذاتها أولاً، ثم مع غيرها من دول العالم ثانياً، وتتميز بطابع عصري وحضاري في سبيل عالم يسوده التعاون والعدل والمشاركة والأمن والسلام.

دليل المؤلفات الإسلامية في المملكة العربية السعودية (١٤٠٠ - ١٤٠٩هـ)

○ يوسف، محمد خير رمضان

○ ط ١ - الرياض - دار الفيصل الثقافية، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م

يرصد هذا الدليل ما نشر في المملكة العربية السعودية من الموضوعات الإسلامية خلال عقد من الزمن. ويضم أكثر من ثلاثة آلاف عنوان، وزعت هذه العناوين على موضوعاتها بطريقة علمية منظمة، وقسمت على فروعها، ورتبت هجائيا.

وألحق ثلاثة كشافات بهذا الدليل:

أولاً: كشاف العناوين، حيث تم ترتيب جميع العناوين الواردة في الدليل حسب ترتيب الحروف الهجائية، وضمت إليها العناوين الواردة ضمن مجاميع الكتب، والعناوين البديلة، أو المشهورة بها. وقد أحيلت هذه العناوين إلى أرقامها الأساسية وليس العناوين الأصلية.

ثانياً: كشاف السلاسل، ورتبت فيه هجائياً، واتبع فيها كل كتاب برقمه العام في الدليل.

ثالثاً: كشاف المؤلفين ومن في حكمهم، جمعت فيه أسماء المؤلفين، والمؤلفين المشاركين - ما لم يتجاوزوا الثلاثة - والرواة، والمحققين، والمعلقين، والشارحين، والمترجمين، والمعدّين، والمحررين.

النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى

○ أقلانية، المكي

○ ط ١-١٤١٣ هـ- الدوحة -

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

يشكل هذا الكتاب إسهامة بارزة في تبصير المسلم المعاصر، بنضج المنهج النبوي، الذي تمثل في مناهج المحدثين، وغيرهم منذ وقت مبكر.. هذا التاريخ التعليمي، الذي لايزال يشكل سبقا في بعض جوانبه إلى اليوم، لكن تبقى المشكلة في عجز المسلم المعاصر، عن تمثل التراث وفقهه وامتلاك القدرة، للامتداد به في ضوء فهمه للعصر، واعتبار ذلك عبادة من أسمى العبادات، يحكمها الإخلاص في النية، والصواب في الوسيلة، والاحتساب في الأجر.

وقد جعل المؤلف كتابه في خمسة فصول:

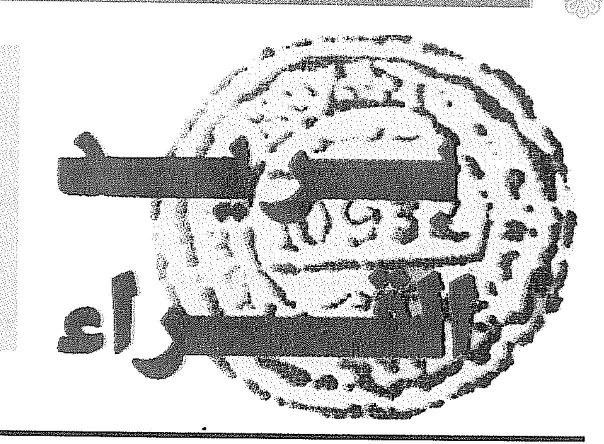
الفصل الأول: يتعلق بحلقات العلم من حيث ظهورها وشيوعها ونظامها.

الفصل الثاني: يتعلق بالمذاكرة وتطور دلالتها وأهدافها ومكانتها.

الفصل الثالث: خاص بالرحلة في طلب الحديث، ومدى توسع أهدافها، وقيمتها.

الفصل الرابع: يرتبط بالإشراف التربوي والتعليمي عند المحدثين، ومزايا ذلك.

الفصل الخامس: يدرس خصائص التعليم عند المحدثين.



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

المسلمون والحذر من تغيير دلالة المصطلح

الإسلام بوصفة اصطلاحاً فنياً يدل على نظام المعتقدات والشعائر المبنية على القرآن الكريم، ومشتق من استخدام فعل [أسلم] بمعني استسلم او انقاد، للدلالة على الموقف الذي يميز المؤمن الحقيقي في علاقته مع الله، فسلم نفسه لله يعبده ويلتزم بأوامره وينتهي عن نواهيه في كل ما يضفي على المجتمع الإنساني الخير والطمأنينة والعدل.

والإسلام من حيث انه دين لا يتغير، فدين الله واحد وإن اختلفت شرائع الأنبياء تبعاً لاختلاف الزمان والمكان، والدليل على أن الدين لا يختلف قوله تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى بة نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ﴾ [الشورى:١٣]، طالع الموسوعة الإسلامية الميسرة [أ. ر. جب، و ج. هـ. كالمرز، ترجمة راشد البراوي، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٨٥، ص٨٤ وما بعدها] وتأتي الآيات القرآنية مبينة دلالة المصطلح على النحو التالي:

الآيات القرآنية والمصطلح

- ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [النساء:١٢٥]. الإسلام يعني: الانقياد لله متبعا اوامره ومنتهيا عن نواهيه.

- ﴿ فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ﴾ [الجن:١٤]. الإسلام يعني الرشد، والرشد دال على البصيرة والهدى وتمييز الطيب من الخبيث. ﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾ [آل عمران:٢٠].

- ﴿ فمن يرد أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ [الأنعام:٣٥]. الإسلام يعني: الهدا ية، والهداية تعني عدم التخبط، والاستقرار والأمان.

- ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ [القلم:٣٥]. الإسلام يعني كل المعاني التي تتناقض مع كل معاني الاجرام.

- ﴿ كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ [النمل:٨١]. ﴿ وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ [المائدة:٣ المائدة]. الإسلام يعني دوام النعم مادية أو كانت معنوية.

الأحاديث الشريفة والمصطلح

- وكذا الأحاديث النبوية الشريفة مبينة المعنى الاصطلاحي للإسلام كما يلي:

- «المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يحقره بحسب امريء من الشر أو يحقر أخاه المسلم» [رواه مسلم عن أبي هريرة].

- «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» [البخاري].

- «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» [رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة] المسلم يعني: المحبة، الإخاء، التعايش السلمي، احترام حقوق الآخرين.

التحذير من تغيير المصطلح

على ما تقدم يجب على المسلمين أن يحرصوا أينما وجدوا على المعنى السامي للإسلام منهج الحياة، إلا أن بعض الظواهر المعاصرة التي تحدث في بقاع العالم العربي والإسلامي، مثل ظواهر العنف والتطرف، تلك التي يقوم بها الأفراد والجماعات تجعل الاعلام المسموع - وهو يواجه هذه الظواهر - يستخدم مصطلحات مثل: الجماعات الإسلامية، الجهاد الإسلامي، أنصار السنة، الأصوليون الإسلاميون.

ولا تكاد أن تجد عينك في الصحف المقروءة، أو تنصت بأذانك حتى تجد مصطلح الإسلام والمسلمين وسط ركام من الألفاظ التي لا تمت بالإسلام بصلة، مثل القتل والإرهاب، والعنف، والدماء، والتخريب والتعصب الديني، ورفض الحوار، واستخدام القوة، واللاإنسانية، واستبعاد الاسلاميين، والحرب ضد اللاسلاميين، في حين ان ظواهر العنف والتخريب تحدث في كل بقاع العالم، ولا نكاد نجد إعلاما يقيم علاقة بين هذه الظواهر وبين الديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية، أو غير ذلك من الملل والنحل، مع ان القائمين بهذه الاعمال كثيرا ما يحركها الدافع العقائدي، والعالم لا ينسى ما حدث في الهند من هدم مسجد إسلامي كبير، ومع ذلك؛ كما قلنا؛ لم نسمع إعلاما أسند إلى هذه الأفعال المجرمة إلى جماعة أو فئة ذات عقيدة معينة.

إن مثل هذه الصورة التي يجب ان ينتبه إليها المسلمون جميعاً تفرض عليهم أن يبحثوا عن مصطلحات أخرى تنضاف، إلى هذه الجماعات أو هذه الطوائف، سواء كانت هذه الطوائف على حق فيما تذهب إليه، أم كانت على ضلالة من أمرها، لا يجب أبداً أن يتجاور مصطلح الإسلام والمسلمين مع هذه المعاني التي هيأت لأعداء الإسلام ان يتعرفوا - عن طريق هذ الاعلام المكثف الذي يلف الكرة الأرضية بسرعة مذهلة - على الإسلام على أنه القتل والعنف إلى غير ذلك مما قلناه سابقاً، وكأننا نسوق لهم

تعريفا جديدا للإسلام والمسلمين لا يمت لدلالة مصطلح الإسلام الحقيقي بأي صلة، بل أن الحقدة على الإسلام يرّجون كثيراً غير ذلك في المحافل الدولية مبررين لأنفسهم هجومهم على المسلمين والإسلام، إما بالصمت تجاه انتهاك الأعراف الدولية، أو مساندة كل المحاولات التي من شأنها حصار الإسلام والمسلمين وكسر شوكتهم.

ولا نكاد نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا أن من بين الأسباب التي تجعل الغرب يصم آذانه للمسلمين في البوسنة ولبعض الأقليات الإسلامية في كثير من بلدان العالم، هذه الصورة التي ينقلها الإعلام عن الإسلام و المسلمين مقرنا إياه بمعان، الإسلام منها بريء تماما، بل هو لكل معاني السمو والحياة الفاضلة والمتآخية يدعونا وينتظر. فلنعد صياغة الحديث في إعلامنا بعيداً عن تجاور مصطلح الإسلام، مع ألفاظ لا تتعايش ولا تجاور أبداً مفهوم الدين الإسلامي الحنيف على النحو الذي بيناه سابقاً، نقول إنه يجب أن ننتهي سريعاً عن ذلك ونحن نعالج عنفاً وتطرفاً وقع في ديار المسلمين حتى لا تتغير دلالة المصطلح في مدونات يقف عليها أعداء الإسلام ومروّجين لها بما أتوا من تكنولوجيا الاتصال والنشر، نقول إننا يجب أن ننتبه، لذلك حتى لا تتبدل دلالة المصطلح بدلاً من (الاستسلام لله والانقياد له)، تصبح دلالته: (الاستسلام والانقياد للعنف والتخريب والتعصب)، وكل ذلك عند أقوام وأمم نحن مأمورون لدعوتهم إلى الإسلام دين الحضارة والتقدم، ليظل دائما مصطلح الإسلام والمسلمين في كل بقاع العالم مرادفاً لكل معاني الحب والعدل والاخاء.

محمد سيد أحمد - كلية الآداب - جامعة طنطا

العمل.. عبادة

العمل هو المصدر الطبيعي لحصول الانسان على ما يصلح أن يكون شيئا يتعامل به وجرى في الحياة مجرى النفع والتبادل.

ولم يكتف الاسلام بالدوافع الطبيعية التي تدفع الإنسان الى العمل والضرب في وجوه الأرض ليحصل حاجاته ويحقق مطامحه وآماله. لم يكتف الإسلام بهذه الدوافع الطبيعية بل عمل على إيقاظها وحمايتها من آفات التواكل التي قد تتساقط علي بعض النفوس الضعيفة فتمسك بها عن السعي والجد وتقيمها في ظل الدعة والسكون الذي هو أشبه بسكون أهل القبور.

لم يكتف الاسلام بهذا بل رفع مكانة العمل والعاملين إلى درجة العبادة والعابدين، وقد عالج الإسلام كافة البواعث النفسية التي تثبط الناس عن العمل والسعي في مناكب الأرض وذلك فيما يلي:

– من الناس من يعرض عن العمل والسعي بدعوى التوكل وانتظار الرزق من السماء وهؤلاء قد خطأهم الإسلام فإن التوكل على الله لاينافي العمل واتخاذ الأسباب وشعار المسلم ماقاله النبى ﷺ للأعرابي الذي ترك الناقة سائبة: «اعقلها وتوكل» [الترمذي].

– ومن الناس من يدع العمل بحجة التبتل لطاعة الله تعالى والانقطاع للعبادة التى من أجلها خلق الإنسان: ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلاليعبدون ﴾ [الذاريات:٥٨]. وهؤلاء يعلّمهم الرسول ﷺ أنه لارهبانية في الإسلام وأن العمل الدنيوي إذا أتقن وروعيت فيه أحكام الإسلام هو عبادة في نفسه، وأن سعي الانسان على معاشه ليعف نفسه أو يعول أهله، أويحسن إلى أرحامه أو ليعاون في عمل الخير ونصرة الحق، إنما ذلك ضرب من الجهاد في سبيل الله، ولهذا سوى الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ﴾ [المزمل:٢٠].

– ومن الناس من يدع العمل والسعي اعتماداً على أخذه من مال الزكاة أو غيرها من الصدقات والتبرعات التي تجيء إليه من الآخرين، بغير تعب ولا عناء، وفي سبيل ذلك يستبيح سؤال الغير ومد يده إليه، مع مافي ذلك من ذل النفس وإراقة ماء الوجه، كأكثر الذين نشاهدهم من المتسولين والشحاذين. وقد عالج الإسلام هذه المشكلة فوعظ السائل القادر على العمل وأكد أنه لاتصح له المسألة وهو يستطيع السعى والعمل :«لإن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ليتصدق به وليستغني، خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه، ذلك بأن اليد العليا خير من اليد السفلى» [مسند أحمد]. وجعل لأصحاب الأعذار حقا في أموال الزكاة فقال تعالى: ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ﴾ [التوبة:٦٠]. يعطى هذا الحق لصاحبه مع صيانة كرامته وحفظ ماء وجهه. وأوجب الاسلام على ولي الأمر أن يدبر فرص عمل للقادرين عليه يغنيهم عن السؤال. جاء رجل الى النبي ﷺ يسأله فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى؛ حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء. قال: «ائتني بهما»، فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ وقال: «من يشترى هذين»، قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال ﷺ: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثة، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمي..فاعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما للسائل وقال: «اشتر بأحدهما طعاما وانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوما فائتني به»، فشد النبي ﷺ عوداً بيده ثم قال: «اذهب فاحتطب وبع؛ لا أرينك خمسة عشر يوما». فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من أن تجيء المسألة في وجهك يوم القيامة؟»

إن المسألة لاتصلح الا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع» [أبو داود].

إن هذا الحديث يحتوي على خطوات سبق بها الإسلام النظم التي لم تعرفها الإنسانية إلا بعد قرون طويلة من ظهور الإسلام، إنه يعالج مشكلة السائل المحتاج بالمعونة الوقتية، ولم يعالجها بالوعظ المجرد والتنفير من المسألة، ولكنه أخذ بيده في كل مشكلته وعالجها بطريقة ناجحة وأرشده إلى العمل ولم يدعه تائها حيران ■

زكريا أحمد محمد نور ج.م.ع

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

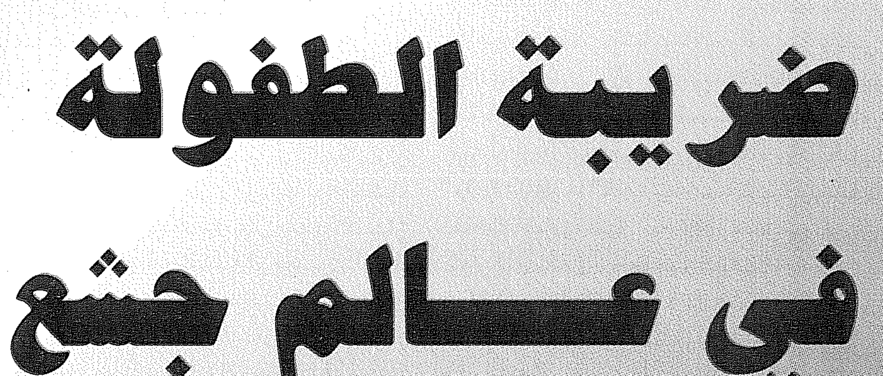
أكدت منظمة الصحة العالمية خلال اجتماع دولي خصصته لمكافحة المخدرات ان حوالي مائة مليون من اطفال الشوارع المشردين في مختلف انحاء العالم يتعاطون الخمور والمخدرات، وان أوضاعهم تدعو إلى القلق، لأن هذه العادات المرذولة تؤدي إلى ما هو أبعد من الإدمان، وتؤثر على نطاق أوسع من متعاطيها، فالإدمان على الكحول والمخدرات مدخل طبيعي إلى كل الشرور المعروفة في عالم اليوم، وعلى رأسها خضوع الطفل المدمن لابتزاز العصابات الخطيرة المتاجرة بكل المحرمات بما في ذلك الرقيق الأبيض..

وتؤدي هذه الآفات الصحية إلى أزمات صحية واجتماعية وأخلاقية عديدة، منها سوء التغذية وممارسة الدعارة ونقل الأوبئة الجنسية ومنها (الأيدز)، والأطفال المحرومون من لقمة العيش يستسيغون استخدام الصمغ والمذيبات والكوكا، في المناطق التي تتوفر فيها هذه المواد، بالإضافة إلى القنّب والنكوتين والادوية الطبية المخدرة، والكحول على أنواعها، في سبيل تلبية العادات التي أصبحوا أسرى لها، ومما يذكر أن نسبة المدمنين على المواد السامة المتوفرّة والتي تحقق نوعاً من التخدير بلغ ٩٠٪ من مجوع الأطفال المدمنين في (جواتيمالا) ، بينما يدمن عدد كبير في (بوليفيا) و(كولومبيا) و(بيرو) سجائر تحتوي مواد ضارة مشتقة من الكوكا تعرف باسم (باسوكو) ومعظمهم لا يتعدى الثامنة من عمره. ومثل هذا الكلام يصدق – ولكن بنسبة أقل – في بعض بلدان عالمنا الإسلامي..

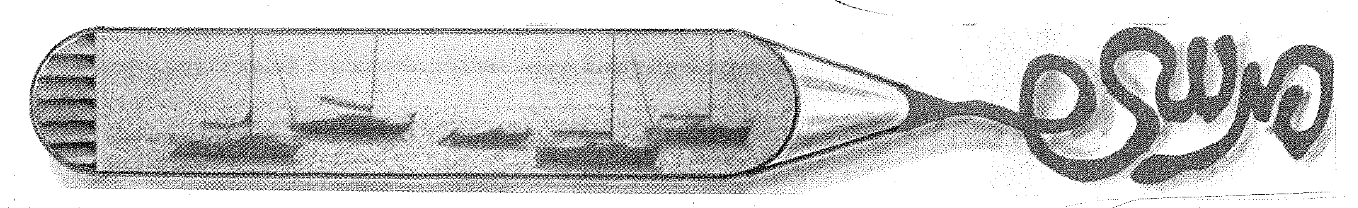
ينفق البعض ببذخ وترف على شراء لوحات نادرة، وعملات مفقودة، وتسرف بعض الدول على أبحاث تتعلّق بالفضاء الخارجي، وتطوير الأسلحة الفتّاكة، وتتحرك الجمعيات المناهضة للتجارب العلمية على الحيوان بكل ما تملك من قوة وطاقة.. وقد ترتكب هيئات (حماية البيئة) أعمالاً إرهابية في سبيل الحفاظ على غابة بكر، أو تخليص قرد من مبضع جرّاح..

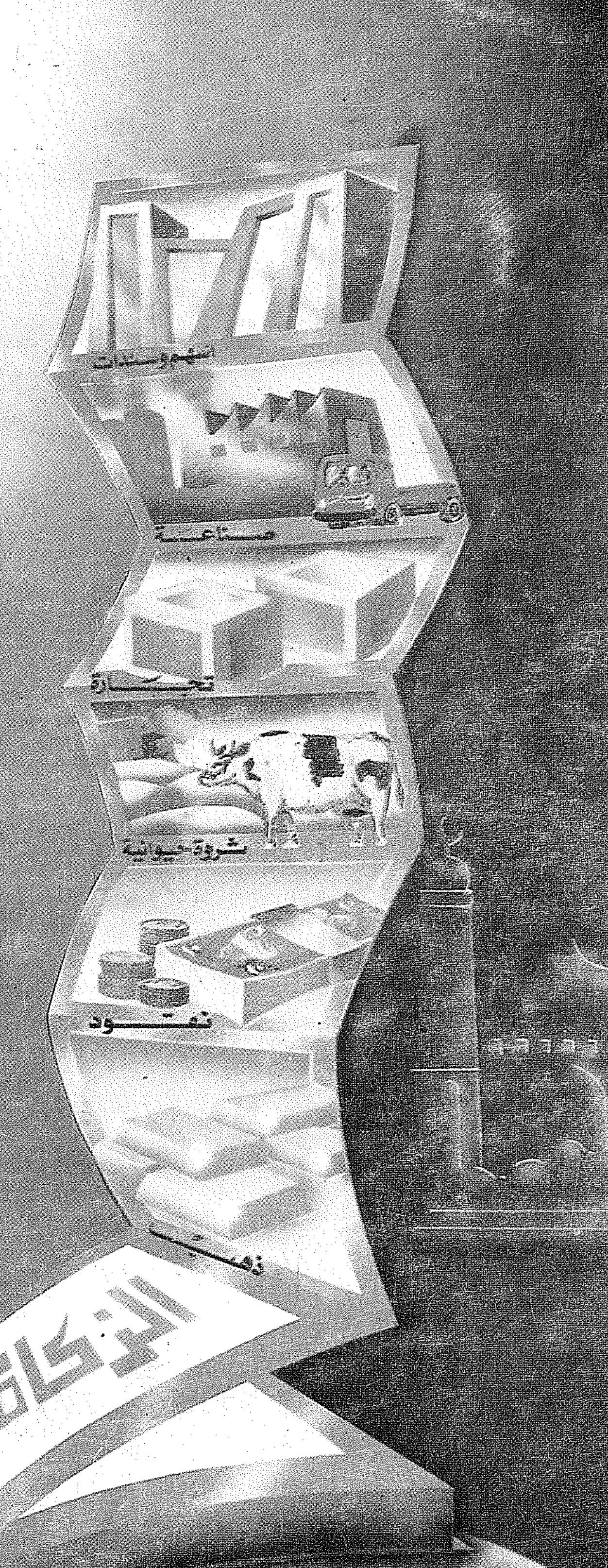
ولكن.. أين هؤلاء جميعاً من عالم الطفولة الذي يدفع ضريبة التخلف والتصارع دون أن يكون له يد أو تأثير؟ وأين مجموعات الضغط الفاعلة تقف في وجه آلة الموت التي تحصد مستقبل عالمنا يوميا؟ أم أن مشاهد وأخبار القتل والدمار والتسمم تحوّلت إلى جزء من برنامج الاستعراض اليومي، تماماً كما يمتّع أحدهم نفسه بمتابعة (فيلم رعب) يقطع عليه حبل الروتين اليومي ويضع أمامه شيئاً من الإثارة؟!

أفلا يجب على القادرين والمتحسسين التحرّك، فلعلّ في إنارة الدرب تخفيفا من المعاناة، ولعل في إيقاف شلال التخلّف تحريكا لعجلة البناء؟



بقلم: د صلاح الدين أرقه دان





زكاة أموالكم

2.5%

للاستفسار
٥٦٢٢٢٢٤

بالزكاة الخيرات نعمة الكثير

بيت الزكاة